الظاهرة الانتفاضية:
دراسة في النموذج الفلسطيني (١٨٨١- ٢٠٠١)

مقدمة: طبيعة الموضوع وتقسيم الدراسة

تمثل الظاهرة الانتفاضية في المجتمع الفلسطيني واحدة من أهم الظواهر السياسية والاجتماعية التي عرفتها الأمة الإسلامية خلال المئة وعشرين عاماً الماضية، مازالت قائمة تزداد فاعلية وتواصلاً بصورة تؤكد نماءها وارتقاءها الحضاري وسعيها الدؤوب لتحقيق كامل أهدافها التي انطلقت من أجلها. وإذا كانت "انتفاضة أطفال الحجارة"، وهي "الانتفاضة الكبرى" التي دامت سبع سنوات (١٩٨٧- ١٩٩٤)، الحدث الأوسع نطاقاً وتأثيراً في أواخر القرن العشرين الميلادي، و "انتفاضة الأقصى" التي انطلقت عام ٢٠٠٠ ومازالت مستمرة، تعد الحدث الأبرز دولياً والأعظم عربياً وإسلامياً مع مطلع الألفية الثالثة من القرن الواحد والعشرين، وقد سميت "انتفاضة الاستقلال" إشارة لاستمراريتها حتى إنجاز التحرير الكامل لأرض فلسطين، إلا أن ذلك لا يعني أن الظاهرة الانتفاضية لم تكن موجودة في فلسطين من قبل، بل إن الفلسطينيين عرفوها مع بدايات العقد الثامن من القرن التاسع عشر، عندما استشعروا ظهور علامات تغير الصفة القومية لأرض فلسطين[١]، مع تزايد الهجرات السرية لليهود القادمين من روسيا القيصرية، وزيادة استيلائهم على الأراضي.

فحدثت "انتفاضة يافا والقدس" (١٨٨١)[٢]، في نفس العام الذي انطلقت فيه ثورة أحمد عرابي في مصر ضد الإنجليز، ثم تفجرت "انتفاضة الخضيرة وملبَّس" (١٨٨٦) بعد تأسيس أول مستوطنة صهيونية (بتاح تكفاه) مكان القريتين، عقب طرد الفلاحين الفلسطينيين منهما، واستيلاء اليهود على

أراضيهم[٣]، و"توالت الانتفاضات الشعبية التي جاءت تعبيراً عن حالة القلق التي كانت سائدة"[٤] عاماً بعد عام بلا توقف، حتى عدَّت بالعشرات على امتداد التاريخ الفلسطيني المعاصر[٥]، وكان من أشهرها: "انتفاضة موسم النبي موسى" (١٩٢١)، و"انتفاضة ثورة البراق" (١٩٢٩)، و"انتفاضة ثورة القسام" (١٩٣٥)، و"انتفاضة الثورة الكبرى" (١٩٣٦-١٩٣٩)[٦]، ويرى البعض أن هذه الانتفاضات جميعاً تعد بمثابة بروفة للانتفاضة الكبرى (١٩٨٧)[٧]، استناداً إلى أن أغلبها تراوحت مدتها بين بضعة أيام وبضعة أسابيع[٨]، مع استثناء الثورة الكبرى التي استمرت أكثر من ثلاث سنوات، على اعتبار أن مرور ما يزيد عن قرن من الزمان، يعد كافياً لتثبيت وتعميق الظاهرة الانتفاضية كي تتحول إلى نظام عضوي متأصل في الجسد الاجتماعي الفلسطيني، بصورة أشبه بتشعب الشرايين في جسم الإنسان لدرجة يصبح معها هذا النظام الانتفاضي بالنسبة للمجتمع الفلسطيني أساس حياته وسر بقائه، في مواجهة استعمار استيطاني إحلالي يود اقتلاعه من أرضه ليقيم عليها دولته الصهيونية[٩].

والهدف من هذه الدراسة هو رصد وتحليل الظاهرة الانتفاضية، في إطار النموذج الفلسطيني، بكافة مكوناته، وعوامل نشوئه، وآلياته، وسماته وخصائصه، وإنجازاته، وأبعاده الحضارية، وبمراعاة تفاعل نظامه العضوي مع البيئة المحيطة به، داخلياً وخارجياً، آخذاً في حسبانه الذاكرة الانتفاضية ومراحل تطورها، وهو ما يجعل الظاهرة الانتفاضية الفلسطينية تتحرك وفق عملية دينامية وحضارية تجسد نموذجاً إدراكياً معرفياً بمواصفات مختلفة عن النماذج الأخرى السائدة في المحيطين الإقليمي والدولي.

وإذا كانت الحولية التي تأتي هذه الدراسة في إطارها تغطي بالأساس الأحداث والتطورات خلال قرن مضى، فإن الدراسة ستنظر إلى النموذج

الانتفاضي الفلسطيني خلال الفترة المذكورة علاوة على تجاوزها قليلاً بالعودة إلى العشرين عاماً الأخيرة من القرن التاسع عشر، لأنها شهدت بدايات المشروع الصهيوني والإرهاصات الأولى لظاهرة الانتفاضات الشعبية التي كانت في صورة هبَّات جماهيرية سرعان ما تحولت إلى ثورات لاهبة[١٠]، وخاصة في ظل التحولات الكبرى التي جرت على الصعيدين الإقليمي والدولي منذ ذلك التاريخ، والتي كان لها تأثيراتها المباشرة وغير المباشرة على بزوغ الظاهرة وخروجها إلى أرض الواقع. فعلى الصعيد الإقليمي تعرضت المنطقة العربية بعد سقوط دولة الخلافة العثمانية إلى استعمار أوروبي نهب ثرواتها وتحكم في مصيرها وزرع الكيان الصهيوني في عمقها، وظهرت على أنقاضه النظم القومية التي مازالت أسيرة التبعية بكافة صورها، عاجزة عن بناء القوة، وتجاوز مشكلات التخلف، والأخذ بأسباب النهوض، ولم يتسن لها بعد، العمل بالديمقراطية الحقيقية، وهو ما جعلها تشهد الهزائم المتتالية أمام الكيان الصهيوني الذي تفوق على المنطقة عسكرياً بما يمتلكه من أسلحة نووية ومساندة القوى العظمى، فكانت هذه الظروف دافعاً لبروز الظاهرة الانتفاضية في ظل ضعف الأنظمة العربية وعدم قدرتها على مواجهة إسرائيل والتغلب عليها، وفي ظل عدم قدرة القيادات الفلسطينية الرسمية على مدار التاريخ الفلسطيني المعاصر منذ بداية الصراع، بما فيها منظمة التحرير الفلسطينية والسلطة الفلسطينية، على إحراز أي انتصار ملموس على أرض الواقع، لدرجة أن الشعب الفلسطيني خسر كل معاركه تقريباً[١١] أما على الصعيد الدولي، فقد تمثل التحول الرئيسي في تفكك الدولة العثمانية وتقاسم الدول العظمى لأراضيها الشاسعة بعد الحرب العالمية الأولى، التي كان للإنجليز فيها النصيب الأكبر الذي أهَّلهم لاحتلال فلسطين وتثبيت دعائم الكيان الصهيوني خلال فترة انتدابهم

عليها، ثم نشبت الحرب العالمية الثانية، وعلى إثرها ظهرت قوة الولايات المتحدة كحليفة لإسرائيل، إلى أن تربعت على عرش العالم، عقب انهيار الاتحاد السوفياتي وتفكك المعسكر الشرقي، وتحولت إلى قوة عظمى وحيدة في ظل نظام دولي أحادي القطبية، وهو ما أدى إلى زيادة الفرص المواتية لإسرائيل لإتمام تنفيذ مخططاتها بمواصلة تهويد الأراضي وبناء المستوطنات وهدم البيوت في إطار تسوية سلمية مفروضة على العرب والفلسطينيين عقب كارثة الخليج الثانية، تمت برعاية أميركية منفردة[١٢]، مما قاد إلى انطلاق الانتفاضة الكبرى عام ١٩٨٧ وانتفاضة الأقصى عام ٢٠٠٠.

وإذا كانت التحولات الإقليمية والدولية سالفة الذكر قد هيأت المناخ المناسب لنشوء الظاهرة الانتفاضية، فإن التطورات الداخلية التي شهدتها فلسطين على مدار المئة وعشرين عاماً الماضية، التي جاءت تجسيداً لتنفيذ المشروع الاستعماري الاستيطاني الإحلالي الصهيوني، بما تضمنه من ممارسات قمع وطرد وإبادة للشعب الفلسطيني مع وقوف الدول العربية والإسلامية غير قادرة على فعل شيء سوى الاستنكار والتنديد الإعلامي فقط، كان لها تأثيرها البالغ في تفجير الانتفاضات الشعبية المتكررة والمتصاعدة[١٣]، التي أدت في نهاية المطاف إلى اكتمال ملامح النموذج الانتفاضي بالصورة التي ستبينها الدراسة فيما بعد.

وتأسيساً على ما سبق، تنقسم هذه الدراسة إلى أربعة موضوعات، يتناول الأول منها الظاهرة الانتفاضية على وجه العموم، مع طرح بعض القضايا النظرية والمفاهيمية، أهمها تحديد معنى الانتفاضة، وتوضيح مستويات الظاهرة وفق عاملي الزمان والمكان، ويتطرق الثاني إلى نشوء الفعل الانتفاضي في المجتمع الفلسطيني ومؤثرات البيئة والذاكرة والعوامل الأخرى على زيادة ديناميته وقوته. ويهتم الثالث بمكونات النظام الانتفاضي المتضمنة

عناصر تجعل منه نظاما حياً يتحرك بحيوية وارتقاء مستمر. أما الموضوع الرابع فيحلل العملية الانتفاضية في جوانبها المتعددة، مركِّزاً على آلياتها وسماتها وإنجازاتها. وفي الخاتمة توضح الدراسة البعد الحضاري الذي تمثله الظاهرة الانتفاضية، مذكِّرة بالنموذج الإدراكي المعرفي الذي يعبر عنها، وتحاول استشراف مستقبلها في السنوات القادمة.

أولاً: الظاهرة الانتفاضية

ثمة مجموعة من الملاحظات النظرية يتعين أخذها في الاعتبار عند التطرق إلى هذا الموضوع، أولها الإشارة إلى "خطورة اختزال ظاهرة الانتفاضة والتعامل معها بطريقة تجزيئية تؤدي إلى الخروج بنتائج أحادية الجانب"(١٤)، لذلك حرصت الدارسة على النظر إليها بطريقة كلية تراعي أولاً بحث الظاهرة على المستوى الفلسطيني برمته، والاهتمام بدراسة جوانب متعددة منها تغطي مجمل أبعادها. وثاني هذه الملاحظات التأكيد على أهمية وفاعلية توظيف أدوات التحليل السياسي والاجتماعي المعاصرة في بناء وتطوير حركات التحرر والثورات والانتفاضات الشعبية(١٥)، وقد استفادت الدراسة، في بنائها للنموذج الانتفاضي والتنظير للظاهرة، من عناصر المدخل الاتصالي في دراسة النظم السياسية لكارل دويتش، ونموذج ديفيد إيستون ونظرته التبسيطية لفهم وتفسير العملية السياسية، ونظرية الفعل الاجتماعي لتالكوت بارسونز، وإطار ألموند وباول في تحليل أبنية النظام السياسي ووظائفه، واستطاعت الدراسة توظيفهم في تفسير جوانب عدة ترتبط بالظاهرة، تسهل عملية الاقتراب منها وفهمها. كما اعتمدت من ناحية أخرى على مفهوم شبكة العلاقات الاجتماعية وأفكار مالك بن نبي في هذا المدخل التحليلي، الذي ساعد

في فهم مدى تشعب النظام الانتفاضي في المجتمع الفلسطيني من خلال نظام معقد ودقيق من العلاقات والآليات. وهكذا استندت الدراسة إلى منهج شمولي يراعي مبدأ التعدد المنهاجي اللازم لتغطيه كافة أبعاد الظاهرة، و"دراستها كواقعة اجتماعية من كافة جوانبها ونواحيها التاريخية والاقتصادية والثقافية والسياسية، بحيث تتخطى الحواجز التقليدية بين العلوم الاجتماعية المختلفة، باستخدام كافة أساليب البحث الاجتماعي لفهم الظاهرة وتفسيرها[١٦]. وتعتبر الملاحظة الثالثة "أن الحركات والثورات الاجتماعية العميقة التي قامت بعد حالات انتكاس وتراجع وهبوط مفاجئة، تمت- كما ذهب إلى ذلك جيمس ديفيس- بعد مراحل من الانتعاش وارتفاع الآمال وتطور البنى الاجتماعية والسياسية والاقتصادية، أدى فيها الانتكاس المفاجيء في وضع القضية الفلسطينية بعد تكرار حالات ارتفاع الآمال (١٩٦٨-١٩٨٢) للتحول إلى عامل رئيسي في احتقان الوضع[١٧] ونشوء الانتفاضة الكبرى. وتأتي الملاحظة الرابعة والأخيرة لتشدد على أنه "إذا كانت الدراسة العلمية للظواهر الاجتماعية- بوجه عام- لا يمكن لها أن تحيط بأبعادها المعقدة المتشابكة إلا إذا عادت إلى الأصول التاريخية لها، فإن التأصيل التاريخي للظاهرة الانتفاضية يعد ضرورة لا غنى عنها[١٨]، لفهم نشأتها والتطورات التي لحقت بها ووضعها الراهن[١٩].وستحاول الدراسة في هذا المبحث إجراء عملية تأصيل لغوي للفظة "انتفاضة" لبحث محتواها الفكري ودلالاتها السياسية، والتعرف في عجالة على الظاهرة الانتفاضية في الفكر والمجتمع الإنساني، وفي الأمة العربية

الإسلامية، وخصوصيتها في المجتمع الفلسطيني، والاهتمام بتحديد مفهوم الانتفاضة نظرياً وإجرائياً، وبحث علاقته بالمفاهيم الأخرى.

١- التأصيل اللغوي للفظة "انتفاضة":

للجذر اللغوي (نَفَضَ) باب ثابت في معاجم اللغة العربية قديمها وحديثها، يتضمن العديد من الاشتقاقات. والانتفاضة لغوياً مشتقة من فعل نفض، ومما ورد فيها: "نفض الثوب ينفضه نفضاً، حرَّكه ليزول عنه الغبار ونحوه.. النفض مصدر وعند الفقهاء التناثر.. والنفضة الجماعة يبعثون في الأرض لينظروا هل فيها عدوٌ أم لا[٢٠]. و "استنفض الشيء: استخرجه. ومنه الانتفاض والاستنفاض للاستبراء من بقية البول في المخرج.. وهو يستنفض طَرفُه القوم أي يرعدهم بهيبته.. النفيضة الجماعة من الناس.. ويصح إطلاق النفيضة على دورية الجند لحفظ الأمن في الطريق.. [٢١]، ونفض "الشجر: حركة لينتفض.. وقال ابن سيده: نَفَضَهُ ينفُضُهُ نفضاً، فانتفض.. قال: ومن روى "تُنْفَضَان" فمعناه تستبرآن، من قولك: نفضتُ المكان، إذا نظرت إلى جميع ما فيه حتى تعرفه. ومن روى "تنفُضان" فمعناه: كل واحد من الكفأتين تلقي ما في بطنها من أجنتها. ثم ظاهر كلام الزمخشري في الأساس أنه من المجاز. ومن المجاز أيضاً: نفضت المرأة كرشها، إذا كثر ولدها، وهي نَفُوضٌ: كثيرة الولد، نقله الجوهري.. ومن المجاز: نفض المكان ينفضه نفضاً، إذا نظر إلى جميع ما فيه حتى يعرفه، نقله الجوهري.. تنفض، أي تنظر هل ترى فيه ما تكره

أم لا.. واستنفض القوم: "تأملهم".. قال ابن الأعرابي: النفض القراءة، وفلان ينفض القرآن كله ظاهراً، أي يقرؤه.. قال غيره: النفاضه: ما سقط من المنفوض إذا نُفِضَ.. وقال ابن دريد: نُفاضَةُ كل شيء: ما نَفَضَهُ فسقط منه.. نفضتها أي حركتها.. ومن المجاز النُّفوض: البرء من المرض.. واستنفض ما عنده، أي استخرجه.. واستنفض: بعث النفيضة أي الطليعة، كما في الصحاح. وفي الأساس واللسان: استنفض القوم: بعثوا النفضة الذين يُنفضون الطرق، واستنفض بالحجر: استنجى، ومنه الحديث: "إبغني حجراً أستنفض به"، أي أستنجي بها، وهو من نفض الثوب، لأن المستنجي ينفض عن نفسه الأذى بالحجر أي يزيله ويدفعه.. والنفض، أن تأخذ بيدك شيئاً فتنفضه وتزعزعه وتترته وتنفض التراب عنه.. وانتفض فلان من الرعدة، وانتفض الفرس.. ونفض الطريق نفضاً: طهره من اللصوص والدُّعَّار. وقام ينفض الكرى. ويقال: نفض الأسقام عنه واستصح، أي استحكمت صحته. وخرج فلان نفيضة، أي نافضاً للطريق حافظاً له، وكل ذلك مجاز[٢٢].

ومن الفعل اشتق اسم الآلة، منفضة، وهي عصا من خيزران تستخدم في ضرب ونفض السجاد. وتتبادر إلى الذهن المنفضة وهي الإناء الذي تتك لفافة السيجارة المشتعلة على حافته فيسقط رمادها ويجتمع بداخل الإناء. أما في اللهجة الفلسطينية فنقول (نفض البيت)، أي أعاد ترميمه وأصلحه، فهي عملية صيانة شاملة وجذرية. فبالرغم من تشابه كلمة (نفض) بكلمة (أزال) إلا أنهما لا تتطابقان في قيمتهما الدلالية، فيشير فعل نفض ومشتقاته إلى حركة ارتجاج عنيفة تتكرر بحدة فينتفض المريض من الحمى، وتختلف دلالته نوعياً من فعل

(أزال) فتضيف إلى عملية الجرد والتنظيف الجذري عنصر المحافظة، بل تتجاوزها إلى صقل الجوهر وبلورته في إطار جديد. فالانتفاضة صفة إيجابية لعمل يمس الأغوار ولا يكتفي بتحريك وتحوير الشكليات(٢٣).

وتشير هذه المعاني المرتبطة بالفعل نفض إلى جملة من العناصر الأساسية منها: الحركة، والمفاجأة في المواجهة، والتخلص من الأذى والسوء (الإزالة). وتدل من ناحية أخرى على كثرة التوالد، والنظر والبحث، والاستخراج، والارتعاد من الهيبة، والتأمل، والقراءة، وإرسال الطليعة، والبرء من المرض والتخلص من الأسقام، والتناثر. ويرى علماء اللغة أن أغلبها معان مجازية يمكن أن تنسحب على تطبيقات واقعية أخرى. وتأتي لفظة "انتفاضة" في إطارها الاجتماعي والسياسي المعاصر مقبولة ضمن هذا السياق، ليتشكل منها محتوى فكري ذو دلالات سياسية ترتبط بالظاهرة الانتفاضية الفلسطينية. "والفعل نفض ليس فعلاً سلبياً- كما هو واضح مما سبق- فهو يتضمن حركة وفعلاً وعواطف، إنه الهزة التي تكسر قيود الماضي.. فبالإضافة إلى كونه استجابة لتحديات الماضي والحاضر، فإن الفعل نفض يتضمن مشاركة خلاَّقة وفعّالة للمجتمع ككل في مجموعة واسعة من المشاكل(٢٤)، التي تتضمن في حالة النموذج الانتفاضي الفلسطيني استمرارية مواجهة الاحتلال، وبناء شبكة العلاقات الانتفاضية المعقدة داخل المجتمع الفلسطيني، والتغلب على الفساد والانحراف والأمراض الاجتماعية، لبناء مجتمع انتفاضي قادر على الحركة والتصدي للتخلص من الظلم الواقع عليه وتحقيق استقلاله السياسي والاعتراف بحقه في تأسيس دولته المستقلة.

وتأسيساً على ذلك، تؤكد الدراسة أن "كلمة انتفاضة تبلور النموذج الانتفاضي بشكل يبعث على الدهشة، فهو يكاد ينطبق انطباقاً كاملاً على مدلوله بكل خصوصيته ونتوءاته ومنحنياته، وهو مصطلح يعود للمعجمين اللفظي والحضاري العربي الإسلامي...، والكلمة على المستوى الدلالي المباشر تشير إلى حركة خلاقة تولِّد الجديد من القديم.. وتوحي في الوقت نفسه بعدم تجُّذر هذا الذي سيزول"(٢٥)، فشأنه شأن الغبار، في كيفية التخلص منه إذا علا الثوب، سيزول الاستعمار الصهيوني بنفضه من أرض فلسطين مهما طال الزمن أو قصر."وتحمل الكلمة أيضاً معاني الخصوبة، فيقال: نفض الكرم أي تفتحت عناقيده، ويقال: نفضت المرأة أي كثر أولادها، والمرأة النفوض هي المرأة كثيرة الأولاد مثل المرأة الفلسطينية، وهناك تعبيرات مثل: نفض عنه الكسل، ونفض عنه الهم، وكذلك انتفض واقفاً. والكلمة بدلالتها وإيحاءاتها تفترض وجود قوة ما كافية، كانت ساكنة ثم تحركت، وأن مصادر الحركة ليست من خارج النسق وإنما من داخله"(٢٦).

٢- الظاهرة الانتفاضية في الفكر والمجتمع الإنساني:

الظاهرة الانتفاضية ظاهرة قديمة قدم وجود الإنسان على الأرض، عرفتها التجمعات البشرية البدائية، وقد ارتبط ظهورها بتعرض هذه التجمعات للظلم والاستبداد من الجماعات الأخرى الأقوى نفوذاً وسيطرة، أملاً في الوصول إلى حالة تنعم فيها بالحياة الكريمة. والتعرف على طبيعة الحياة الاجتماعية والسياسية في الحضارات القديمة تؤكد هذه الحقيقة، ليس في علاقة الأقوياء بالضعفاء، والأغنياء بالفقراء فحسب، وإنما في علاقة الحكام بالمحكومين أيضا،

وعند تعرض الجماعة لخطر خارجي كذلك، مما يجعلها ترزح تحت نير الاحتلال سنوات طويلة قد تصل إلى مئات السنين، وهي ليست بالفترة الطويلة في عمر الأمم الإنسانية، مما يدفع هذه المجتمعات إلى الانتفاض مرات عديدة حتى تحصل على حقوقها وتصل إلى أهدافها المبتغاة. ونتيجة تغلب حضارة ما على أخرى أو سيطرتها على العالم، كما حدث في عهد تحتمس الثالث ورمسيس الثاني في حضارة مصر القديمة، وفي عهد الإسكندر المقدوني في الحضارة اليونانية، وفي عهد هانيبال في حضارة قرطاجة، وفي عهد قورش في الحضارة الفارسية، وفي عهد حمورابي وآشور وسنحريب في – حضارات بلاد الرافدين (بابل وأشور وسومر)، فإن المجتمعات المهزومة أو المغلوبة لا تتوانى عن التصدي للاحتلال الخارجي مهما عانت من عنف وقسوة وتعذيب وسحق، وفي نهاية المطاف ومع بدء الضعف يدب في القوة الباغية، وأخذ هذه المجتمعات في النهوض وبناء القوة، تنجح انتفاضاتها المتكررة في دحر العدو، بل وربما القضاء على دولته القديمة. ومن الملاحظ أن أسماء القيادات اللامعة المذكورة مسبقاً قد قامت على أنقاض من سبقها، ومنتفض اليوم هو مسيطر الغد على حضارة الإنسان، ومسيطر اليوم هو المنتفض الجديد بسبب ما تعرض له من مهانة وذل، وعلاقة الحضارة البابلية بالآشورية، وكلتاهما بالسومرية، ثم العيلامية، توضح هذه الحقيقة، وكذلك الحال علاقات الحضارات الأخرى مع بعضها البعض، كعلاقة الحضارة الغربية الصليبية والحديثة بالحضارة العربية الإسلامية، وحضارة اليونان الإغريقية بالحضارة الرومانية[٢٧].

وخلافاً لنموذج الانتفاض في وجه المحتل أو الباغي، فإن المجتمعات الأوروبية القديمة، وعلى مدار تاريخها الطويل لنيل حقوقها وحرياتها، عرفت نموذج الانتفاض في مواجهة عسف ملوكها وأباطرتها واستبداد النظم الإقطاعية السائدة، وقمعهم لأي حركات اجتماعية ثائرة مطالبة بحرياتها وحقوقها السياسية. ومتابعة تاريخ الحضارة الرومانية التي سيطرت على أوروبا فترة طويلة من الزمن، وأخضعت القبائل الجرمانية والنورماندية والغالية، تساعد في التعرف على حجم المعاناة والقسوة التي تعرضت لها الشعوب الأوروبية، وتعرضت لها روما نفسها، خاصة في عهد نيرون، مما دفعها إلى الانتفاض مرات عديدة والتضحية بأجود ما عندها من أرواح، كي تحصل على حقوقها الحق تلو الحق عبر مراحل انتفاض وصلت، ربما إلى أكثر من ألفي عام، حتى توَّجت بقيام الثورة الفرنسية التي رسخت قيم الديمقراطية وحرية الإنسان والعدالة والمساواة، وهو ما وصلت إليه المجتمعات الغربية اليوم(٢٨).

وبمآل السيطرة والتحكم في النظام الدولي للحلفاء والولايات المتحدة بعد الحرب العالمية الثانية، ومع ظهور المدرسة السلوكية ثم مفاهيم نهاية التاريخ والعولمة وتكريس النظام الرأسمالي وقيم الديمقراطية الغربية بعد انهيار الاتحاد السوفياتي وزوال الشيوعية، ورغم البعد العميق الذي شكلته الظاهرة الانتفاضية في الخبرة الغربية، إلا أن الأمر اختلف كثيراً على مستوى الفكر والتنظير العلمي، فبعد ما حقق الغربيون هذه الانتصارات وتربعوا على عرش العالم، عمقوا مفاهيم الاستقرار والتكيف والأقلمة، والحفاظ على الوضع القائم، واعتبار عدم الاستقرار السياسي أمر سلبي خطير

يستدعي المواجهة، مما دفعهم إلى رفض قبول الظاهرة الانتفاضية أكاديمياً، وطرحها في أحسن الأحوال من منطلق أنها ظاهرة اجتماعية أو سياسية غير مرغوب فيها، أو شاذة ينبغي التخلص منها لتحقيق استقرار النظم السياسية، أو التكيف معها، كما يفعل الإسرائيليون مع الانتفاضة الفلسطينية. لذلك بقي الاهتمام بالظاهرة الانتفاضية محدوداً في الرؤية الغربية.

أما على مستوى المدرسة الماركسية اللينية، وبالرجوع إلى بدايات القرن العشرين، وبالنظر إلى مفهوم الثورة وحسم الصراع الطبقي لصالح البروليتاريا الفقيرة على حساب الطبقات البرجوازية الغنية، تختلف الأمور، وللانتفاضة كظاهرة مجال بحثي خصب عند لينين ونويبرج وإميليو لوسو، وغيرهم من المنظرين والكتَّاب الماركسيين. فيرى لوسو بداية أن انتفاضة أكتوبر البلشفية هي الانتفاضة الوحيدة في عصرنا التي قادتها طليعة سياسية وعسكرية، وكانت منتصرة، مشيراً إلى أن الانتفاضة الشعبية هي الوحيدة التي بوسعها أن تقضي على النظام. ويضيف لوسو: علينا أن نترك جانبا في هذه الدراسة الجانب الأخلاقي- القانوني للانتفاضة، هل يحق لنا أن نثور؟ إنه سؤال عديم الفائدة.لقد بررت الثورة الأميركية مع إعلان فيلادلفيا، والثورة الفرنسية مع إعلان حقوق الإنسان والمواطن الثورة الشعبية بوجه الاضطهاد، ومهما يكن من أمر، فالانتفاضة والحرب تعبيران متماثلان لمعادلات متشابهة، فعندما لا يعود بوسع أحكام القانون الدولي العام تسوية العلاقات بين دولتين بشكل طبيعي، تكون إزاء الحرب، وعندما لا يعود بوسع القوانين الداخلية، التي هي غير مقبولة، احتواء الصراع السياسي، تكون إزاء الانتفاضة. إن

"الانتفاضة المرحلة الأساسية من الدورة السياسية التي يطلق عليها اسم الثورة. والثورة هي الكل، أما الانتفاضة فهي الجزء.

وفي التفكير الماركسي، الانتفاضة لا تكون إلا شعبية تقودها البروليتاريا بوصَفها طليعة الأمة، ولا تعتبر كذلك إن تولتها البرجوازية، غير أن الاستعداد للانتفاضة لا يعني الاستسلام لأهون الحلول، فالانتفاضة هي الأكثر عنفاً، وهي قبل كل شيء دراما هائلة. ويقول لينين: "الانتفاضة فن، وهي كالحرب وباقي الفنون تخضع لبعض القواعد التي يؤدي إهمالها إلى هلاك الحزب الذي يرتكب خطأ عدم إقدامها" ومن هذا المبدأ استوحت انتفاضة أكتوبر البلشفية كل سلوكها.ويطرح لينين مسألة الانتفاضة المسلحة إلى جانب أهم المسائل السياسية والاجتماعية التي على البروليتاريا مواجهتها، متحدثاً عن الانتفاضة من وجهتي النظر النظرية والعملية (الإيديولوجيا والتنظيم) بوصفها المسألة الأولى في تنظيم البروليتاريا، غير أنه كان يعرف أن تجربة جميع الانتفاضات قد برهنت، مثل تجربة الحروب، أن النصر ممكن دوماً، إذا ما تم بشكل مناسب، باستخدام وتطبيق بعض المبادىء التي لا تتبدل على الرغم من تبدل العصور والمعدات الحربية..، والانتفاضة مثل الحرب لها مخاطرها وتقلباتها، غير أنه يمكن اختزالها إلى أقل قدر ممكن إذا لم تنس البروليتاريا إجراءات الحيطة التي تكون في مأمن، ويطبق لينين على الانتفاضة حتى المبادىء العسكرية في الحيطة الاستراتيجية، فالمؤشر السياسي عنده هو التكوين السياسي والعسكري لطليعة معدة بشكل جيد، لقد وضع لينين مركز تفكيره على الانتفاضة كما لم يفعل

ذلك قبله أحد غيره، وتحدث عن بلوغ الساعة الملائمة للانتفاضة والظروف المناسبة[٢٩].

ويتحدث لوسو عن نظرية للانتفاضة بشروط وضعها، اعتبرها متفقة مع الكتابات التي سبقته حول الموضوع، بالتأكيد على أنه لا يمكن القيام بأية انتفاضة إن لم تكن الطبقات الحاكمة تعيش أزمة سياسية حادة وغير قادرة على الحكم، وإذا لم يكن الاستياء والحرمان المتصاعدان يدفعان الطبقات المقهورة إلى الثورة. وتشكل هذه العناصر وحدها وضعاً ثورياً ملائماً بلا ريب، ولكنها لا تؤدي إلى انتفاضة إن لم تتطابق مع المقدرة الثورية الجماهيرية وكوادرها. وبكلمات أخرى ليست الانتفاضة ممكنة إلا إذا تضافرت في مصلحتها الشروط الموضوعية و الذاتية، فلا يمكن على الإطلاق القيام بالانتفاضات بدون إعداد. ويذكر أنه على الانتفاضة ألا ترتكز على التآمر، ولا على حزب، بل على الطبقة المتقدمة، ويرى أن المبادىء التي تحكم الحرب أكثر صرامة من تلك التي تحكم الانتفاضة. وقبل كل شيء يجبر المقاتلون في الحرب على القتال- تحت طائلة الموت- أما في الانتفاضة، وعلى الأقل في المرحلة الأولى التي هي أصعب مراحلها، فإن مشاركة المنتفضين طوعية. ويُعرف بدقة في كل لحظة عدد المقاتلين في الحرب، أما في الانتفاضة فالعدد غير معروف وغامض. ويكاد يكون العتادُ مُؤَّمناً في الحرب، وبمكن أن يحصل في بداية الانتفاضات، حتى في تلك المعدة بأكبر مهارة، أن تكون بدون سلاح، أو سلاح غير ملائم، لا يفيد بالضرورة. وتكون جبهة الاشتباك محددة جيداً في الحرب، أما في الانتفاضة فهي مبهمة لفترة طويلة، ويبقى للجيوش في الحرب بعض حرية المناورة، أما

الانتفاضة فإنها تنحصر في الصدمة الأولى، ولكن ما إن تنطلق الانتفاضة حتى لا يعود بالإمكان إيقافها، لذلك تعطي هذه الفوارق للانتفاضة مبادىء أكثر مرونة ولكنها غير مطلقة أبداً[٣٠].

وتعتبر الظاهرة الانتفاضية- من ناحية ثانية- ظاهرة متأصلة في مجتمعات العالم الثالث، حيث شهدت بروز حركات تحرر ثورية لمواجهة الاستعمار تجمع بين أسلوب المقاومة المسلح كالنموذج الفيتنامي، وأسلوب المقاومة السلمية كنموذج غاندي في الهند. وشهدت أيضاً الدول العربية والإسلامية مثل هذه الظاهرة، ومن أشهر نماذجها ما حدث في الجزائر لمواجهة الاستعمار الفرنسي، وفي ليبيا لمواجهة الإيطاليين، ومصر والعراق لمواجهة الإنكليز، والخليج لمواجهة البرتغاليين ثم الإنجليز.

وخلاصة القول، فالظاهرة الانتفاضية متلازمة مع الظاهرة الاستعمارية، وكلما زاد الاستعمار شراسة وعنفاً كلما اشتدت الظاهرة الانتفاضية وازدادت قوة واستمرارية حتى تحقق أهدافها، وهي متلازمة أيضاً مع الظاهرة الاستبدادية في إطار النظام السياسي، تنفجر بقوة مع انتشار الظلم والاستغلال وكبت الحريات وهضم الحقوق، ودائماً يحاول الطرف المعتدي في الحالتين إجهاض الانتفاضة أو القضاء عليها.

٣- الظاهرة الانتفاضية في الأمة العربية الإسلامية:

عرفت الأمة الإسلامية شأنها شأن المجتمعات الإنسانية الأخرى، كلا النموذجين الانتفاضيين المذكورين مسبقاً، فهي من ناحية شهدت في بداية تكوينها انتفاض النبي صلى الله عليه وسلم وصحابته في وجه الشرك والفساد والانحلال الاجتماعي والاستغلال الاقتصادي

والظلم والاستبداد السياسي، حتى تم تكوين الدولة الإسلامية في المدينة على قيم التوحيد والعدالة والمساواة والأخلاق. وفيما بعد تزامنت الظاهرة الانتفاضية مع كل موجة ظلم أو استبداد تعرضت لها الأمة أو أحد أجزائها من قبل السلاطين والولاة المستبدين. ومن ناحية أخرى، وبعد أن بدأ الضعف يدب في جسد الأمة خاصة أواخر عهد الدولة العباسية وأواخر عهد دولة الإسلام في الأندلس بعد أن كانت في أوج قوتها وسيطرتها على النظام الدولي، شهدت الأمة انتفاضات متكررة في وجه المغول والتتار والصليبيين، حتى استطاعت دحر العدوان وإعادة وحدة الأمة[٣١]، غير ن الأمر اختلف عقب سقوط الدولة العثمانية وسيطرة الاستعمار الأوروبي وخاصة الإنجليزي والفرنسي، وزرع الكيان الصهيوني في عمقها وتكريس تبعيتها للغرب، فمازالت الانتفاضات تحدث من مكان إلى آخر دون تحقيق أي تقدم، والتخلص من الاستعمار العسكري أعقبه استعمار في ثوب جديد مازال موجوداً حتى هذه اللحظة، استعمار ثقافي سياسي حضاري اقتصادي إعلامي فكري، فضلاً عن الاستعمار الاستيطاني الإحلالي الوظيفي على أرض فلسطين[٣٢].

وبوجه عام فالظاهرة الانتفاضية في الأمة ، ظاهرة متأصلة فيها وسمة من سماتها، ولذلك فهي ترتبط بالنسق المعرفي والإطار المرجعي للإسلام، وتتلازم في محتواها الفكري وإطارها الحركي مع منظومة القيم الإسلامية، وخاصة مع مفهوم التوحيد ومع مبدأ الجهاد باعتبار الظاهرة الانتفاضية إحدى تجلياته. وتمتلك علاقة تبادلية مع الظاهرة الإسلامية التي تؤكد أن الظاهرة الانتفاضية فرض عين على كل مسلم[٣٣]، كل حسب طاقته واستطاعته، وهو ما يعني تجسيد

المقاومة بكل صورها العنيفة والسلمية، والدعوة إلى استمراريتها ببذل الغالي والنفيس. والانتصار هنا وعد من الله طالما كانت الانتفاضة تحت مظلة الإيمان والتوحيد والجهاد[٣٤]. وتكرس الظاهرة الإسلامية مبدأ استمرارية العامل العقدي في ذاكرة الصراع[٣٥]، ومن ناحية أخرى تبرز الظاهرة الانتفاضية دور الظاهرة الإسلامية الأكثر تأثيراً وفاعلية على مستوى الأبعاد الداخلية والتطور الدولي للظاهرة الإسلامية[٣٦]، كما أنها تمثل مشروعاً حضارياً عربياً إسلامياً ونموذجاً إدراكياً معرفياً يحفز الأمة على النهوض.

٤- خصوصية الظاهرة الانتفاضية في المجتمع الفلسطيني:

تحظى الظاهرة الانتفاضية الفلسطينية بمكانة متميزة بين الظواهر الانتفاضية الأخرى التي عرفتها المجتمعات الإنسانية في تاريخها القديم والحديث، كما أنها تتمتع بخصوصية أخرى داخل النطاق العربي الإسلامي، فهي تختلف عن بقية حركات التحرر العربية والعالمية، لأسباب متعددة منها: حجم العدو ونوعيته، الظروف الموضوعية المتميزة للفلسطينيين، التجربة النضالية الفلسطينية الطويلة، النظرية الجديدة في المقاومة[٣٧] ذات منحنى متميز جداً يجمع بين العنف واللاعنف[٣٨] وبين وحدة القيادة الوطنية والحركة الجماهيرية الواسعة[٣٩]، يشكل الصراع فيها مع العدو حالة يومية من الاشتباك الدائم، يتولاه كادر مقاومة شعبية ذا تربية وإعداد نضاليين، والشعب فيه صاحب الدور الرئيسي في المقاومة، والسلاح المستعمل معبِّراً عن إرادة الشعب في التحرير وليس أداة للقتل[٤٠]. وهي ليست موجة عابرة بل ظاهرة مستمرة عميقة متوهجة تتحرك ذاتياً[٤١]، ونمط حياة يومي يجسد نموذجاً لسلطة ثورية تتحرك بآليتين، تسعى

في الأولى لتفكيك المؤسسات التي يستند إليها الاحتلال من أجهزة شرطة وشبكات عملاء ومصالح ضرائب وروابط قرى، وتنشئ من ناحية أخرى مؤسسات جديدة تمثل السلطة الشعبية بلجانها المتشعبة[٤٢]. لذلك فهي أنموذج إبداعي بين نماذج ثورات الكفاح الوطني[٤٣]، وإضافة جديدة لها، وأسلوب جديد ومتفرد في تاريخ الشعوب النضالية ضد مغتصبيها[٤٤]، أدى إلى اختفاء الفوارق الاجتماعية والطبقية، وتلاشي مجموعة كبيرة من العادات والتقاليد المتصلبة التي كانت سائدة من قبل[٤٥]. وخبرات المقاومة الوطنية وخاصة المدنية، بتميزها من حيث الاستمرارية الزمانية، والشمولية المكانية، والبناء التنظيمي المؤسسي المتشعب في جسد المجتمع الفلسطيني، والمشاركة الشاملة مجتمعياً[٤٦]. وتميزها أيضاً بالتعددية الانتفاضية متفاوتة الحجم والقوة لتفاوت الظروف وقوة دوافع كل انتفاضة عن الأخرى[٤٧] ضمن نطاق الظاهرة. مما جعلها ترسي أنماط تفكير وقيم جديدة في المنطقة أهَّلتها لتكون طليعة ثورة المقهورين في العالم الثالث بالانقلاب الجذري الذي أحدثته[٤٨] .

٥- مفهوم الانتفاضة:

ترى الدراسة، قبل وضع تعريف يوضح أبعاد المفهوم، ضرورة التعرف على ماهية الانتفاضة ومشكلاتها الاصطلاحية، والتطرق إلى الرؤية الصهيونية للمفهوم وأسلوب تعاملها معه على مستوى الفكر والممارسة، وبحث علاقته بالمفاهيم الأخرى إيجاباً وسلباً.

أ- ماهية الانتفاضة ومشكلاتها الاصطلاحية:

احتل مصطلح الانتفاضة مكانة عالمية مرموقة، حظي خلالها بتفرد واحترام شديدين، لأنه جاء معبراً عن ثورة شعب مدني أعزل

يواجه بأساليب مقاومة بسيطة قوة احتلال مجهزة بأحدث التقنيات العسكرية في العالم. ولم يعد مصطلح الانبعاث أو الثورة uprising دقيقاً دقة مفهوم الانتفاضة[٤٩] التي رسمت المصطلح وجعلته دولياً يدخل بلفظه في قواميس اللغات الأجنبية[٥٠]، ويرى إدوارد سعيد أن لفظة "انتفاضة" هي الكلمة العربية الوحيدة التي دخلت معجم مصطلحات السياسة العالمية في القرن العشرين[٥١]

وقد تعددت الآراء حول تحديد ماهيتها، فهناك من يرى أنها حالة اشتباك يومية مع العدو، يقوم بها كادر المقاومة الشعبية المعدَّ جيداً[٥٢]، تعبيراً عن إرادة الشعب، بحيث يستخدم فيها كل الأسلحة المتاحة لديه عنيفة أو سلمية. وهناك من يرى أنها مظهر للمقاومة يتسم بعمقه في الزمان والمكان، وشموله من حيث المشاركة الجماهيرية، تختلط فيه أنماط المقاومة السياسية والعسكرية، وتحركه قيادة وطنية موحدة وحركة شعبية واسعة[٥٣]. ومن ثم توصف بأنها ذات استمرارية زمنية غير مسبوقة، وذات شمولية جغرافية، وتمتلك بناءً تنظيمياً وقدرات تكتيكية بارعة وشمولية اجتماعية ومشاركة شاملة[٥٤].

وهي الأشمل طبقياً وطائفياً وجنسياً وعمرياً، والأكثر توحداً وتخطيطاً وانضباطاً، والأقوى راديكالياً، والأشد شجاعة وبأساً، والأمضى غضباً، والأوضح اندفاعاً[٥٥]. وهناك من يرى أنها عمل جماهيري عفوي تطور إلى عمل مؤسسي منظم[٥٦]، ومن ثم فهي ليست حدثاً عابراً اشتعل كغضبة محضة ورد فعل عفوي ووقتي محدود، وإنما صورة من صور التعبير الأعمق مضموناً ومغزى والأوسع انتشاراً وتعبيراً عن نفسها، وحلقة أخرى من حلقات الثورة

على الانحراف، وصراع شامل بأبعاد عقدية وحضارية وتاريخية وجغرافية، لا يمثل ثورة سياسية أو حزبية أو مسلحة، فلا توجد لقوته الفاعلة بنية "هيكلية" يمكن تحديد معالمها بتوجيه ضربة لها[٥٧]، وهناك من يرى أنها ليست كائناً ذا وجود مادي مستقل يفرض سلطانه على المجتمع المنتفض، وإنما هي حالة نفسية وموقف فكري ووجداني، بمعنى أنها ظاهرة اجتماعية كاملة بالمفهوم السوسيولوجي، تضافرت في تكوين مقوماته حتميات اجتماعية واقتصادية وسياسية وأخلاقية، تمخضت عن وعي جماعي يعكس انقلاب نوعي في الرؤية للنفس والواقع، فتغير الحال من صبر واستكانة إلى غضب واشمئزاز، ومن ذل ورضوخ إلى رفض وكبرياء، بحيث تعبر عن هبَّة عنيفة وثورة عارمة ضد الوضع القائم للاحتلال، تعكس عودة للوعي بعد سبات طويل، تؤدي إلى توحد الجميع في مواجهة التحديات، ولذلك فهي لحظة بعث وميلاد، ونقطة انطلاق وبداية جديدة، هدفها رد الاعتبار لشعب يذوق المذلة والهوان ألواناً وبصورة يومية[٥٨]. وهناك من يرى أنها في جمعها بين المقاومة الفيتنامية والمقاومة الغاندية بحيث تتحرك بمرونة إذا لزم الأمر، وفي تشييدها كل المؤسسات البديلة لإدارة المجتمع بدلا من سلطة الاحتلال وإدارته المدنية، إنما جسدت انتصاراً لفكرة المجتمع الأهلي مقابل الدولة المركزية، فأصبحت ذات مقدرة على الاستمرار بعد التوقف، والتأجج بعد الراحة، وأصبحت كذلك نموذجاً متكاملاً ورؤية للكون يمكن استخدامها في إدارة المجتمع بطريقة تفجر الإمكانات الثورية والإبداعية[٥٩]. لهذا كله فالانتفاضة حدث هائل يمزج بين الفكر والممارسة ويقلب كثيراً من المفاهيم سياسياً واقتصادياً واجتماعياً.

ب- ماهية الانتفاضة في المفهوم الصهيوني:

تعتمد النظرة الصهيونية في أسلوب تعاملها مع مفهوم الانتفاضة، وغيرها من المفاهيم الفلسطينية والعربية والإسلامية، على مبادىء وأسس ثابتة تستند أساساً إلى ما يمكن تسميته بقمع المفهوم، وذلك بمنع استخدامه إعلامياً أو صحافياً، بتجريم تداول استخدامه داخل الأرض المحتلة وخاصة في المناطق المحتلة عام ١٩٤٨، حيث يتعرض مستخدمه ومستخدم المفاهيم المشابهة (الثورة الشعبية، الاستشهاد، الجهاد) للمساءلة القانونية والسجن، كما أنها تحرص على اتباع مبدأ تشويه صورته عالمياً وإقليمياً بربطه بمفاهيم وممارسات سلبية أو همجية، وكذلك التهوين من شأنه محلياً كما لو كان شيئاً عابراً لا يرقى لمستوى الاهتمام، والسعي لتغيير معالمه من خلال وصفه بمسميات أخرى غير المسمى الحقيقي أملاً في طمسه تماماً.

وهناك سلسلة من المصطلحات حاول الصهاينة تعميمها عالمياً ولكن دون جدوى، فقد تراوح وصفهم للحدث الانتفاضي بين مظاهرات احتجاجية، أحداث دامية، إضرابات ، اضطرابات، موجات عارمة من التظاهرات وأعمال الرشق بالحجارة، تظاهرات عنيفة لم يسبق لها مثيل، الأحداث الأخيرة، اشتباكات عنيفة، صدامات مع الجيش، الأحداث الخطيرة[٦٠]. وهناك من تحدث عنها كما لو كانت: أعمال شغب، سحابة عابرة سرعان ما تنتهي، أعمال إخلال بالأمن والنظام تنطوي على عنصر الحرب الأهلية[٦١]. وهناك من أطلق عليها ألقاب ومسميات مختلفة أخرى منها: نهضة، انبعاث، صرخة مدوية[٦٢]. غير أن النظرة الأكثر حدَّة اعتبرت الانتفاضة أنها: حرب تشن ضد إسرائيل وليس مجرد احتجاجات شعبية عنيفة، وهي حرب

صغيرة، حرب نظامية متوسطة، حرب مناطق محتلة، وحرب أهلية. ويميل إلى هذه النظرة القادة العسكريون وصقور الليكود(٦٣). وبوجه عام تتباين المواقف الرسمية وغير الرسمية في تحديد ماهية الانتفاضة وطبيعتها في المفهوم الإسرائيلي، فهناك من يعتبرها مجرد "موجة عابرة" أو "تمرداً شعبياً" سرعان ما يزول، وهناك من يرى أنها عصياناً مدنياً يتصاعد تدريجياً(٦٤).

وكما هو واضح فإسرائيل تحرص على تضليل الرأي العام العالمي حول ما يجري في الأرض المحتلة وتصوره كما لو كان أمراً داخلياً طبيعياً يمكن أن تتعرض إليه أي دولة في العالم، ومن ناحية أخرى تسعى إلى التهوين من شأن الحدث الانتفاضي بإيجاد القناعة لدى الفلسطينيين والعرب بأن ما حدث قد خفت حدته وأوشك على الانتهاء ولن يجدي معهم شيئاً. إلا أن المفهوم في خاتمة المطاف فرض نفسه بقوة على الصعيد العالمي، ولم تستطع إسرائيل طمسه، بل اضطرت لاستخدامه وإدخال اللفظة العربية إلى اللغة العبرية بنفس منطوقها(٦٥).

جـ- علاقة مفهوم الانتفاضة بالمفاهيم الأخرى:

تميز الدراسة بين ثلاثة أنواع من المفاهيم تربطها علاقة متميزة بمفهوم الانتفاضة: مفاهيم معاكسة له، أو بعبارة أدق تستخدم بصورة سلبية تهدف إلى دحضه أو طمسه أو تشويهه أو التهوين من شأنه أو قمعه. وقد تم تناولها قبل قليل من المنظور الصهيوني. ومفاهيم تشتبه به، لكنها ليست مرادفة بالضرورة، وإنما إيجابية تعود عليه وعلى الحدث بالنفع لا بالضرر، بل وتقويه وتثبته أكثر، مثال ذلك أن يؤثر بعض الباحثين من أصحاب التوجهات اليسارية استخدام مفهوم

"الحرب الشعبية" أو "الثورة الشعبية"، ظناً منهم أنهم يعطون الحدث حقه وأن وصفه بالانتفاضة أقل مما يجب، ولذلك يقولون بأن تسمية ما حصل عام ١٩٣٦ على أنه ثورة كبرى مبالغ فيه، بينما تسمية ما حدث عام ١٩٨٧ على أنه انتفاضة إجحاف بحق الحدث وظلم له، وأن جميع ما عُرف بالثورات الفلسطينية قبل ثورة ١٩٣٦ لم يكن يعدو كونه مجرد "هبات" أو "انتفاضات" لم ترتق بخصائصها وسماتها إلى الثورة. ويؤكد رأي مساند أن إطلاق لفظة انتفاضة عام ١٩٨٧ جاء انسجاماً مع التسمية التي وُسمت بها الأحداث السابقة التي كانت ردود فعل على إجراءات صهيونية كمصادرة الأراضي وزرع المستوطنات تمت خلال حقبة الثمانينات، غير أن هذه الانتفاضة حصلت معها خصائص الثورة الشعبية، حيث تحرك الشعب بكامله بكل طبقاته وفئاته وأجياله وانتماءاته. ولذلك يرى هذا الرأي أن تسميتها بالانتفاضة تعطي دلالة على أنه لم يكن مُقدَّراً لها هذا الاستمرار والشمول، وأنها ستكون مجرد ردة فعل على حادثة ما، لكن التسمية سادت وغدت تعبيراً سياسياً غير ذي دلالة اصطلاحية، ويدعو هؤلاء الباحثين أنصار ذلك التوجه، إلى استخدام مفهوم "الثورة الشعبية" إنصافاً تاريخياً وتمييزاً عما سبق(٦٦).

وترى الدراسة أن مثل هذا التوجه عادة ما يكون طافياً على السطح في بدايات الظاهرة الانتفاضية، لكن فيما بعد وعندما تستقر أمور مفهوم الانتفاضة يبدأ الجميع في التعامل معها بالتنظير والتطوير لا بالدعوة إلى استبدالها بمفهوم آخر. ولا شك أن مفهوم الانتفاضة أثبت قدرته على الاستمرارية والارتقاء وأصبح حقلاً خصباً للتنظير ولبذل الجهود العلمية من أجله، مما يجعله مع مطلع

الألفية الثالثة، ذو مكانة رفيعة لا تقل عن مفهوم الثورة الشعبية أو الحرب الشعبية.. ومن جهة ثانية، فضَّل بعض أنصار التوجه الإسلامي في بدايات الظاهرة الانتفاضية، ومنهم مازال يرى هذا الرأي الآن، أن الأفضل هو وصف ما يحدث بأنه جهاد للشعب الفلسطيني وليس انتفاضة، وأن هدف إشاعة مفهوم الانتفاضة هو طمس مفهوم الجهاد. وتختلف الدراسة مع هذا التوجه لأسباب عدة، منها أن الواقع أثبت أن مفهوم الانتفاضة يعد إحدى تجليات مفهوم الجهاد الذى شنت ضده حرب شعواء، بحيث أصبح مرادفاً لمعاني العنف والإرهاب والتطرف والتشدد إقليمياً وعالمياً، لذلك فتوليد مفهوم آخر منه، يمتلك قدرة انتشارية فائقة، ويحظى باحترام إقليمي ودولي، ويفرض نفسه حتى على الفكر الصهيوني، يعد أمراً إيجابياً يخدم مفهوم الجهاد نفسه وهذا ما يكشف قدرة الأمة على توليد مفاهيم جديدة تفرض نفسها وتحظى بالقبول، في إطار المعركة الصهيونية ضد المفاهيم الإسلامية التي تسهم في زيادة فاعلية المقاومة ومواجهة الاحتلال. ومن جهة أخرى فإن التأصيل اللغوي السابق كشف عن مدى رصانة هذا المفهوم وملائمته للحالة الفلسطينية، والتنظير له يعد أمراً واجباً وملحاً في معركة المفاهيم.

أما النوع الثالث فيتمثل في شبكة مفاهيم خادمة لمفهوم الانتفاضة، تقويه وتسانده وتساعد في تنميته وتفعيله، منها على وجه الخصوص مفهوم المقاومة باعتباره السقف الذي تتحرك ضمنه الانتفاضة(٦٧). فالانتفاضة مقاومة شعبية بكافة أشكالها، وهنا يظهر مفهوما المقاومة المسلحة والمقاومة المدنية، ومن المفهوم الأخير تتولد مفاهيم المقاطعة، والعصيان المدني، والاحتجاج اللاعنيف، وعدم التعاون.

ومن المفهوم الأول تتجلى مفاهيم الاستشهاد، والجنازات، والجهاد، والقيمة الرمزية للمقدسات. وجميع هذه المفاهيم تتجلى بصورة يومية ومستمرة في نطاق الظاهرة الانتفاضية(٦٨).

ويطرح الماركسيون بعض الرؤى عن علاقة الانتفاضة بمفهوم الثورة أو مفهوم الحرب الشعبية من منظور مقارن يبين مزايا الانتفاضة. فالانتفاضة من وجهة نظر لينين حالة تسبق الثورة، وكما قال لوسو الانتفاضة جزء والثورة كل. ويميزها عن الحرب في أن المبادىء العامة التي تحكم الحرب أكثر صرامة من تلك التي تحكم الانتفاضة، ففي الحرب يجبر المقاتلون على القتال تحت طائلة الموت، أما في الانتفاضة، وعلى الأقل في المرحلة الأولى التي هي أصعب مراحلها فإن مشاركة المنتفضين طوعية. وفي الحرب يعرف بدقة عدد المقاتلين أما في الانتفاضة فالعدد غامض. ويكاد يكون العتاد مُؤَّمناً في الحرب ويمكن أن يحصل في بداية الانتفاضات، حتى في تلك المعدة بأكبر مهارة، أن تكون بدون سلاح أو سلاح غير ملائم لا يفي بالضرورة، وتكون جبهة الاشتباك محددة جيداً في الحرب، أما في الانتفاضة فهي مبهمة لفترة طويلة، ويبقى للجيوش في الحرب بعض حرية المناورة، أما الانتفاضة فإنها تنحصر في الصدمة الأولى، ولكن ما إن تنطلق الانتفاضة حتى لا يعود بالإمكان إيقافها، لذلك تعطي هذه الفوارق للانتفاضة مبادىء أكثر مرونة ولكنها غير مطلقة أبداً(٦٩). والانتفاضة ليست حرباً متتالية تتطلب الأسلحة المتكافئة مع جبهة العدو، وإنما هي التعبير عن إرادة شعبية تريد أن تنجز مهمة ثورية محددة، لهذا فإنها تمتاز بروحية تتفوق

بالاستعداد للتضحية والنضال الذي لا يوجد لدى جيش العدو المسلح بأحدث الأسلحة العصرية(٧٠).

د- تعريف الانتفاضة:

وتقترح الدراسة، تأسيساً على ما سبق، تعريف الانتفاضة باعتبارها ظاهرة إنسانية مجردة من عاملي الزمان والمكان، أنها : "مقاومة مستمرة، من مجتمع أو شعب، لظلم، وقع من قوة داخلية ذات نفوذ وسلطان، أو من جماعة خارجية أكثر قوة، تهدف إلى سلب هويته وأرضه ومقدساته وإبادته".

وتأتي الانتفاضة حسب هذا التعريف مرادفة لمعنى المقاومة بكل أشكالها العنيفة وغير العنيفة، وأنها تتجلى في نموذجين: نموذج مواجهة السلطة المستبدة،ونموذج مواجهة الاستعمار. والتعريف يعكس فعلاً ورد فعل بين طرفين، هما المجتمع والقوة الظالمة في النموذج الأول، والشعب والجماعة المستعمرة في النموذج الثاني. وتكون الانتفاضة رد فعل على الفعل الاستبدادي أو الفعل الاستعماري، متصفة بالاستمرارية والشمولية حتى تحقق أهدافها. والتعريف يجعل من الانتفاضة ظاهرة حضارية تسعى إلى تحقيق الديمقراطية والعدالة الاجتماعية والحرية في النظام السياسي، وإلى بناء المجتمع وحل مشاكله المستعصية، ومن ناحية أخرى تدعو إلى بناء القوة لمواجهة العدو.

وفي خاتمة المبحث، تشير الدراسة إلى ثلاث ملاحظات: تؤكد الأولى على ضرورة الأخذ في الاعتبار التعرف على العلاقة بين الانتفاضات، فهي متتابعة بحلقات متصلة، تزداد رقياً وقوة وتطويراً بمرور الزمن، تختلف باختلاف الفترة الزمنية، وباختلاف الأسباب

قصيرة الأجل، والأدوات، ودرجة العنف واللاعنف. وتمايزها عن بعضها البعض بطول الفترة الزمنية ونتائجها ومكاسبها ودرجة استخدامها للكفاح المسلح ومدى الخسائر التي تلحقها بالعدو(٧١).

وتطرح الملاحظة الثانية مشكلة من صاحب السبق في استخدام لفظة "انتفاضة"، وهناك اتجاهان في هذه المسألة: إتجاه يرى أن حركة حماس هي صاحبة الدور الأساسى فى ذلك، وصاحب الفضل فى تفجيرها وقيادتها حيث ظهرت في بيانها الأول الصادر بتاريخ ١٩٨٧/١٢/١٢، ووردت خمس مرات في مذكرتها التعريفية للحركة(٧٢)، بينما يرى اتجاه آخر أن القيادة الفلسطينية الرسمية لمنظمة التحرير هي أول من استخدمها ودعى إليها. غير أن الدراسة ترى أن هذا ليس أمراً مهماً بقدر ما تعتبر أن الأكثر أهمية هو بحث مدى مشاركة كل قوة سياسية أو اجتماعية في الانتفاضة، وما هو طبيعة دورها وإنجازاتها، وتسلم الدراسة بأن العمل الانتفاضي هو عمل شعبي قامت به كل فئات المجتمع وطبقاته وشرائحه وقواه السياسية والوطنية والإسلامية.

أما الملاحظة الثالثة، فتلفت الانتباه إلى حرص بعض الكتابات الغربية على التعامل مع الظاهرة الانتفاضية كما لو كانت مجرد رد فعل لطرف إزاء آخر، يتشابهان ويتساويان وأن النزاع القائم بينهما يرجع إلى أسباب تاريخية، بحيث يظهر الطرفين بصورة متوازنة لا تدل على حقيقة الموقف(٧٣). ويؤدي هذا الأسلوب إلى التقليل من شأن الانتفاضة والتحدث عنها كأمر طبيعي مؤقت سيزول إن آجلاً أم عاجلاً.

ثانياً: نشوء الفعل الانتفاضي

للفعل الانتفاضي الذي برز بقوة في المجتمع الفلسطيني منذ منتصف الثمانينيات من القرن العشرين ذاكرة تاريخية تعود إلى أكثر من قرن من الزمان، فنشوء الظاهرة الانتفاضية باعتبارها نقيضاً للظاهرة الصهيونية ولبداياتها الاستيطانية الأولى إنما يرجع إلى أواخر القرن التاسع عشر، وليس كما يتصور البعض أنها حديثة الظهور. وتشكل الذاكرة بعداً مهماً من أبعاد الظاهرة لا يمكن إغفاله، فلا يمكن للدراسة العلمية للظواهر الاجتماعية بوجه عام أن تحيط بأبعادها المعقدة المتشابكة إلا إذا عادت إلى أصولها التاريخية، فالتأصيل التاريخي ضرورة لا غنى عنها لفهم نشأة الظاهرة والتطورات التي لحقت بها(٧٤). كما تعتبر البيئة المحيطة بها بعداً آخر من الضروري أخذه في الحسبان أيضاً، بما تتضمنه من ظروف إقليمية ودولية وأوضاع محلية، أدت إلى إنجاح المشروع الصهيوني وتحويله إلى حقيقة واقعة ومفروضة، نجم عنه فعلاً انتفاضياً، جاء كرد فعل طبيعي، تحول إلى ظاهرة أصيلة متكاملة الأبعاد والمعالم. وبجانب هذين البعدين: التاريخي (الذاكرة)، والبيئي (الظروف الداخلية والخارجية المحيطة)، هناك دوافع ومقدمات وعوامل اعتبرت أسباباً فعلية لبروز الظاهرة إلى أرض الواقع بكل متغيراتها ومؤشراتها.

١- الذاكرة الانتفاضية:

يفيد استرجاع الذاكرة في تحديد الجذور والبدايات الأولى للظاهرة الانتفاضية، وتتبع التطورات والتغييرات والتحولات عبر المراحل

التاريخية المختلفة، وبلورة افتراضات ونماذج نظرية تفيد في تفسير الظاهرة في الوقت الراهن. وتسهم الذاكرة كذلك في تطوير الظاهرة وزيادة فاعليتها وديناميتها، اعتماداً على الاستفادة من الدروس التاريخية، واستخلاص المواعظ والعبرات بهدف تجاوز أخطاء الماضي، وتبني استراتيجية أكثر مراعاة لمقتضيات الذاكرة. وتساعد الذاكرة في رصد جوانب الاتفاق والاختلاف في ملامح الظاهرة ومكوناتها خلال فترات معينة، ومعرفة حدودها وإمكانات استمرارها والتغيير فيها، والتوصل إلى تنبؤات مشروطة ودقيقة لمستقبلها(٧٥). وتؤدي إلى إدراك حقيقة العدو وعدم الاستهانة به، وفهم حقيقة الصراع والدوافع العميقة للانتفاضات الفلسطينية، والتأكيد على أهمية الوحدة وبناء القوة، وعدم جدوى المبادرات والحلول السلمية لعدم جدية الصهاينة وتماديهم في مخططات التهويد والاستيطان ومصادرة الأراضي، وأنهم لا يريدون سلاماً(٧٦).

وتميز الدراسة بين ذاكرة تاريخية سبقت أول انتفاضة قام بها الفلسطينيون في أواخر القرن التاسع عشر، وأدت تأثيراتها إلى ظهور المشروع الصهيوني وبزوغ الظاهرة الانتفاضية التي جاءت آنذاك محدودة الزمان والمكان، وبين ذاكرة سبقت الانتفاضة الكبرى التي انطلقت عام ١٩٨٧، وتضمنت طوال أكثر من مائة عام عشرات الانتفاضات متفاوتة الحجم والتأثير والطبيعة، والعديد من الدروس والمواعظ والأحداث. وستتناول الدراسة كلتا الذاكرتين، على اعتبار أن الأولى تتعلق بالجذور والبدايات الأولى للصراع وفترة ما قبل نشوء الظاهرة، وترتبط الثانية بالفترة التي أدت إلى تكوين البنية المتكاملة للظاهرة بعد أن كانت في طور التأسيس والنمو في السابق.

أ- جذور الظاهرة الانتفاضية وبداياتها الأولى:

يرى البعض أن المؤتمر الصهيوني الأول (١٨٩٧) ووعد بلفور (١٩١٧) هما الجذور الأولى للصراع، ويعتبر آخرون أن النكبة (١٩٤٨) وقيام دولة إسرائيل هما البداية الحقيقية، بينما يسعى تيار ثالث إلى إحداث قطيعة كاملة مع الذاكرة وتجاهلها تماماً، كما ذكرت الدراسة قبل قليل. وتأتي الدراسات الإسرائيلية والصهيونية في طليعة أنصار هذا الاتجاه. غير أن الدراسة ترى أن جذور الصراع تعود إلى بدايات الصدام الحضاري الممتد الواقع في صميمه البعد الديني العقدي الذي يحمل ذاكرة تاريخ علاقة المسلمين واليهود والمسيحيين الأوروبيين مع بعضهم البعض[٧٧]، منذ عصر الفتوحات الإسلامية أيام خالد بن الوليد (اليرموك وأجنادين) وطارق بن زياد (الأندلس ومملكة القوط) والمعتصم بالله (عمورية وزبرطة) ومحمد الفاتح (القسطنطينية)، ومنذ الحملات الصليبية التي تعيد إلى أذهان الأوروبيين أيام صلاح الدين وبباروسة وقلب الأسد ولويس التاسع[٧٨]. وترجع أيضا إلى بدء التطلعات الاستعمارية الأوروبية في العصر الحديث في إطار ما سمي بالمسألة الغربية، أي حاجة الإنسان الغربي الشرهة إلى المواد الخام والأسواق والأراضي التي تصلح لتوطين الفائض السكاني[٧٩] ، وتستند لذلك إلى حرص الأوروبيين على التخلص من اليهود باعتبارهم جماعة وظيفية أصبحت منبوذة عندهم ولم يعودوا يقومون بوظيفة عقب الثورة الصناعية، وذلك استحداث وظيفة جديدة لهم للقيام بالمحافظة على المصالح الغربية في المنطقة العربية والإسلامية، من خلال مساعدتهم في إنشاء كيان استعماري استيطاني إحلالي يتم زرعه في قلب الأمة الإسلامية عن

طريق الهجرات اليهودية الأوروبية إلى فلسطين، في إطار ما سمي بحل المسألة اليهودية[٨٠]. وقد ارتبطت المسألتان الغربية واليهودية مع المسألة الشرقية في مثلث تفاعلي من وجهة النظر الغربية، أدى إلى تهيئة الظروف المناسبة لبريطانيا العظمى وفرنسا والقوى الدولية الأخرى للانقضاض على الدولة العثمانية وتقسيم أراضيها الشاسعة فيما بينها عقب الحرب العالمية الأولى، مدفوعين بروح صليبية أعادت إلى مخيلتهم ما فعله العثمانيون عندما سيطروا على أوروبا وضموا أغلب أقاليمها إليهم عندما كانوا في أوج قوتهم. ووجدوا في تقسيم تركة رجل أوروبا المريض، حسب تعبيرهم، حلاً ناجعاً للمسائل الثلاث، وإرضاءً لما تعتمله نفوسهم وتحمله من ذاكرة الماضي. حيث أن أساس المسألة الشرقية يعود عندهم إلى النزاع القديم بين الإسلام والمسيحية، وتؤكد الدراسة أنه في الوقت الذي كانت فيه أوروبا في العصور الوسطى تحاصر اليهود في أحياء لا يخرجون منها (الجيتو)، وتفرض عليهم صنوفاً من الاضطهاد، كان الفكر اليهودي يزدهر في بلا العرب في ظل الخلافة الإسلامية، حيث عاشوا في الأندلس حياة آمنة وخلاقة، وساهموا في مختلف النشاطات العلمية والأدبية وعملوا في مختلف الميادين واندمجوا في المجتمع. وحين قرر ملوك إسبانيا والبرتغال طرد اليهود بعد أن طردوا منها العرب، لجأت غالبية اليهود إلى الأقطار العربية، حيث كان التسامح الإسلامي، إذ استقبلتهم الدولة العثمانية ومنحتهم حقوق المواطنة وجعلتهم من رعاياها يعاملون كأهل ذمة في الوقت الذي كانت فيه محاكم التفتيش فيه ترهب كل أوروبا، علاوة على سيادة مبدأ

اللاسامية الـذي يقـوم علـى إنكـار صـفة الأوروبـي علـى اليهـودي الأوروبي باعتباره من العناصر الدنيا.

ورغم أن قيام الثـورة الفرنسـية وانتشـار المبـادىء الإنسـانية فـي عصر النهضة منح اليهود وجميع المـواطنين المسـاواة القانونيـة، وهـو مما أدى إلى تحطم جـدران الجيتـو الحقيقيـة منهـا والنفسـية، وانـدماج الكثيرين منهم في المجتمعات الأوروبية ، بحثاً عـن حـل نهـائي يفضـي بهم إلى تصنيفهم كمواطنين، غيـر أن أوروبـا خـلال المرحلـة الممتـدة من الثورة الفرنسـية وحتـى المـؤتمر الصـهيوني الأول، كانـت تعمـل لمستقبل اليهود وتخطط لـه بمـا يتفـق ومصـالحها الخاصـة الصـليبية والاستعمارية والعنصـرية، فلـم تقبـل بتحـررهم داخـل مجتمعاتهـا أو اندماجهم بل دعتهم إلى الأخذ بـالفكرة الصـهيونية فهـي مهـدها ومهـد الحركة الصهيونية. وشهدت أوروبا منـذ بدايـة الوجـود اليهـودي علـى أرضها حتى مطلع القرن العشرين الميلادي أربـع موجـات مـن الطـرد والتهجير: الموجة الأولى رافقت الحـروب الصـليبية فـي نهايـة القـرن الحادي عشر الميلادي بسبب جريمة قتل المسـيح التـي ارتكبهـا اليهـود حسب اعتقاد المسيحيين، والموجـة الثانيـة أطلـق عليهـا اسـم (المـوت الأسود) حيث سـرت الشـائعات أن بـلاء الطـاعون جـاء مـن اليهـود الساميين وبعد موجـة أسـبانيا والبرتغـال، جـاءت موجـة رابعـة مـن روسيا نجمت عن المذابح الشهيرة ضـدهم إثـر اتهـامهم بمقتـل القيصـر عام ١٨٨١، فتوجه غالبيتهم إلى الولايات المتحـدة، فكـانوا نـواة جاليـة يهودية مؤثرة، وإلى فلسطين فكـانوا نـواة الصـهيونية[٨١]. وقـد حـدث تحول كبير فـي النظـرة المسـيحية تجـاه اليهـود أدت إلـى احتـرامهم ومعـاملتهم معاملـة جيـدة فـي الـدول والمـدن التـي سـادت فيهـا

البروتستانتية وما تفرع منها من مذاهب أخرى، أهمها الحركة البيوريتانية (التطهر) في إنجلترا، وهي الحركة التي حولت الأفكار والمبادىء الدينية المتعلقة باليهود إلى عقيدة سياسية عام ١٦٤٩، وأهمها فكرة وجود "الشعب اليهودي" وفكرة عودته إلى أرض الميعاد فلسطين[٨٢]. ونادى فيما بعد نابليون بالفكرة (١٧٩٨) (ولم يسبقه زعيم في البشرية إليها سوى قورش ملك فارس قبل ألفي عام) طمعاً في تمويل التجار اليهود لحملته على مصر. وتلقف الإنجليز الفكرة في منتصف القرن التاسع عشر فدعا إليها بالمرستون وشافتسبوري ثم دزرائيلي وتشرشل إلى أن اقتنع زعماء اليهود بالفكرة الصهيونية كحل لمشاكلهم في أوروبا ولاضطلاعهم بوظيفة جديدة إلى أن تبناها هرتزل وأضحت حقيقة واقعة فيما بعد. وهكذا برزت الصلة بين الرأسمالية الغربية والبرجوازية اليهودية وما ترتب عليها من طرح للمشاريع الاستيطانية اليهودية في فلسطين[٨٣]. ورغم أن نشوء إسرائيل مرجعه أن تكون أداة لخدمة الاستعمار، إلا أن الدراسة تؤكد من جهة ثانية أن الصهيونية حركة استعمارية لها مكانها المتميز داخل إطار الاستعمار العالمي، وهي حركة منظمة تنتشر في كل العالم ويقودها احتكاريون كبار ذو نفوذ واسع في مختلف بلدان العالم[٨٤].

وطوال فترة وجود اليهود في فلسطين لم يضطهدوا يوماً فيها، فقد عاشوا في القدس حتى استولى عليها الصليبيون وطردوهم منها في القرن الحادي عشر الميلادي. واستقبلهم الفلسطينيون مطرودين وهاربين من الاضطهاد في أسبانيا والبرتغال مرتين (عام ١٤٩٢، و١٤٦٩م)، وظهرت ردود فعل فلسطينية على استيطانهم بعد

مؤازرتهم لنابليون عندما أراد أن يدخل عكا (١٧٩٨)، لكن الفلسطينيين عادوا فتسامحوا معهم (١٨٣٩)، ثم ساء تصرف المستوطنين اليهود معهم (١٨٥٠) بعد أن ضمنوا حماية الحكومة البريطانية لهم وتشجيعهم على العودة إلى أرض الميعاد (١٨٤٠)[٨٥]، فانتفض الفلسطينيون في يافا والقدس عام ١٨٨١ رداً على ذلك مواجهين التمدد الصهيوني وتغير الصفة القومية للمنطقة[٨٦] اغتصاب المستوطنين اليهود لأراضي الفلاحين الفلسطينيين في قريتي الخضيرة وملبَّس (مستوطنة "بتاح تكفاه" حالياً، وهي أول مستوطنة صهيونية) والتي طردوهم منها بقسوة بالغة، مما دفع الفلاحين إلى شن هجمات على الصهاينة بصورة متقطعة استمرت حتى عام ١٨٩٢[٨٧]. وبصفة عامة بدأ الفلسطينيون يقاومون المستوطنين اليهود عندما استشعروا تحولهم إلى الصهيونية، وقد اتضحت لهم الأمور عندما أعلن هرتزل عن المشروع الصهيوني في مؤتمر بازل بسويسرا عام ١٨٩٧، مشيراً إلى أن إسرائيل ستقوم بعد خمسين عاماً. وكان التصدي للمشروع الصهيوني يشتد ويتخذ وسائل مستجدة. وأنشئت في القدس هيئة محلية للتدقيق في طلبات نقل الملكية لحماية الأرض من الجشع الصهيوني. وانتفض الفلسطينيون أيضاً عام ١٩٠٠ ضد صفقات بيع الأرضي وكثرت حملات الاحتجاج الواسعة والعرائض الجماعية ومهاجمة الفنيين الذين جاؤوا لمسح الأرض تمهيداً لنقل ملكيتها[٨٨]. وبعد التحول الرسمي للمستعمرات اليهودية إلى صهيونية مع الهجرة الثانية (١٩٠٥)، ندد الصحافي نجيب عازوري بالخطر الصهيوني في كتابه "يقظة الأمة العربية"، مؤكداً جهد اليهود الخفي لإعادة تكوين مملكة إسرائيل

القديمة، وتشكلت عام ١٩٠٨ لجنة فلسطينية للإشراف والرقابة على اليهود الوافدين عبر ميناء حيفا، وتأسست لجنة لمنع بيع الأراضي للمستوطنين اليهود، ونشرت الصحف الفلسطينية تحذر من ذلك، واهتم النائب المقدسي محمد روحي الخالدي (١٩٠٨) بالتصدي للصهيونية، وظهرت الكتلة النيابية العربية عام ١٩١١. وانتفض الفلسطينيون في حركة شعبية انطلقت من نابلس وعقدوا اجتماعاً كبيراً احتجاجاً على مشروع الأصفر (١٩١٣) اليهودي لنيل استثمار أرض الغور شرقي نابلس صدر في إثره احتجاج يطالب الحكومة بأن تصرف النظر قطعياً عن بيع الأراضي وأرسلت برقيات الاستنكار إلى الآستانة من اجتماعات مماثلة في المدن الفلسطينية، وأسست جمعية مكافحة الصهيونية ونجحت الحملة الشعبية في إسقاط المشروع[٨٩]. واستمر الفلسطينيون في انتفاضاتهم الصغيرة واحتجاجاتهم ونشاطاتهم السياسية والإعلامية وشكلوا أحزاباً سياسية وجمعيات ولجان لمكافحة الخطر الصهيوني إلى أن أسقطت الدولة العثمانية واحتل الإنكليز فلسطين عام ١٩١٧، وهو نفس العام الذي أعلن فيه وعد بلفور الذي انتفض الفلسطينيون بسببه واحتجوا أمام مكتب الحاكم العسكري وازداد عداؤهم للمستوطنين اليهود بعد رؤيتهم يتدفقون إلى البلاد، وحدثت هجمات على المستوطنات وشكلت جمعية سرية باسم "الفدائية" حتى تبلور هيكل الحركة الوطنية الفلسطينية عندما عقد المؤتمر الأول للجمعيات الإسلامية المسيحية في القدس عام ١٩١٩، وشكلت لجنة تنفيذية له[٩٠].

هذه مقدمة لا بد منها لاستحضار الجذور العميقة للذاكرة الانتفاضية، وكما هو ملاحظ فالانتفاضات الأولى وإن غلب عليها

المحدودية من حيث الحكم والشكل والطبيعة، إلا أنه من الملاحظ أنها تطورت كلما زاد الخطر وتجسدت معالم المشروع الصهيوني على أرض الواقع، بتحول المستوطنات إلى بنى سياسية وإقتصادية، ومن جهة ثانية شكلت هذه البدايات إرهاصات أو مرحلة جنينية للحركة الوطنية الفلسطينية[٩١].

ب- التطورات والتغييرات والتحولات عبر المراحل السبع للذاكرة الانتفاضية (١٨٨١- ١٩٨٧):

تعتبر الدراسة أن التمييز بين المراحل المختلفة للظاهرة الانتفاضية لا يكون على أساس زمني وحسب، وإنما يستند أساساً إلى بحث التحولات الكيفية التي مرت بها والتطورات والتغييرات التي شهدتها الظاهرة. وتشير إلى ست مراحل متعاقبة من تاريخ المقاومة الفلسطينية حتى عام ١٩٨٧، مثلت كل واحدة منها نقلة نوعية عن المراحل التي سبقتها، كما لو أنها كانت جنيناً نما شيئاً فشيئاً، ثم دبت فيه الروح وهو في بطن أمه، وتحرك كثيراً (الانتفاضات الصغيرة التي لم تتجاوز أياماً أو أسابيع) إلى أن حانت لحظة الولادة فكانت ناجحة وسليمة وطبيعية وفاقت كل توقع، رغم أن الأم كانت عليلة وتعاني من ظروف الاحتلال. لكن الانتفاضة الكبرى (المولود) نمت وارتقت واستمرت بعد فترة حمل تخللتها إرهاصات عديدة طوال هذه الفترة.

وُصِفت المرحلة الأولى (١٨٨١-١٩١٧) التي شهدت بدايات الظاهرة، وقد تناولتها الدراسة قبل قليل، بأنها مرحلة مقاومة عفوية في مواجهة هجرة وتخطيط ووعي استراتيجي كامل من الصهاينة. وتجلت خطورة الأمر في: إعلان مشروع الدولة الصهيونية

(١٨٩٧)، وتغلغل الصهيونية في أجهزة الدولة العثمانية (يهود الدونمة) خاصة بعد الانقلاب الدستوري عام ١٩٠٨، واحتلال البريطانيين لفلسطين وإعلان وعد بلفور عام ١٩١٧، مما دفع الشعب الفلسطيني إلى الانتفاض والمقاومة والتسلح بالإرادة القوية رغم امتلاكه لأسلحة ضعيفة. واتخذت المقاومة خط التعبئة الصحافية والثقافية، وخط العمل السياسي والنضالي، مطالبة العثمانيين منع اليهود من التوطن والتملك، وساعية إلى إنشاء تجمعات وأحزاب لتعبئة الشعب وبناء الحياة السياسية والاقتصادية بما يكفل القدرة على المقاومة، والقيام بمهاجمة المستعمرات الصهيونية وممتلكاتها وقتل مستوطنيها وتنظيم التظاهرات الشعبية وتوزيع المنشورات المعادية وتشكيل جمعيات ولجان ذات طبيعة خاصة، كلجان منع بيع الأراضي والإشراف على الموانئ[٩٢]. وبوجه عام اتسعت المقاومة وتعددت في أشكالها ليتسنى لها منع استمرارية المشروع الصهيوني رغم عفويتها، فجاءت مرافقة لحركة الاستيطان الأولى وإن لم تأخذ طابعاً عاماً وقتها، إضافة إلى تدني شكل وأسلوب المواجهة، لكن حركة المقاومة لم تقف مكتوفة الأيدي، بل تصدَّت له باكراً ضمن إمكاناتها وقدراتها المتاحة آنذاك بوعيها الجنيني مرتقية تدريجياً ومتخذة وسائل وأساليب عدة في التعبير عن رفض ومقاومة المشروع الصهيوني[٩٣].

وشهدت المرحلة الثانية (١٩١٧– ١٩٢٨) تبلوراً للأطماع الصهيونية بعد الاحتلال البريطاني وصدور وعد بلفور، واتبعت المقاومة: أسلوب المؤتمرات فنظمت سبعة (١٩١٩– ١٩٢٨) بهدف تعبئة الشعب الفلسطيني، وأسلوب المشاريع الاقتصادية فأعلنت المقاطعة الشاملة وإنشاء صندوق الأمة لمجابهة بيع الأراضي،

وأسلوب المظاهرات في كل مدينة وقرية، وأسلوب الاتصالات الخارجية الذي تولية اللجنة التنفيذية للمؤتمر الإسلامي المسيحي عام ١٩٢١ ضمن نشاط دبلوماسي مكثف إقليمياً ودولياً قامت به كقائدة للحركة الوطنية الفلسطينية[٩٤]. وتطور العمل الوطني في السنوات الأولى من هذه المرحلة فوضع الميثاق الفلسطيني الأول في مؤتمر حيفا (١٩٢٠/١٢) الذي كان أول بنوده إقامة حكومة وطنية وتشكيل لجنة تنفيذية تتولى القيادة. وتوالت الانتفاضات الشعبية تعبيراً عن حالة القلق التي كانت سائدة مع فتح الأبواب للهجرة اليهودية والإجراءات القمعية لسلطات الاحتلال البريطاني والسلوك الاستفزازي لليهود[٩٥]. فبعد الانتفاضات المتكررة (١٩١٧-١٩١٩) التي جاءت رداً على وعد بلفور، كانت "انتفاضة موسم النبي موسى" في القدس (١٩٢٠) متخذة شكل الثورة المسلحة نتيجة خطف اليهود للعلم العربي أثناء احتفال الفلسطينيين بالموسم في القدس، والتي استمرت أسبوعين أسفر عنها ٤٨ شهيداً و ٧٣ مصاباً مقابل ٤٧ قتيلاً و ١٤٦ جريحاً من الجانب اليهودي[٩٦]. وتبعتها انتفاضة عام ١٩٢١ ومدتها خمسة عشر يوماً قام خلالها أهالي يافا بالهجوم على المستوطنات اليهودية المجاورة، وتصدى أهالي قلقيلية لهجوم يهودي لنهب المدينة مستعيناً بالجيش البريطاني وطائرته، فقاتلوا بشراسة وصدوا الاعتداءات، ثم انتشرت الانتفاضة في مدن رام الله والرملة والمجدل وطولكرم وباقي المدن[٩٧]. وأضربت المدن الكبرى في انتفاضة ١٩٢٢ احتجاجاً على الانتداب البريطاني وذلك في يومي ١٣ و ١٩٢٢/٧/١٤. وفيما بعد حدثت هجمات متبادلة بين الفلسطينيين والمستوطنين اليهود في يافا[٩٨]. وحدثت انتفاضة شاملة (٣/ ١٩٢٤)

خلال احتفال اليهود بعيد المساخر والتنكر "كرنفال إستر"، نتيجة استفزازات قام بها المستوطنون بارتداء ملابس هزلية تشير إلى رجال الدين الإسلامي طافوا بها الشوارع والأحياء، نجم عنها إضراباً عاماً[٩٩]. وانتفاضة أخرى عام ١٩٢٥، إثر زيارة اللورد بلفور لافتتاح الجامعة العبرية في القدس، أضرب خلالها الفلسطينيون إضراباً شاملاً[١٠٠].

واختتمت المرحلة الثانية بانتفاضة البراق (١٩٢٩)، فأحرق الفلسطينيون الأدوات التي جلبها المتدينون اليهود معهم عند حائط البراق لأول مرة، الذين اعتادوا زيارته وإقامة الصلاة فيه مدعين تسميته بحائط المبكى. وقد رفعوا العلم الصهيوني، ونفخوا في الصور معلنين أن غايتهم الأخيرة استملاك المسجد الأقصى تدريجياً، زاعمين كنه الهيكل مبتدئين بالجدار الغربي. وترتب على ذلك أن ألف الفلسطينيون جمعية "حراسة المسجد الأقصى". ولم تهدأ الأحوال إلا بعد صدور أمر رسمي من سلطة الانتداب ينفي أحقية اليهود في الحائط[١٠١].

وتميزت المرحلة الثالثة (١٩٣٠-١٩٣٩) بحدوث الثورة الكبرى التي دامت أكثر من ثلاث سنوات (١٩٣٦-١٩٣٩) بسبب عدم الاستجابة للمطالب بوقف الهجرة والاستيطان، وهي أهم حدث انتفاضي من حيث الزمان والمكان منذ بدايات المشروع الصهيوني (١٨٨١) وحتى انطلاقة الانتفاضة الكبرى (١٩٨٧)، شهدت بداياته إضراباً دام أكثر من ستة أشهر. وقد عكست بداية هذه المرحلة أداءاً متردداً وضعيفاً للقيادة الوطنية متبعة نفس خطوط العمل الوطني السابقة من اتصالات سياسية عربية ودولية وإرسال وفود وتنظيم

مؤتمرات وتصريحات شجب وإدانة، غير أن تحولاً حدث عندما شاركت اللجنة التنفيذية للمؤتمر الإسلامي المسيحي في بعض المظاهرات، حُلَّت على إثرها اللجنة، مما أدى إلى اتساع المشاركة الشعبية في التظاهر وتحولها إلى طابع العنف، أعقبها مبادرات شعبية بعقد المؤتمرات وتكوين اللجان الشعبية والقومية، والقيام بنشاطات اقتصادية وتكوين خلايا مسلحة. غير أن الثورة الكبرى لم تحقق أهدافها لأسباب عديدة منها: عدم توافر الدعم العسكري والمالي المطلوب، وعدم وجود قيادة سياسية قادرة ميدانياً، وضعف العرب والمسلمين عن الوقوف بقوة بجانب الفلسطينيين في مواجهة الحركة الصهيونية وبريطانيا العظمى، وانتهت المرحلة بقيام الحرب العالمية الثانية واستجابة قيادة الثورة لدعاوي الملوك والحكام العرب بوقفها، متحولة فيما بعد إلى العمل السياسي في إطار اللجنة العربية العليا[١٠٢]. وكانت هذه المرحلة قد استهلت بانتفاضة عام ١٩٣١ احتجاجاً على تسليح اليهود ومطالبة السلطات البريطانية باسترداده، ودعت اللجنة التنفيذية العربية البلاد إلى الإضراب العام الشامل (١٩٣١/٨/٢٣) اعقبته اصطدامات في نابلس ومدن أخرى، وعقد مؤتمر في نابلس (١٩٣١/٨/٣) وآخر إسلامي عام في القدس (١٩٣١/١٢/١) استنكاراً للسياسة الإنجليزية[١٠٣]. وانطلقت انتفاضة ثانية عام ١٩٣٣ من القدس ويافا بدأت بإضراب عام انطلق من الحرم القدسي (١٩٣٣/١٠/١٣) عقب صلاة الجمعة، وكان تظاهراً عدائياً للإنجليز فقط[١٠٤]. ووقعت بعد ذلك كله انتفاضة القسام المسلحة (١٩٣٥) التي استشهد فيها هو وزملائه، مكرساً هذا النهج ضد اليهود في عملية له قرب جنين في قرية "يعبد"، وتعبر هذه

الانتفاضة عن تحول كبير في المقاومة من أسلوب اللاعنف إلى أسلوب المقاومة المسلحة ضد الإنجليز واليهود معاً، كما أنها تعكس تحولاً في طبيعة العمل المسلح إذا أصبح منظماً ومخططاً له. ويرى البعض أن هذه الانتفاضة المسلحة تعد إرهاصة طبيعية للثورة الكبرى ومقدمة لحدوثها(١٠٥). وحدثت انتفاضة أخرى في العام نفسه انطلقت من يافا بعد اكتشاف حادثة تسلح أخرى لليهود أعلن على إثرها الإضراب العام الشامل، وشكلت لجنة للإضراب وأصدرت البيانات لتنظيم العمل الجماهيري(١٠٦).

وصدر في المرحلة الرابعة (١٩٤٠-١٩٤٩) قرار التقسيم (١٩٤٧)، وأعقبته نكبة سقوط فلسطين وهزيمة الجيوش العربية (١٩٤٨)، وإعلان قيام إسرائيل حتى خط الهدنة (١٩٤٩). وقد حدث في هذه المرحلة فراغاً قيادياً في فلسطين بعد انتهاء الحرب العالمية الثانية، حاول مجلس الجامعة العربية حله بتشكيل الهيئة العربية العليا برئاسة الحاج أمين الحسيني (١٩٤٦)، قامت بالعمل على ثلاثة مستويات: مستوى دولي بمقاطعة لجنة التحقيق الأنجلوأميركية، مستوى عربي بتلقي المعونات المالي والترحيب بقرار مجلس الجامعة (بيروت،١٧/١٠/١٩٤٧) بحشد الدول العربية قطاعات من جيوشها على حدود فلسطينية وتقديم السلاح وتدريب الشباب وإدخال الجيوش العربية فيما بعد إلى فلسطين، ومستوى محلي بإعداد القيادة الفلسطينية نفسها للمواجهة ولم تكن مؤهلة لإعداد بنية سياسية وعسكرية. وعندما أعلن قرار التقسيم وهب الشعب للمقاومة لم يكن لديه شيء من مقومات الاستعداد، فلا تنظيم مسلح ولا مؤسسات سياسية وعسكرية، وأحزاب غير حقيقية، ووضع عربي رسمي غير

مشجع. وقد شكلت لجان قومية لجمع التبرعات وشراء السلاح، وقيادة عمليات حيث كان في فلسطين ثلاث قوات: القوات النظامية العربية (٢٧ ألفا)، جيش الإنقاذ (٣آلاف)، القوات الفلسطينية وتشمل قوات نظامية ومحلية ترابط في مناطقها (١٥ ألفا)، وقوى شعبية مسلحة (٤٠ ألفاً) وجميع هذه القوى كانت تجهيزاتها بدائية أدت إلى الهزيمة ولم تكن هناك غرفة عمليات موحدة للجيوش، ولا قيادة محلية معترف بها، ولا عمليات هجوم ودفاع مدروسة جيداً، ولا استراتيجية ولا تكتيك، ولذلك جاء إعلان حكومة عموم فلسطين في غزة (١٩٤٨/٩/٢٣) هشاً ضعيفاً غير مدعوم بقوة تسانده[١٠٧]. وكانت قد وقعت خلال هذه المرحلة انتفاضة شاملة بدأت في القدس وانتقلت إلى جميع أنحاء فلسطين، عقب قرار التقسيم، أكد خلالها الحاج أمين الحسيني إلغاء قرار التقسيم ومواصلة الجهاد وفتح باب التطوع وتعيين عبدالقادر الحسيني قائداً عاماً وكذلك قادة للمناطق ودعوة كل مواطن إلى تسليح نفسه والحث على الوحدة وتناسي الخلافات. وقد استمرت الانتفاضة خمسة أشهر خلال عامي (١٩٤٧-١٩٤٨)، تخللها أعمال نسف وحوادث حرائق واشتباكات متبادلة بين العرب واليهود في القدس، ومقاومة فعالة وقوية في يافا واللد والرملة وباقي المدن[١٠٨].

ولم تشهد المرحلة الخامسة (١٩٤٩-١٩٦٣)، وهي مرحلة ما بعد الهزيمة، سوى تشريد وهجرة ونكبة للشعب الفلسطيني، وإلحاق غزة مع مصر والضفة مع الأردن. وظلت المقاومة مستمرة بصورة اختلفت أشكالها وتعددت ثم تطورت فيما بعد في كل الاتجاهات، معلنة تكوين أطر مقاومة سياسية في الأرض المحتلة دفاعاً عن

الأرض والهوية منها إنشاء "حركة الأرض". وقد حدثت عمليات هجوم فردية من بقايا المقاتلين، وظهرت دعاوي مقاومة الإمبريالية والأنظمة الرجعية من أنصار الاتجاه الشيوعي، الذي دارت بينه وبين الاتجاه القومي، الذي ركز على ضرورة الوحدة أولاً، صراعات سياسية. وتعد هذه المرحلة بمثابة إرهاصات ودعوة لبناء تنظيمات فلسطينية مقاومة[١٠٩].

واتسمت المرحلة السادسة (١٩٦٤- ١٩٨٢) بكثير من التطورات أبرزها احتدام الحروب وحدوث النكسة (١٩٦٧) وضياع باقي فلسطين (الضفة والقطاع والقدس)، واحتلال سيناء والجولان ومناطق من الأردن، ثم جنوب لبنان. ووقعت فيها اتفاقية كامب ديفيد (١٩٧٨) التي كانت بداية تحول استراتيجي في الصراع العربي الإسرائيلي على المستوى الرسمي. وقد استجابت هذه المرحلة لإرهاصات المرحلة السابقة بتشكيل منظمة التحرير الفلسطينية (١٩٦٤) وحركة فتح (١٩٦٥)، وظهور الفصائل الأخرى، في وقت كان الإخوان المسلمون يتصدرون حركة المقاومة في فلسطين، خاصة في غزة، خلال حقبتي الخمسينيات والستينيات، حيث تعرضوا خلالها لقمع النظام المصري الذي كان في حالة صدام مع الإخوان في مصر، وقد انعكس هذا الوضع على غزة. ولم تستطع المقاومة الفلسطينية خلال هذه المرحلة التطور عسكرياً وسياسياً ومؤسسياً، بسبب إبقاؤها أبعد ما يكون عن النظامية، لقلة الدعم المادي واستشراء الفساد السياسي والإداري والمالي في هياكلها، وميل قيادتها إلى الفردية في صنع القرار والارتجال السياسي، واتجاه كل فصيل للاختلاف مع قيادة المنظمة بسبب اتباعها لسياسة المحاور.

ولم تتجاوز الفعاليات العسكرية بضعة عمليات بطولية وكمائن ولم تتسم بعمليات ميدانية واسعة من الخارج. وجاء نشوء فتح والمنظمة تأكيداً لضرورة إبراز عمل فلسطيني سياسي بعد فشل الوحدة والقومية العربية في تحرير فلسطين، وكثرة الخلافات بين القوميين والشيوعيين، وجاءت حرب ١٩٦٧ لتؤكد ضرورة المقاومة المسلحة والنشاط الشعبي، فأصبحت الفترة (١٩٦٥-١٩٧٠) محور كل النشاطات. غير أن الأمور تبدلت بعد عام ١٩٧٠، وبدأ برنامج اتصالات سياسية يستهدف الحل السياسي منذ استبعاد الشقيري وتولي ياسر عرفات رئاسة المنظمة (١٩٦٨)، وظلت المقاومة الفلسطينية في إطار المنظمة والفصائل كما لو أنها نشأت لتوها، ودارت في دوامة الخلافات الداخلية، والصدام مع دولة الطوق المضيفة للقوات (الأردن، لبنان)، وهو ما أدى إلى عدم استثمار قواها بصورة فعالة ضد إسرائيل. وكان هذا الخلل متغلغلاً في كل أجهزة المقاومة السياسية والمدنية والشعبية في كل مراتبها من أعلى الهرم القيادي إلى أسفله، لذلك كانت الفعاليات السياسية والنقابية والشعبية محدودة، وأدى هذا الترهل بالاتجاه إلى التسوية السياسية التي كانت كامنة فيها منذ البدء، وأخذت تنمو منذ ١٩٦٨ لتعلن عن نفسها بعد ٩/١٩٧٠، ولتصبح اتجاهاً رئيسياً بعد حرب اكتوبر ١٩٧٣. وظهر مشروع الحل المرحلي في بداية السبعينيات ثم صار حديث التسوية رسمياً في اجتماع المجلس الوطني الفلسطيني(١٩٧٤) [١١٠]. ومع ذلك لم يكُفّ الشعب الفلسطيني في الداخل عن العمل السياسي والعسكري والشعبي رغم تحول قيادته في الخارج من مشروع حرب التحرير الشعبية طويلة الأمد إلى مشروع الحل السياسي المرحلي. فقد انتفض عقب

النكسة (١٩٦٧/٨) في الضفة وغزة بحركة جماهيرية ذات طابع يتسم باللاعنف في البداية، أُصدرت فيها البيانات والمنشورات والشعارات الجدارية وأُعلنت المظاهر العصيانية الأخرى كالإضراب والاعتصام وعدم الرضوخ لقرارات الاحتلال تأكيداً لرفضه ورفض مشاريع تهويد الأرض، أعقبتها مظاهرات طلابية وموجة من أعمال العنف المتصاعد. وتعتبر هذه الانتفاضة ردة فعل على ممارسات الاحتلال الهادفة لتقويض مقومات الاقتصاد الوطني الهش وتدمير الحياة الاقتصادية والاجتماعية، فأعلنت مقاطعة البضائع الإسرائيلية، ومقاومة الهجمة الانحرافية الافسادية، وشهدت مدن وقرى غزة منذ الشهر الأول للاحتلال انتشار ظاهرة بيانات وقصاصات الورق الصغيرة التي تدعو لمقاطعة المحتل ورفض عملية التطبيع معه، وتتالت أشكال المواجهات الجماهيرية بشيء من عدم التنسيق والتلقائية، وهي حالة لم تدم، إذ تم الانتقال إلى مرحلة تالية أكثر رقياً ونضجاً في مسار العمل الجماهيري[١١١]. وانتفضت النساء الفلسطينيات(١٩٨٦/٥) في مظاهرة ضمت أربعة آلاف امرأة ارتدين ملابس حداد، احتجاجاً على قرار إقامة عرض عسكري إسرائيلي في القدس العربية [١١٢]. واندلعت انتفاضة ثالثة في الضفة الغربية (١٩٦٩/٢) تميزت بعمقها واتساعها، وتعددت أشكال النضال التي مورست خلالها بسبب حرق المسجد الأقصى وحرق منبر صلاح الدين[١١٣]. وعمت غالبية المناطق المحتلة انتفاضة جماهيرية عارمة (١٩٧٤/١١) أحدثت شرراً وطنياً غير معد لها نتيجة الضربة الموجعة التي تلقتها إسرائيل بعد حرب أكتوبر لما لها من آثار اقتصادية دفعتها لاتخاذ إجراءات أشد في جني الضرائب، اختفت

معها مظاهر الإنعاش واشتدت أساليب القمع الصهيوني، مما أدى إلى تفعيل دور جبهة وطنية موحدة تأسست في ١٩٧٣/٨. وشارك في هذه الانتفاضة غالبية فئات وشرائح وطبقات المجتمع الفلسطيني[١١٤]. وانطلقت انتفاضة يوم الأرض (١٩٧٦) نتيجة لازدياد حملات القمع والمصادرة الإسرائيلية لمساحات واسعة من الأراضي المحتلة عام ١٩٤٨، أدت إلى زيادة حدة وسخونة الوضع الشعبي مع حكومة الاحتلال، فعقد مؤتمر شعبي في سخنين (١٩٧٦/٢/١٧) حضره أكثر من خمسة آلاف شخص، وآخر في الناصرة (٣/٦)، وتم التصدي لإجراءات المصادرة، ورفض التعويض، وأعلن إضراب عام في مختلف قطاعات الشعب. واعتبر يوم الأرض تحولاً جديداً ونوعياً في مسار المقاومة وقف خلاله الشعب كله في موقف وطني واحد[١١٥]. واكتسبت انتفاضة (١٩٧٧- ١٩٧٨) التي جاءت عقب زيارة السادات للقدس (١٩٧٧/١١/١٩) طابع الاحتجاج السياسي على نطاق واسع، حيث نهضت الحركة الشعبية وقواها الوطنية، ممتزجة بالمقاومة ذات الطابع المطلبي الاقتصادي. وفي هذا السياق تجذرت وازدادت أشكال المقاومة في الضفة والقطاع، وأخذت عمليات التمرد والانتفاضات الشعبية والمؤتمرات تتسع مشتملة المدن الفلسطينية كافة لمواجهة كامب ديفيد[١١٦]. واجتاحت الضفة والقطاع انتفاضة (١٩٧٩/١١) جاءت احتجاجاً لم يسبق له مثيل إثر اعتقال بسام الشكعة والسعي إلى إبعاده، مما اضطر سلطات الاحتلال إلى إلغاء القرار[١١٧]. تلاها انتفاضة ثانية (١٩٨٠) عقب محاولة اغتياله مع رؤوساء البلدية الآخرين إبراهيم الطويل وكريم خلف، مما أدى إلى مظاهرات عارمة عمت الأراضي المحتلة[١١٨]. واعتبر جذب العمل

المسلح لكوادر جديدة غير منتمية لفصيل سياسي معين، في انتفاضة حدثت أواخر العام١٩٨١، تحولاً في نطاق المقاومة الشعبية أدى إلى انتقال قطاعات واسعة إلى دائرة الفعل، منها الحركات النقابية والطلابية والعمالية والنسوية[١١٩]. واختتمت هذه المرحلة بانتفاضة دامت أكثر من ثلاثة أسابيع(١٩٨٢) شملت مظاهرات واسعة النطاق وإضرابات متواصلة وعمليات إلقاء قنابل وعبوات ناسفة وحوادث طعن بالسكاكين وقنابل مولوتوف حارقة، احتجاجاً على حل "لجنة التوجيه الوطني" و"مجلس بلدية البيرة"، وغزو لبنان[١٢٠].

واعتبرت المرحلة السابعة والأخيرة (١٩٨٢-١٩٨٧) فترة مخاض للجنين الذي طال انتظاره (الانتفاضة الكبرى)، منذ أن حملته أمه (المجتمع الفلسطيني) في أواخر القرن التاسع عشر. فبعد أن كرس الخروج الفلسطيني من لبنان عقب حرب ١٩٨٢ دور المنظمة الدبلوماسي، تصاعد المد الانتفاضي في الداخل (١٩٨٣)، فتواصلت المظاهرات والإضرابات وكافة أشكال المقاومة الاحتجاجية الأخرى خلال العام، وتصاعد المد الانتفاضي مستثمراً مناسبات وطنية عدة، بسبب زيادة البطش الصهيوني[١٢١]. وحدثت انتفاضة عام ١٩٨٥ كرد فعل على اقتحام سلطات الاحتلال لمخيمي الدهيشة والجلزون قرب بيت لحم واعتقال العشرات، بتهمة تأييد المنظمة وإلقاء الحجارة والقنابل الحارقة على مستوطنين أراد المنتمون منهم لحركة "هتحيا" العنصرية، بدعم قوات الشرطة والجيش، توسيع نطاق مستوطناتهم بالاستيلاء على الأراضي المجاورة لها. وقد امتدت الأحداث إلى الأحياء المجاورة واتسع نطاق الصدام ليشمل مختلف مدن وقرى ومخيمات الضفة والقطاع. وتزامنت هذه الانتفاضة مع تصاعد

المقاومة الوطنية في جنوب لبنان، وعقب الغارة الإسرائيلية على مقر المنظمة في تونس (١٠/١٩٨٥) [١٢٢]. وكانت انتفاضة (١٢/١٩٨٦) الأعنف منذ انتفاضة يوم الأرض عام ١٩٧٦، بدأت بقتل قوات الاحتلال لطالبين من جامعة بيرزيت، وسرعان ما امتدت أحداث التظاهر الواسع المصحوب برجم رموز الاحتلال (جيش وشرطة ومستوطنين) بالحجارة، إلى رام الله ونابلس والقدس وغزة وخان يونس، ثم إلى بقية المدن والقرى، معلنة الإضراب العام لثلاثة أيام.وقد أدى الحجم الهائل من المعاناة والاضطهاد خلال هذه الانتفاضة، التي قدمت ٢٦ شهيداً بانتهاء العام، إلى دفع الناس للعمل المسلح الشعبي، وهو تحول كبير في الظاهرة الانتفاضية أدى إلى اكتمال معالمها والاقتراب من أبعادها. وقد أدى اندلاع شرارة هذه الانتفاضة في جامعة "بيرزيت"، وهي حادثة جعلت الجامعة بؤرة الحدث، وتضافر بقية الجامعات معها على الفور ثم تنادي بقية المؤسسات الوطنية في المدن والقرى المشاركة، إلى تنامي الدور الوطني للجامعات الفلسطينية بصورة أكثر تنظيماً وانضباطاً في التظاهر. مما أدهش سلطات الاحتلال التي لم تتوقع حدوث نمط مقاومة انتفاضي يشترك فيه الجماهير الواسعة، ظناً منها أنها استطاعت كسر روح المقاومة[١٢٣]. وانتهت هذه المرحلة بانتفاضة في مطلع عام ١٩٨٧، فلم يكد يمضي أسبوعان حتى خرجت مدينة خان يونس منتفضة نحو أسبوع في تظاهرات عنيفة تندد بأمر إبعاد بحق أحد المواطنين الشبان بحجة أنه عنصر قيادي محرّض بين الشباب، ثم اتسع نطاقها إلى بقية مدن وقرى ومخيمات الأرض

المحتلة، وقامت الجامعات بدور مميز قذفت خلاله رموز الاحتلال بالحجارة وهو الطابع الغالب على مثل هذا الإجراء الإسرائيلي(١٢٤).

وهكذا اتصف الفعل الانتفاضي عبر المراحل السبع المذكورة بالاستمرارية والارتقاء، متميزاً في كل مرحلة عن التي سبقتها ببعض التحولات. وتعتبر الدراسة هذه المراحل في جوهرها إرهاصات للانتفاضة الكبرى، فقد شهدت المراحل الست الأولى نمو الجنين شيئاً فشيئاً (١٨٨١- ١٩٨٢)، ومع اقتراب ولادته شهد فترة مخاض دامت بضعة سنوات (١٩٨٢- ١٩٨٧)، خرج بعدها الجنين سليماً معافى. وتأسيساً على ذلك ترى وفق الرؤية التاريخية أن النظام الانتفاضي بمكوناته وآلياته وسماته ومنجزاته نمى شيئاً فشيئاً منذ العام ١٨٨١ وتغلغل وتشعب تدريجياً، مؤكداً نشوء مجتمع جديد ونمط حياة جديدة وقيادة جديدة وحدوث تحولات سياسية واقتصادية واجتماعية وثقافية ونفسية في المجتمع الفلسطيني ، جاءت نتاج عوامل ذاتية وموضوعية تشير إلى أن التاريخ الوطني الفلسطيني في سلسلة حلقاته المتتالية شديد الترابط والتماسك ولا تنفضم عراه، وبالتالي لا يمكن قراءة مرحلة من مراحله بشكل مستقل عن الأخرى. فقد انتقلت المقاومة من العفوية والارتجال إلى مستوى أرقى يتسم بالوعي والتخطيط، وارتفعت الحركة الوطنية إلى درجة متقدمة من المواجهة مع إسرائيل على كل الصعدالكفاحية والتنظيمية والحضارية، وطورت الشخصية الفلسطينية لتكتمل مرحلة التأسيس تمهيداً للانطلاق(١٢٥).

جـ- الدروس والعبر المستخلصة من الذاكرة:

يعتبر إدراك الأخطاء والإقرار بها وبعوامل الضعف والقصور انطلاقاً من روح النقد البناء والذاتي، من أهم الدروس المستفادة من الذاكرة الانتفاضية. ومن أهم الأخطاء وعوامل القصور التي شهدتها المقاومة في مسيرتها خلال القرن العشرين، الاستهانة بقوة إسرائيل المدعومة بمساندة القوى العظمى والنظام الدولي وعدم تقديرها جيداً، وعدم الاستعداد الكافي لمواجهتها، وتأخر المشاركة العسكرية الفعالة، وقبول هدنة ١٩٤٩ بضغط أجنبي حسم الموقف لصالح الصهاينة (أكبر خطأ عربي في التاريخ الحديث)، وتواني الأمة عن تجنيد قواها العسكرية والسياسية والاقتصادية، وضعف القيادات وضيق أفقها، وحدوث التنافر بين القوى السياسية (الإخوان وفتح، الإخوان والشيوعيون، المنظمة والفصائل، الإسلاميون والعلمانيون)، رغم أنه كان من الصعب في مطلع القرن التمييز بين الحركة الوطنية والظاهرة الإسلامية حيث كانتا كتلة واحدة[١٢٦]، فقد جمع الحاج أمين الحسيني بين الزعامتين الدينية والسياسية، واعتبر الشيخ عزالدين القسام إمام مسجد يافا نموذجاً للزعامة العسكرية. وبوحه عام وجهت للقيادة الفلسطينية العديد من الانتقادات لأخطائها، في الوقت الذي أثني فيه دائماً على انتفاضات الشعب الفلسطيني على مر التاريخ، ووصفت قراراتها وسلوكياتها بالارتجال السياسي في الوقت الذي عكس الشعب روحاً كفاحية عالية، رغم أنه لم يحقق من هباته التلقائية وانتفاضاته المتكررة نتائج سياسية موازية، بل وخسر جميع معاركه لأنه قاوم ضمن ظروف وشروط غير مواتية[١٢٧].

ويمثل الاحساس الدائم بالخطر العام والشامل من ممارسات الاحتلال لتهويد الأرض وإحلال المستوطنين اليهود محل السكان

الأصليين، درساً اقتضى حتمية المواجهة الشعبية من الداخل، لاسيما في ظل ما يتهدد المقدسات الدينية (حادثة البراق ١٩٢٩، إحراق المسجد الأقصى ١٩٦٩، حفر نفق أسفل الحرم القدسي كأمثلة). وقد اُكتسب هذا الإحساس ، بالتنامي التدريجي طوال المرحلة الجنينية البطيئة للظاهرة الانتفاضية (١٨٨١-١٩٨٧)، مؤدياً إلى نضوج سياسي ميداني، تصدرت فيه الانتفاضات الشعبية ومقاومة الاحتلال قائمة أولويات المهمات اليومية للحركة الوطنية الفلسطينية[١٢٨].

وتؤكد الذاكرة التاريخية من جهة ثانية على دور القوى العظمى والنظام الدولي (بريطانيا، ثم الولايات المتحدة) في حماية إسرائيل وبناء قوتها بتزويدها بأحدث الأسلحة والتقنيات العسكرية وتغيير موازين القوى في المنطقة لصالحها، واللجوء لطرق الالتفاف السياسي وعدم الالتزام بالتعهدات أو تحقيق المطالب الفلسطينية، باستخدام أسلوب المبادرات ولجان تقصي الحقائق، كوسيلة لإجهاض الانتفاضات والثورات. ويبدو واضحاً من ردود الفعل الشعبية تأكيد معرفة الفلسطينيين بحقيقة نوايا القوى العظمى وعدم التأمل كثيراً في وعودها أو ضماناتها[١٢٩]. فضلاً عن قناعتهم بعدم تغيير هذه القوى لاستراتيجيتها طويلة المدى في التعامل مع إسرائيل، من منطلق الرؤية الوظيفية للدولة الصهيونية بلغة د. عبد الوهاب المسيري المشار إليها في البداية.

ومن الدروس المستفادة أيضاً: دور التحول من العفوية إلى الأطر التنظيمية والمؤسسية في تطوير حركة المقاومة الفلسطينية ونموها بصورة متسارعة، ودور المجتمع الانتفاضي كفاعل رئيسي في انتفاضة شعبية طويلة الأمد مع المحتل في ظل ضعف القيادة وعدم

ملائمة البيئتين الإقليمية والدولية ومعاكستهما وسلبيتهما، والتشديد على البعد الفلسطيني المقاوم للاحتلال في المقام الأول وعلى البعدين العربي والإسلامي للقضية الفلسطينية في المرتبة الثانية رغم عدم ملائمة البيئة الإقليمية لذلك، وإدراك مدى فاعلية العمل الانتفاضي والمقاوِم من الداخل ومحدوديته من الخارج لتعرضه لأزمات وصراعات وصعوبات وتضررات كثيرة، والتأكيد على أهمية الحاجة إلى التضحيات والثمن الباهظ لتحقيق الإنجازات واجتياز العقبات. ومن العبر المستخلصة كذلك الإشارة إلى مصدر قوة الثورة الكبرى، في تأليفها بين قيادة موحدة وجماهير متدخلة بكامل ثقلها وفئاتها وشرائحها وطبقاتها، وتوفيرها لوسائل متعددة في المقاومة جمعت بين العنف واللاعنف، معتبرة أن اللاعنف لا يكون قوياً إلا إذا تزامن معه العنف(١٣٠).

و تشير الدراسة إلى ستة دروس رئيسية وعتها الانتفاضة الكبرى من الذاكرة على وجه العموم: يأتي في طليعتها ضرورة إشراك المجتمع الفلسطيني بكافة قواه وفضائله وشرائحه وطبقاته للانتفاض في وجه المحتل من خلال المجمع بين سرية التنظيم وعلنية العمل الشعبي، ويليها أفضلية الاعتماد على الذات في ظل الضعف العربي والإسلامي، ثم حتمية وضوح الرؤية نحو هدف الاستمرارية في المقاومة حتى إزالة الاحتلال وتأسيس الدولة المستقلة، والتأكيد على قيمة الوحدة الشاملة في المقاومة الانتفاضية (خاصة على المستوى الشعبي الذي يضم فلسطينيي الضفة والقطاع والمناطق المحتلة عام ١٩٤٨ الذين حاولت إسرائيل فصلهم واعتبارهم مواطنين إسرائيليين، وعلى مستويات أخرى منها: الداخل والخارج، المهاجر

والمواطن، السني والـدرزي، المسـلم والمسـيحي)، ودور وحـدة القيـادة الوطنية والإسلامية وفاعلية تأثيرها في الـداخل وإشـرافها المباشـر علـى تطور المقاومة، وأهمية فهـم القيـادة لواقـع الدولـة الصـهيونية وتقـدير إمكاناتها[١٣١].

وهكذا تشكل الـذاكرة المشـتركة عـاملاً مـن عوامـل التوحـد[١٣٢]، تساعد فـي تشـكيل مكونـات الظـاهرة الانتفاضـية، باعتبـار الـذاكرة تتضمن فتـرة حمـل اسـتغرقت قرابـة القـرن (١٨٨١-١٩٨٢) وفتـرة مخاض استمرت سـت سـنوات (١٩٨٢-١٩٨٧)، أعقبتهـا ولادة الجنـين (١٩٨٧) الذي نما وترعرع واستوى على سـوقه، وأصـبح قـادراً علـى الحركة والإنجاز بصورة أقوى بمرور الزمن.

٢- البيئة الانتفاضية:

تُعَّرف البيئة بأنها مجمل الظـروف والتفـاعلات المحيطـة بالظـاهرة، التي تمتلك تأثيرات إيجابية أو معاكسة عليهـا. وتتفـاوت البيئـة فـي قـوة تأثيرها من ظاهرة إلـى أخـرى، وبـاختلاف عـاملي الزمـان والمكـان للظاهرة الواحدة. وتخضع العلاقـة بينهـا(بشـقيها الـداخلي والخـارجي) وبين الظاهرة إلـى فكـرة الاعتمـاد المتبـادل. فللبيئـة دور فـي نشـوء الظاهرة الانتفاضـية يـرتبط بـالظروف المحليـة والإقليميـة والدوليـة، ستكتفي به الدراسة فـي هـذه النقطـة الآن، وللظـاهرة انعكاسـات علـى البيئة قد تكون كبيرة وقوية تؤدي بـدورها إلـى ردود فعـل تعـد بمثابـة تغذية عكسـية مـن البيئـة قـد تكـون مسـاندة أو معارضـة للظـاهرة الانتفاضية والفعل الانتفاضـي، سـيتأجل تناولهـا إلـى المبحـث التـالي مراعاة لاعتبارات منهجيـة وتلافيـاً للتكـرار. ومـن جهـة ثانيـة فـإن المجال الزمني للبيئة الانتفاضية الذي سـيتم التطـرق إليـه الآن ينحصـر

في الفترة ما بين عامي ١٩٨٧، و ٢٠٠١، على اعتبار أن فترة ما قبل هذا التاريخ رجوعاً إلى العام ١٨٨١، تمثل الذاكرة الانتفاضية التي تم تناولها في النقطة السابقة متضمنة الظروف المحيطة بها. وهي كما ذكرت الدراسة قبل قليل فترة الحمل والمخاض. وكذلك فإن تحليل النموذج الانتفاضي الفلسطيني بمكوناته وآلياته وسماته سينصرف في المبحثين التاليين إلى نفس الفترة (١٩٨٧-٢٠٠١) التي حدثت فيها الولادة ثم النمو وقوة التأثير وسعة الانتشار.

وقد ولدت الانتفاضة (١٩٨٧-٢٠٠١) من رحم بيئة محلية يتحكم فيها الاستعمار الصهيوني بتمايزاته الخاصة، فهو استعمار استيطاني مزروع، يمتلك فلسفة وإستراتيجية وهدف للمواجهة، تستند إلى ذاكرة دينية تجعل الأمر لا يتعلق بعدو عادي، أورد القرآن الكريم، باعتباره إطاراً مرجعياً مهماً في هذا السياق، أهم سماته، في إطار النموذج الإسرائيلي الذي يمثل كيانه عنصراً مهماً جداً في البيئة الانتفاضية (إرهاب الدولة، النموذج التوسعي تحت غطاء الأمن، المبادئ الصهيونية، مميزات الكيان الأخرى). كما أنه يمثل بحكم إطار التعامل السياسي الممتد ترمومتراً لمقياس قوة العرب والمسلمين[١٣٣]. ومن جهة ثانية فإن قوة هذا المحتل تؤدي إلى اختلال هائل في موازين القوى العسكرية بينه وبين الجانب الفلسطيني[١٣٤]، الذي تعرض على المستوى الرسمي (ممثلاً في منظمة التحرير الفلسطينية ثم السلطة الوطنية فيما بعد)، لانتقادات شديدة بسبب التوجهات السلمية المصحوبة بتنازلات كبيرة وضعف الأداء الديمقراطي وعدم تطوير القوة وتغلغل الفساد الإداري والمالي والسياسي في أبنية وهياكل المنظمة والسلطة، وهو ما يحتاج إلى تصحيح أوضاع السلطة وإعادة بناء المنظمة[١٣٥]. غير أن نقاط القوة الموجودة في المجتمع الفلسطيني رغم تبعيته للاحتلال وخضوعه لآلياته[١٣٦]،

الذي تفوق بقوة إرادته على الجانب الإسرائيلي، تجعل التوازن الاستراتيجي قائماً، فلا يستطيع الإسرائيليون القضاء على الفلسطينيين والعكس صحيح[١٣٧].

وتعكس البيئة الإقليمية واقعاً تحكمه التجزئة وغياب برنامج عمل تنظيمي عربي[١٣٨]، وتفوُّق إسرائيل العسكري على العرب مجتمعين. فالأوضاع العربية متردية ومتقهقرة ومتراجعة، أدت إلى مزيد من الاعتدال السياسي والتحدث بلغة التسوية، وحين غارت الطموحات والأحلام السياسية والأماني الاستراتيجية إلى القاع تمادى الرعب في اعتدالهم مبالغين في الهبوط السياسي إلى درجة متدنية أظهرت ضعفهم وابتذالهم بحيث أصبحوا في دائرة "الاعتلال السياسي"[١٣٩]. وجاءت قمة عمان (١٩٨٧/١١/٢٦) مخيبة للآمال الفلسطينية والعربية بسبب تصدر الحرب العراقية الإيرانية جدول أعمالها، ولتخييم توتر العلاقات الفلسطينية الأردنية على أجواء المؤتمر[١٤٠]. وساد السلام كخيار استراتيجي تبناه القادة العرب معتبرين هدف الوصول إليه يكون فقط من خلال العملية التفاوضية، مما أدى إلى شيوعة تعبير التطبيع حيث أقامت دول عربية علاقات دبلوماسية محدودة أو كاملة مع إسرائيل (عُمان، قطر، تونس، الأردن..) [١٤١]. وهكذا بدأت الانتفاضة في ظل ظروف عربية غير مواتية على صعيد الصراع[١٤٢]. وبالرجوع إلى الظروف الإقليمية لانتفاضة ١٩٨٧ يُلاحظ أن التشدد الإسرائيلي كان قائماً برفض مشاركة منظمة التحرير في أي مفاوضات، ومن ثم كانت إسرائيل لا تعترف بالمنظمة كممثل للشعب الفلسطيني، وفي ذات الوقت كانت القضية الفلسطينية قد همشت نسبياً نتيجة لانشغال الدول العربية بالحرب العراقية الإيرانية، كذلك كانت المنظمة وفصائلها في حالة شتات بعد الخروج من لبنان (١٩٨٢)، ومن ثم لم تكن قادرة على القيام بأية

أعمال من الخارج ضد قوات الاحتلال في الضفة والقطاع[١٤٣]. وقد انطلقت انتفاضة الأقصى (بعد سبع سنوات انقضت على انتفاضة الحجارة وسبع أخرى مرت على توقفها المؤقت لاستعادة قواها لتستطيع المواصلة) في ظل أوضاع فلسطينية وإقليمية مختلفة عما كان قائماً عام ١٩٨٧. فاعترف الإسرائيليون بالمنظمة كممثل شرعي وحيد للشعب الفلسطيني، كما أعلنت القيادة الفلسطينية اعترافها بالقرار ٢٤٢ الصادر من مجلس الأمن، وهو ما يعني اعترافاً ضمنياً بوجود إسرائيل، وبأن نطاق الأراضي الفلسطينية هو الأراضي المحتلة عام ١٩٦٧، وتوصلت القيادة إلى اتفاق أوسلو مع إسرائيل، وإلى عدة اتفاقات بعد ذلك أدى تنفيذ جانب منها إلى إقامة سلطة وطنية على جزء من الأراضي الفلسطينية في الضفة والقطاع بعد انسحاب إسرائيل منها، ومن ثم تجسدت واقعياً سلطة فلسطينية كانت شريكاً مع القوى الإسلامية والفصائل الأخرى في مساندة الشعب في انتفاضته الأخيرة[١٤٤].

وقد حدثت العديد من المتغيرات الخطيرة ذات الأثر المباشر على الفلسطينيين فيما يتعلق بالأوضاع الإقليمية، فقد ازداد الضعف العربي والخلافات العربية الداخلية بعد كارثة الغزو العراقي للكويت، وقد كان موقف القيادة الفلسطينية من الكارثة عاملاً من عوامل إضعاف القدرات الفلسطينية خاصة من الناحية الاقتصادية، في ظل تراجع تأييد بعض دول الخليج خاصة الكويت للفلسطينيين سياسياً واقتصادياً. وأدى هذا الغزو إلى فرض حصار دولي على العراق ساهم في خروجه من دائرة القوة العربية، الأمر الذي أدى إلى مزيد من الخلل في توازن القوى العربية الإسرائيلية لصالح إسرائيل، وازدياد الوزن النسبي للولايات المتحدة في المنطقة بصورة غير مسبوقة، أعادت ترتيبها بما يتواءم مع مصالحها[١٤٥]. وقد قادت مسيرة السلام، التي بدأت بمؤتمر مدريد والتوقيع على اتفاقية أوسلو ومعاهدة السلام الأردنية

الإسرائيلية وعدم التوصل إلى اتفاق على المسار السوري، إلى إضعاف التنسيق فيما بين دول الطوق، وخاصة تردي العلاقات السورية الفلسطينية. وفي الوقت نفسه نجحت قوات حزب الله اللبناني في إجبار إسرائيل على الانسحاب من الجنوب (باستثناء مزارع شبعا). وبدا واضحاً فيما بعد حرص الجانب الإسرائيلي على فرض سلام معين على المنطقة ليحقق مصالحه على حساب مصالح الأطراف الأخرى مستنداً إلى وضعية توازن القوى القائمة لصالحه، مما أدى إلى الانتهاء إلى طريق مسدود وتعثر عملية السلام وتردي الأوضاع الاقتصادية في الأراضي الخاضعة للسلطة الفلسطينية، ومنع ندفق المساعدات المتفق عليها لإصلاح البنية الاقتصادية بالقدر المطلوب، بسبب ضغط إسرائيل باستمرار على الدول المانحة للضغط على الجانب الفلسطيني في المفاوضات ليقدم تنازلات أكبر(١٤٦).

وقامت الانتفاضة في ظل بيئة دولية مواتية للمشروع الصهيوني(١٤٧)، فلم تعالج القضية في قمة الدولتين العظميين إثر لقاء جورباتشوف مع ريجان بعد أن كانت الأنظار متجهة إلى تلك القمة(١٤٨)، وشهدت ظروف تحول عالمي جاء في طليعتها بداية تفكك المعسكر الشرقي وتراجع الاتحاد السوفياتي كقطب رئيسي في العالم انهار لاحقاً، وبداية ظهور نظام عالمي جديد تنفرد فيه الولايات المتحدة الأميركية بالنفوذ والهيمنة، وتلتزم في الوقت ذاته بالحفاظ على إسرائيل الحليف الاستراتيجي في المنطقة(١٤٩). وكانت العلاقات السوفياتية الأميركية قد بدأت تأخذ اتجاهاً جديداً بعد وصول جورباتشوف إلى الحكم، الذي أعلن العديد من المبادرات لإعادة بناء العلاقات مع الولايات المتحدة على أسس جديدة من التفاهم وتبادل المصالح، ومن ثم كانت النقاط الساخنة في العالم ومنها الشرق الأوسط مرشحة لأن تدخل في دائرة التجميد لحين الوصول إلى صيغة جديدة

للعلاقات الأميركية السوفياتية، في حين استمر الدعم الأميركي الاستراتيجي لإسرائيل وبدأت في الوقت ذاته بوادر هجرة يهود سوفيات إلى فلسطين[١٥٠]. وعكس غياب الحرب الباردة نفسه على الموقف السوفياتي الأميركي، في الوقت الذي أكد فيه السوفيات على الدولة الفلسطينية أو على الأقل على رغبات الشعب الفلسطيني في تقرير مصيره، وأنهم يريدون دوراً أكثر إيجابية بين العرب وإسرائيل، ومن جهة ثانية لم تعد القضية الفلسطينية بالنسبة للولايات المتحدة تدخل في إطار الصراع بين الشرق والغرب، بل أصبح ينظر إليها من الزاوية الإقليمية وتأثيرها على مصالح الدول الكبرى وليس من منظار التنافس الدولي[١٥١]. ولوحظ بوجه عام اهتمام البيئة الدولية بحل الصراع العربي الإسرائيلي من خلال التسوية السلمية والمفاوضات وبرعاية القوى العظمى، فقد طرحت استراتيجية السلام بدل الحرب والتفاوض بدل المقاومة والانتفاض[١٥٢]، إلا أن التحيز الأميركي الواضح لإسرائيل وسكوت القوى الدولية الأخرى ومطالبة الفلسطينيين بتنازلات أكبر تشمل المقدسات الإسلامية نفسها، أدت إلى فشل ذريع أصاب عملية السلام[١٥٣]، أراد خلاله الإسرائيليون يؤيدهم الأميركيون الضغط على الفلسطينيين عن طريق استخدام العنف بصورة لم يسبق لها مثيل، شملت استخدام الطائرات الحربية المقاتلة (إف ١٦، أباتشي) والدبابات والصواريخ المتطورة في مواجهة شعب أعزل وسلطة ليس لديها سوى بعض القطع الخفيفة من السلاح الذي يسهل حمله باليد، وهو ما دفع الوضع إلى الانتفاض.

وهكذا أسهمت البيئة بدور واضح في صعود الظاهرة الانتفاضية الفلسطينية بعد خبو دام سبع سنوات عادت فيه أكثر قوة بوحدة الصف الفلسطيني (سلطة، قوى وطنية، حركة إسلامية، كافة فئات وشرائح المجتمع

الفلسطيني)، بعدما تبين فشل مشاريع التسوية، وسيطرة روح التشاؤم على رجل الشارع الفلسطيني من أن المجتمع الدولي يمكن أن يعيد له حقوقه المشروعة، خاصة بعد إدراكه للمساندة والتأييد الكبيرين اللذان تحظى بهما إسرائيل دائماً، مما حدا بالبعض القول بأن النظام الدولي الجديد (والعولمة) مقدمة لإقامة إسرائيل الكبرى[١٥٤]. وكان للضغوطات الكبيرة التي تعرضت لها الأمتين العربية والإسلامية من البيئة الدولية (ما حدث للعراق والشيشان، والبوسنة، وكوسوفا، والصومال..) نصيب من التأثير البيئي. إلا أنه ورغم ذلك تعتبر الدراسة أن البئية المحلية، بما تتضمنه من احتلال صهيوني وظروف اجتماعية واقتصادية صعبة وفساد مالي وإداري وسياسي، تشكل العامل الأساسي المؤثر على الانتفاضة والمؤدي إلى تفجيرها واستمرارية.

٣- أسباب الانتفاضة

دافع الانتفاضة ومحركها الرئيسي هو الاحتلال الصهيوني لفلسطين[١٥٥]، ويرجع انطلاقها نتيجة تراكمات طويلة ولست وليدة حادث منفردة[١٥٦]، ولذلك تعتبر الذاكرة من ناحية والبيئة من ناحية أخرى التي شهدت تراجع الاهتمامات العربية الرسمية والدولية بالقضية وإهمال حق تقرير المصير للشعب الفلسطيني[١٥٧] أهم أسباب نشوء الفعل الانتفاضي، وخاصة البيئة المحلية كما ذكرت الدراسة مسبقاً، حيث حرصت سلطة الاحتلال على فرض سيطرتها وتحكمها في الظروف السياسية والاجتماعية والاقتصادية الداخلية من خلال هيمنتها على : البنية التحتية، العمالة الفلسطينية، الأسواق، في إطار ما سمي باستراتيجية دايان لإلحاق الضفة والقطاع بإسرائيل والسيطرة عليهما تماماً، ومن خلال إنشائها المستمر للمستوطنات أملاً في هضم ما تبقى

من الأراضي المحتلة وجعلها تابعة لإسرائيل[١٥٨]. ويعتبر البعض أن المؤثرات السلبية لقانون الاحتلال وعنفه ووحشيته واستغلاله الاقتصادي للمناطق المحتلة هي الأسباب الفعلية الملموسة[١٥٩]. ويرى آخرون علاوة على ذلك أن مصادرة الأرض وغياب الحرية السياسية وفرض أسلوب العقاب الجماعي والحصار الشامل، والصعوبات التي تواجهها الأسر الفلسطينية في الداخل، فضلاً عن نمو التيار الإسلامي وحدوث التطور المؤسسي التنظيمي للنظام الانتفاضي، وكذلك عدم الاستجابة للمطالب الشعبية الفلسطينية الأربعة عشر التي قدمها د. ساري نسيبة عام ١٩٨٧، هي المقدمات الحقيقية للانتفاضة[١٦٠]. ويعتبر اتجاه ثالث أن الممارسات الإسرائيلية بحق مدينة القدس على وجه التحديد، وخاصة الحرم القدسي، ومحاولات التهويد التدريجية لها والممارسات الاستفزازية لسكانها والمعاناة المفروضة عليهم هي التي قدحت شرارة الانتفاضة في القدس قبل انتشارها إلى كل أنحاء فلسطين، وكذلك الاعتداءات المتكررة للمستوطنين اليهود ضد الأحياء والقرى العربية في القدس ومحاصرتها بتكثيف الاستيطان. والأهم من هذا كله هو الاعتداءات على المقدسات الإسلامية، كحادثة إحراق المسجد الأقصى وإطلاق النار على المصلين والسيطرة على حائط البراق، محاولين إثبات أنه من مقدساتهم الدينية (حائط المبكى)، فضلاً عن أعمال الحفريات أسفل الحرم، وتطلع المتطرفين منهم (كجماعة أمناء الهيكل) إلى إقامة هيكل سليمان على أنقاض المسجد الأقصى، كي تستقر دولتهم وتدوم[١٦١].

ويتصور البعض الأخر أن من عوامل تفجير الانتفاضة، حالة الشقاق الثوري التي عاشتها منظمة التحرير والقوات الفلسطينية بعد توزعها على سبع دول عربية ليست من دول الطوق، والتي دامت أكثر من خمس سنوات، بالإضافة إلى مجموعة من الأحداث المهمة التي كان لها انعكاساتها على

الوضع الفلسطيني في الأرض المحتلة منها : مبادرة فاس، اتفاق ١٩٨٢/٥/١٧ الموقع بين إسرائيل والحكومة اللبنانية الذي أسقط في مارس ١٩٨٤، الانشقاق داخل المنظمة الذي قاده أبو موسى وأبو صالح، الاتفاق الأردني الفلسطيني، حرب المخيمات في لبنان وما نجم عنها من حصار للمخيمات لم ينته إلا بقيام الانتفاضة، الاقتتال بين الفصائل في مخيمات لبنان(١٦٢)، تعرض المقاومة للضرب والتهجير بعد غزو لبنان (١٩٨٢) وتشتت آلاف الفلسطينيين(١٦٣).

ويركز اتجاه ثاني على الممارسات الصهيونية، ومنها : سياسة الضغط الاقتصادي التي تفرضها إسرائيل على المواطنين الفلسطينيين في مجالات : فرص العمل، الضرائب الباهظة، منع إقامة المصانع، التقنين الرهيب في مسائل تصدير المنتوجات وبخاصة الحمضيات، والاستيلاء على شركة كهرباء القدس، ومنها سياسة القمع التي وفَّرت بيئة نفسية مواتية للانفجار. ويذهب البعض إلى أن ارتفاع صوت دعاة التعايش الصهيوني العربي، وإقامة العلاقات مع مثقفين إسرائيليين، وبروز دواعي ترفض المقاومة المسلحة كانت ضمن عوامل نشوء الفعل الانتفاضي(١٦٤).

ويعتقد أصحاب التوجهات السلمية أن حالة اليأس والإحباط التي وصل إليها الشعب الفلسطيني بعد تعثر التسوية وفشل كامب ديفيد الثانية (٢٠٠٠/٧)، واتباع إسرائيل والولايات المتحدة لمنهج هجومي ضد السلطة الوطنية وضد عرفات بتحميله مسؤولية فشل القمة، هي السبب الرئيسي لبروز الظاهرة الانتفاضية مرة أخرى، كما أن زيارة شارون للأقصى وانتهاكه مؤكداً المزاعم الصهيونية بحقها في الحرم القدسي وإقامة الهيكل، وهو ما يشكل مساساً بمقدسات المسلمين وبالقيمة الرمزية التي لا تقبل التصاعد عليها أبداً، هي المفجر لها(١٦٥).

وتعددت الآراء من المنظور الإسرائيلي حول دوافع الانتفاضة، فهناك من يرجعها إلى ظروف الاحتلال ومحاولة المحتل استغلال المناطق اقتصادياً، إضافة إلى استخدام الأيدي العاملة العربية الرخيصة داخل إسرائيل واستغلالها إلى إلى أقصى حد ممكن، إلا أن هناك خلافاً في الرأي بين الإسرائيليين أنفسهم حول أهيمة الضائقة الاقتصادية كدافع للانتفاضة، والواقع أن المطالب الأربعة عشر التي قدمت يوم ١٩٩٨/١/١٤ تعبر عن جانب من الدوافع، وقد دارت جميعها حول ضرورة احترام إسرائيل لبنود معاهدة جنيف الرابعة حول : حماية المدنيين وممتلكاتهم في الأرض المحتلة عسكرياً، وإلغاء حالة الطوارئ والإفراج عن المعتقلين في السجون الإسرائيلية، وإلغاء كل أحكام الطرد، والرفع الفوري للحصار المفروض على مخيمات اللاجئين، وسحب الجيش الإسرائيلي من كل المراكز السكنية، وفتح تحقيق حول تصرفات الجنود والمستوطنين، ووقف سياسة الاستيطان ومصادرة الأراضي وإعادة الأراضي لأصحابها، والامتناع عن أي عمل يتعرض للمقدسات الإسلامية أو المسيحية أو يسعى لتغيير الوضع القائم في القدس، وإلغاء الضريبة على الدخل وإعادة كل الأموال المخصومة، وإلغاء كل القيود المفروضة على رفض البناء ومشاريع التنمية الصناعية والزراعية وحفر الآبار الجوفية، ووضع حد لسياسة التفرقة التي تمارسها في حق إنتاج الأراضي المحتلة الصناعي والزراعي، ورفع القيود المفروض على شحن البضائع، وإزالة القيود على الاتصالات السياسية بين سكان الأراضي المحتلة ومنظمة التحرير بما يسمح للأهالي بالمشاركة في أعمال المجلس الوطني الفلسطيني. ولاشك أن عدم استجابة إسرائيل لهذه المطالب الحيوية دفع الناس للانتفاض[١٦٦].

من الأسباب المباشرة بالنسبة لانتفاضة ١٩٨٧، حادثة حاجز إيرز (١٩٨٧/١٢/٨) التي داهم فيها صهيوني بشاحنة عن عمد سيارتي بيجو تقلان عمالاً استشهد أربعة منهم وأصيب تسعة آخرون، بدأ بعدها مسلسل المظاهرات العنيفة التي امتدت إلى كل فلسطين بتمرد شعبي شامل. فضلاً عن مطاردة الفدائيين وحادثة عملية الطائرة الشراعية وحادثة قتل أحد الجنود الصهيانة[١٦٧]. ومن الأسباب غير المباشرة التي ترسبت في الوجدان الفلسطيني إنكار الصهانية للحق الفلسطيني في بناء كيانه السياسي ومؤسساته الوطنية البديلة عن الإدارة المدنية للاحتلال، وسياسة القضم والضم والهضم المتبعة تجاه الأراضي. وابتلاع الاقتصاد الفلسطيني بفروعه المختلفة وحرمان الناس من التمدد السكاني، ونشوء جيل جديد عانى من كل هذه السلبيات وعايشها، مما أدى إلى تشكيل أزمة يعاني منها في ظل الاحتلال. فهو في وضع معيشي صعب يتعرض لحصار تجاري ومالي وتسويقي وضرائبي ذات نتائج وخيمة على حياته، تمس جوانب التغذية والسكن والصحة وموجهة إلى مختلف شرائح المجتمع وفئاته، كما أنه في وضع مادي قمعي يخيم عليه جو من التعذيب الجسدي ونسف المنازل والإبعاد والاعتقالات، ووضع معنوي نفسي يتمثل في الاحتقار والإذلال في تمييز عرقي وديني واقتصادي وثقافي وأمني، علاوة على استفزاز المشاعر الاجتماعية والدينية[١٦٨]. وبوجه عام تكمن القوة الفاعلة للحدث الانتفاضي في أسباب ومعطيات عديدة أدت إلى الغليان المحتقن الذي انتظر الشرارة ليأخذ مساره للانفجار[١٦٩]. كما أن أسباب قيامها متراكمة ومتشابكة ومتداخلة، منها الداخلي ومنها الخارجي، والبارز والكامن والذاتي والموضوعي، والمباشر وغير المباشر[١٧٠]، وكذا الرئيسي والثانوي. ولأن

الظاهرة الانتفاضية لها صفة الاستمرارية فإن أسبابها مازالت متجددة ومتفاعلة(١٧١).

ثالثاً: مكونات النظام الانتفاضي

تميز الدراسة، استفادة من أفكار كارل دويتش الاتصالية وجابرييل ألموند الوظيفية البنائية فيما يتعلق بدراسة النظم السياسية، بين ستة مكونات للنظام الانتفاضي هي: أبنية الانتفاضة ووظائفها التي تمثل أجهزة الإرسال؛ الرسائل الصادرة عنها في صورة معلومات محددة تسعى من ورائها إلى تحقيق أهداف معينة؛ قنوات الاتصال التي تنقل هذه الرسائل إلى أصحابها؛ الجهات المستقبِلة التي تتلقى المعلومات فتستوعبها وتتفاعل معها في ضوء قيمها ومصالحها الخاصة؛ التغذية الاسترجاعية الصادرة عن المستقبِل في صورة قرارات أو سياسات أو سلوك، جاءت كردود فعل على ما تلقته من رسائل، وشكلت بدورها منبهاً لأبنية الانتفاضة كي تستمر في عملية تدفق المعلومات؛ والبيئة الداخلية والخارجية المحيطة بالنظام الانتفاضي، بما تتضمنه من مقدمات وعوامل دافعة لنشوء الفعل الانتفاضي، وذاكرة وقيماً وظروفاً محلية وإقليمية ودولية مؤثرة على العملية الانتفاضية وعلى نشوء النظام الانتفاضي نفسه، وقد تم تناولها مسبقاً، لذلك ستكتفي الدراسة الآن بعرض المكونات الخمسة الأولى :

١- أبنية الانتفاضة ووظائفها :

تشتمل أجهزة الإرسال على العديد من الأبنية الرئيسية والفرعية، تقوم كل منها بوظائف تتلاءم مع طبيعتها وإمكاناتها وتتوافق مع

المهام الملقاة على عاتقها، وتشكل في مجملها بنية ووظيفة الإرسال في النظام الانتفاضي.

المجتمع الانتفاضي :

ويمثل المجتمع الانتفاضي الفلسطيني- بسماته العامة، وأدواره، وواقعه، وخطابه، وجوانب التمايز والاندماج فيه، والتحولات التي طرأت عليه بسبب الفعل الانتفاضي؛ وببلورته لمؤسسات مدنية اجتماعية وسياسية وشعبية ومهنية قامت بالوظائف التي تؤديها الدولة في الظروف العادية- البنية الكبرى الأم التي تتفرع عنها الأبنية الرئيسية والفرعية للنظام. فهو يخضع لسيطرة استعمار استيطانى إحلالي دفعته مواجهته، إلى محاولة تكوينية انتفاضية بصيغة أكثر فاعلية واندماجية واعتماداً على الذات، وإلى إعادة صياغة الكثير من المجالات في الحياة الفلسطينية انسجاماً مع الطموح الاستقلالي. ويشهد المجتمع الفلسطيني حالة تغير مستمر بفعل القوى الداخلية والخارجية، ولا يزال يعيش حالة تكونه المتحول، سواء في مجال هويته أو اقتصاده أو مؤسساته أو ثقافته أو وضعه السياسي وأنظمته وعلاقاته الاجتماعية، وفقاً لتقلبات الظروف والمستجدات الزمانية(١٧٢).

ويشترك مع المجتمعات العربية الأخرى في كثير من الصفات مثل التخلف والفقر والتبعية، لكنه يتميز بخصوصيته كمجتمع انتقالي، تواصل عملية تشكله تحت الاحتلال بشكل هادئ أو منتفض، من خلال توحيد أعضائه والتمسك بهويته وتراثه وحقه في الحياة، محاولاً الخلاص من المحتل بكل ما يمثله من سياسات وقيم وضغوط، وممارساً ضغطاً داخلياً قوياً باتجاه كافة بناه الذهنية والمادية. وهو

يعانى أصلاً من قلة مـــوارده ونهـــب خيراتـــه وهـــدم هياكلـــه ومقوماتـــه، ورغم ذلك يحاول تجديد ذاته وبناء ملامحها وتحديـــد أهدافـــه فـــي ضـــوء الممكن. إنه مجتمع تعددي يعترف صـــراحة بوجـــود أوضـــاع اجتماعيـــة سياسية متباينة، ويتكون مـــن عـــدة جماعـــات وقـــوى متنافســـة، وتؤكـــد الحركة الفكرية النشطة وحرية التعبير التي تشـــهدها ســـاحته علـــى عمـــق التوجه والاختيـــار الـــديمقراطي للجمهـــور الانتفاضـــي، إذ اعتـــاد علـــى انتخاب مسئوليه انتخاباً مباشـــراً وعلنيـــاً. وهـــو مجتمـــع قيمـــي يراعـــي مكونات ثقافته الأساســـية، ويطـــور منظومـــة قـــيم جديـــدة لإبـــراز قـــوة تحكمها في شبكة العلاقـــات المجتمعيـــة، معمقـــاً الطـــابع الشـــعبي العـــام للفعل الانتفاضي بشـــموليته لكافـــة فئـــات المجتمـــع مـــع تفـــاوت وعـــيهم وثقـــافتهم(١٧٣)، ويوضـــح الخطـــاب السياســـي للمجتمـــع الانتفاضـــي أن القوى والفئات الفلسطينية قد اتخـــذت موقفـــاً أكثـــر تقاربـــاً إزاء القضـــايا الوطنية والقومية، وثبت من جهـــة ثانيـــة مقـــدرة البعـــد الإســـلامى علـــى إعادة صياغة هوية المجتمع بطريقة تمكنه مـــن الانتصـــار علـــى المحتـــل بعد أن تم توظيفه كعامل مقاوم وتوحيدي، وهو مـــا يؤكـــد علـــى الـــوعي الانتفاضي العام الذى يعكـــس الـــتلازم بـــين الانتمـــاءات الثلاثـــة: الـــديني والوطني والقومي، خاصة بالنســـبة لانتفاضـــة الأقصـــى. ويعتبـــر الـــولاء العـــائلى الأكثـــر رســـوخاً وتكـــاملاً بـــين الـــولاءات التقليديـــة الأخـــرى الموجودة في مجتمع الانتفاضة، وقـــد حـــدثت فيـــه تحـــولات ملموســـة إذ أفرزت الانتفاضة نمطية واضحة للعلاقات المعتمـــدة علـــى أســـس فكريـــة سياسية إلى جانب العلاقات العائليـــة، وأحيـــت العائلـــة نمـــوذج الاقتصـــاد الأسري والبيتي موظِّفة التماســـك الأســـرى فـــي القيـــام بمهـــام التكامـــل الاجتماعي والاقتصادي والحمايـــة الشـــعبية للأفـــراد ولمصـــادر رزقهـــم،

وهو ما أثبت مقدرة التنظيم العائلى وولاءاته على التكيف مع الفعل الانتفاضي[١٧٤]. ويتسم المجتمع الفلسطينى بقدرته على توظيف ما أحدثته الانتفاضة من تحولات إيجابية للأخذ بأسس تمايز واندماج جديد بدلاً من الأسس التقليدية المرتبطة بالتمايز الطبيعى القائم على ملكية الأرض أو رأس المال أو وسائل الإنتاج وطرقها وعلاقتها. ويعتبر الدخل من أسس التمايز الاجتماعي الجديدة، حيث تم التعامل معه وفق صيغة إدماجية حتمت على ميسوري الحال التقيد بنمط الاستهلاك التقشفي، لإحداث حالة تقارب معيشية نسبية في الوسط السكاني، ومن ثم إنشاء وحدة اجتماعية متكاملة. ووفق صيغة تمايزية في مستوى دخل مختلف الشرائح، حيث تعرضت فئات واسعة لتدمير مصالحها المعيشية، وخاصة في القرى والمخيمات والأحياء الفقيرة في المدن نتيجة للإضرابات الطويلة، مما أدى إلى التمايز في مصالح الفئات الاجتماعية. وساهمت مظاهر أخرى مثل ترشيد الاستهلاك وتشجيع الصناعات والمنتجات المحلية في إحداث هذا التمايز، فتوقفت كثيراً من المصانع المحلية. وفي الوقت نفسه حققت مصانع الألبان والمواد الغذائية ومصانع الملابس ثروات كبيرة وحدث تحول في معايير المكانة التقليدية للعائلة بسبب الفعل الانتفاضي ليقدرها مقياس الولاء الوطني، متفوقاً على معايير الثروة والملكية والمستوى الثقافي والتعليمي . مما أدى إلى صياغة أكثر إدماجية في المجتمع الفلسطينى، اعتمدت على مدي المشاركة في الفعل الانتفاضي، وأحدثت تحولاً في العلاقة بين الأجيال لتصبح أكثر انصهاراً أو تماسكاً وتوحداً أو تضامناً، على أساس ديمقراطي يقوم على توزيع الأدوار بين كافة الفئات العمرية: الأطفال، الشباب، الكبار. وأدت

كذلك إلى التحول في العلاقة بين الجنسين، حيث تسامح الرجل مع المرأة، وشاركت في مجالات العمل الانتفاضي المختلفة، وانخفضت المهور وتراجعت المعايير المألوفة في الزواج لتعطي الأولوية للشباب المنتفض حتى ولو كان فقيراً أو معتقلاً. وشهدت العلاقات الأسرية في المجتمع الانتفاضي تحولات إيجابية أيضاً على المستويات الاقتصادية والاجتماعية والسياسية، فتنامى الاقتصاد المنزلي، وتحقق المزيد من التضامن الاجتماعي، وتوزعت انتماءات الأسرة على عدة اتجاهات فكرية وسياسية، وحافظت على اجتماعاتها الشعبية لمناقشة آخر التطورات المحلية[١٧٥]. ومن التحولات الاجتماعية والسياسية التي أحدثتها الانتفاضة في المجتمع الفلسطيني بوجه عام، تشكيل أطر تنظيمية قيادية جديدة وأكثر ديمقراطية، أحدثت تغيراً في ميزان القوى بين الشرائح الاجتماعية لصالح الأغلبية التي تقطن الأحياء الفقيرة والقرى والمجتمعات، وولادة قيم وأنماط سلوك جديدة، جاء في طليعتها انتشار ظاهرة التكافل الثوري من خلال تنظيم مساعدة الأسر، والتنظيم الجماعي لمختلف جوانب الحياة في المناطق المحاصرة أو المحررة، والإعفاءات من الديون وبدل الإيجارات أو تخفيضها أو تأجيلها، وتأكد أهمية العمل المنتج والاعتماد على الذات، وعقلنة الاستهلاك، ونشوء روح تضامن ثورى، وإحداث تغير في بعض العادات والتقاليد الاجتماعية. ومن هذه التحولات أيضا تعزيز مكانة المرأة وقيام مشاريع إنتاجية جماعية- تعاونية[١٧٦].

وهكذا مارس المجتمع الانتفاضي الفلسطيني كثيراً من الأشكال الإدماجية والتمايزية، وأحدث تحولات إيجابية على كافة المستويات

والصعد الاجتماعية والسياسية والاقتصادية، صهرت جميع قواه وعناصره في بوتقة الفعل الانتفاضي، وأصبح مؤهلاً كبنية كبرى في النظام الانتفاضي للقيام بوظائفه المذكورة التي تمد الأبنية الأخرى المنبثقة عنه بالفاعلية والنماء والارتقاء والاستمرارية.

الأطر التنظيمية :

ويتضمن جهاز الإرسال في النظام الانتفاضي العديد من الأبنية الرئيسية والفرعية، المندرجة في إطار البنية الأم؛ منها ما يصنف وفق الأطر التنظيمية التي تسيِّر الانتفاضة، فيفرق بين الأطر القيادية والأطر الشعبية؛ ومنها ما يبوب حسب المكان، فيثار الحديث عن دور المخيمات، ودور القرى، ودور الأحياء الفقيرة في المدن، ودور فلسطينيي المناطق المحتلة عام ١٩٤٨؛ ومنها ما يقسم وفق الفئة أو الشريحة الاجتماعية، فيتم التطرق إلى دور الأطفال، ودور العناصر الشابة، ودور المرأة والاتحادات والجمعيات النسائية؛ أو وفق منظور النخب والقوى السياسية والدينية، فيميز بين دور النخب والقوى الوطنية، ودور النخب والقوى الإسلامية، ودور الفصائل التابعة لمنظمة التحرير الفلسطينية، ودور المساجد والمؤسسات الدينية الإسلامية، ودور المسيحيين الفلسطينيين؛ أو وفق نوع العمل الذى يقوم به أصحابه، فيتم تناول دور العمال، والفلاحين، والتجار، والصناع، والطلبة، والموظفين، والحرفيين؛ والعاملين في مجال التعليم، والصحة، والبلديات؛ وأيضاً دور المهنيين كالأطباء، والمهندسين، والمحامين، والصحافيين، والكتاب، وأساتذة الجامعات، والمدرسين. وترى الدراسة بالنسبة لهذه الأبنية أنها تقوم بثلاثة أنواع رئيسية من الوظائف، يندرج في إطارها وظائف فرعية أصغرها،

هي : الوظائف العسكرية- الميدانية، الوظائف المعيشية- الاقتصادية، والوظائف الإدارية- السلطوية.

الأطر القيادية :

فيما يتعلق بالأطر التنظيمية المسؤولة عن إدارة الانتفاضة يومياً، وهي السلطة الثورية [١٧٧]، البديلة لسلطة الاحتلال [١٧٨]، فقد لوحظ غيابها وغياب قيادة مركزية ذات برنامج عمل انتفاضي في المرحلة العفوية الأولى، التي لعبت المبادرة الجماهيرية فيها الدور الأساسي في تسيير فاعليات الانتفاضة [١٧٩]، إلى أن حدث التحول إلى الطابع المنظم ونشوء سلطة من طراز جديد [١٨٠]. وتبين بعد تشكيل الأطر القيادية التي اتخذت مجموعة قرارات وإجراءات لإثبات وجودها ولتكوين نوايا قاعدية تأسيسية لسلطة وطنية بديلة لتوجيه النشاطات في كافة مجالات الحياة[١٨١]، أنها تزداد تماسكاً وتوحداً بتصاعد الانتفاضة وارتقائها. فإثر قيام الانتفاضة الكبرى عام ١٩٨٧ تشكلت قوتان رئيسيتان لقيادتها : أحدهما تمثلها قيادة حركة المقاومة الإسلامية حماس، والأخرى تتبع منظمة التحرير الفلسطينية، وهي القيادة الوطنية الموحدة التي كانت تتألف من أربعة فصائل أعضاء في المنظمة[١٨٢]. وقد كانت تركيبة قيادة الانتفاضة ذات بنية غير معروفة للعامة، وهذا أحد عوامل نجاحها[١٨٣]، ولكن التنافس والاختلاف، وفي بعض الأحيان التصارع، كان واضحاً بين القوتين، حتى في أمور تتعلق بسير الحياة اليومية للانتفاضة، كتحديد موعد الإضرابات أو الخروج للمظاهرات. إلا أن الوضع اختلف في انتفاضة الأقصى عام ٢٠٠٠، حيث تجلى الاتفاق والتوحد بين جميع الأطر القيادية : القيادة الوطنية التي تمثل مختلف الفصائل والقوى

السياسية، القيادة الإسلامية، وقيادة السلطة الوطنية. وقد فسر كثير من الكتاب الفلسطينيين أصحاب التوجهات الوضعية منشأ الخلاف بين القوتين الإسلامية والوطنية إلى قعود التيار الديني عن الجهاد واكتفائه بالدعوة منذ عام ١٩٦٧ وحتى بداية الانتفاضة، التي اعتبروها قد أحرجت هذا التيار واضطرته مرغماً الدخول إلى حلبة الصراع مع العدو الصهيوني، مما أدى إلى إزالة أسباب الخلاف بينهما(١٨٤)، وذهب البعض منهم إلى أبعد من ذلك مشككاً في وطنية الإخوان المسلمين، بأنهم دخلوا تحت اسم آخر (أي حماس) حتى إذا ما فشلت الانتفاضة استطاعوا تبرئة أنفسهم والتنصل مما قامت به حماس أمام سلطة الاحتلال(١٨٥). وترى الدراسة عدم منطقية مثل هذا التوجه الذي يعكس التحيز وعدم الموضوعية العلمية والانطلاق من أحكام مسبقة تعود إلى الخلاف الفكري والأيدلوجى، خاصة أن القوى الإسلامية أعلنت فيما بعد استراتيجيتها لحل الصراع برفض الاعتراف بالعدو أو التفاوض معه واستمرارية المقاومة بكافة أشكالها والانتفاضة بشتى فعاليتها، على عكس ما ذهبت إليه القوة الأخرى، حيث اعترفت بالعدو وتفاوضت معه متنازلة عن كثير من الحقوق طمعاً في كيان فلسطيني ناقص السيادة.

والقيادة العليا للانتفاضة الكبرى ليست قيادة جماعية بالمفهوم التقليدي، بقدر ما هي قيادة جماهيرية تنكر ذاتها بسريتها المطلقة وتحسسها لرغبات الناس، مفضلة البقاء في الظل كي لا تتعرض للكسر، وتتصف بالمرونة والوعي والمركزية، ويتوافر لديها إدراك متكامل للواقع السياسي والاقتصادي والاجتماعي العسكري للدولة الصهيونية وتقدير إمكاناتها وردود فعلها، ولها برنامج مقاومة (١٨٦)

تركزت جهوده في بناء مؤسسات وأطر شعبية منظمة تشمل كافة الفلسطينيين، بحيث يشعر كل منهم بأنه له دوراً في هذه الانتفاضة. وتمثلت مساعي البرنامج في تشكيل هيئات قيادية للمناطق على مستوى المدن والقرى والأحياء والمخيمات، مرتبطة بها سياسياً وتنظيمياً وتتلقى منها كافة التعليمات والتوجيهات المتعلقة بسير الانتفاضة (١٨٧). وتضطلع هذه الأطر القيادية العليا بأدوار انتفاضية متعددة، فهي تقوم بدور الهيئة التنسيقية بين جميع الفاعلين الذين يؤدون أدواراً انتفاضية محددة في إطار شبكة العلاقات الانتفاضية في المجتمع الفلسطيني (١٨٨). وتلعب دوراً أساسياً في وضع بنى صلبة دعامتها لجان شعبية تتولى القيادة الميدانية للانتفاضة(١٨٩) ولها الفضل في الدعوى إلى استقالة العاملين في مؤسسات الاحتلال، وترشيد الاقتصاد والاختصار في النفقات، وتدعيم أواصر التعاون بين الأسر، وتوجيه نشاطات القوى الاجتماعية وتفعيلها على كافة المستويات، وتمويل أهداف ومطالب الانتفاضة إلى سياسة يومية يجرى تطبيقها ومتابعتها على الأرض، والامتناع عن دفع الضرائب والغرامات الباهظة والجائرة التي تفرضها سلطة الاحتلال، وتشجيع الاقتصاد الوطني، ومقاطعة البضائع والسوق الإسرائيلية (١٩٠). ولا تترك مناسبة أو مكان لمجتمع إلا وتستغله لتحقيق المزيد من التنظيم والتعبئة والتحريض لخدمة الانتفاضة (١٩١). وتتضح خصوصية النموذج القيادي الانتفاضي في أن غالبيتهم من أبناء الجيل الذي ترعرع في ظل الاحتلال، ومع ذلك فهم يحملون كل سمات النخبوية فكراً وممارسة ووعياً، ولم يصلوا إلى موقع القيادة بحكم أصولهم العشائرية أو تراثهم المادي، بل بمواكبتهم للفعل الانتفاضي

وإبداعاتهم فيه[١٩٢]. واكتسبت هذه القيادة احترام الجماهير المنتفضة، وخاضت المعركة الضارية مع الاحتلال وإدارته المدنية- العسكرية، فاستطاعت تفكيك أجهزته، وإيجاد مؤسسات شعبية بديلة تنظم حياة الناس وتؤمن الحماية لهم [١٩٣]. إلا أنه من جهة أخرى فقد لوحظ ارتباط التفاعل القيادي مع الانتفاضة بتوجيهات كل قوة من القوى المحركة للانتفاضة، ولذلك أدى تباين الموقف واختلاف الرؤى وتشعب الأهداف إلى حصول تقاربات وتناحرات بين قوى وأخرى. وحرصت المساعي الأمريكية والإسرائيلية،على فصل قيادات الداخل عن الخارج لممارسة الضغط على المنظمة، لقبول حل معتدل فيه تنازلات مناسبة لإسرائيل، والواقع حدوث تلاحم بين قيادات الدخل الخارج والتنسيق بينهما. وظل الخلاف الأساسي قائماً بين قيادة حماس والقيادة الموحدة. ولوحظ خلال الانتفاضة الأولى حدوث تحولات طرأت على نفوذ ومكانة القيادات السياسية في الداخل بفعل ديناميات الانتفاضة، فقد ازدادت قوة وتأثيراً وفقاً لمدى فاعليتها وتفاعل تشكيلاتها المختلفة مع الانتفاضة، وحدوث تحول في معايير النفوذ والمكانة فأصبح الفعل الانتفاضي والمشاركة فيه هو المعيار الرئيسي [١٩٤].

أما بالنسبة لانتفاضة الأقصى، فيمكن التفرقة بين مستويين للأطر القيادية في ظل وجود السلطة الوطنية وانتقال القيادات إلى الداخل : مستوى قيادة السلطة والمؤسسات التابعة لها بما في ذلك قوات الأمن الفلسطينية، حيث تركز نشاطها في حق الدفاع عن النفس ضد الهجمات الإسرائيلية المسلحة، ومستوى قيادة التنظيمات الميدانية التابعة لمنظمة فتح، إضافة إلى عناصر الأجنحة العسكرية لتنظيمات

المعارضة، خاصة الإسلامية منها التي تقوم بعمليات هجومية واستشهادية[١٩٥] . وبوجه عام قامت جميع الأجنحة العسكرية الوطنية والإسلامية بعمليات عسكرية متنوعة الأسلوب، كانت الأكثر قوة وتأثيراً تلك التي نفذها الإسلاميون الاستشهاديون. ولوحظ أنه درجة التنسيق في لغة الخطاب الانتفاضي بين القيادات على صعيد مختلف القوى السياسية كانت عالية مقارنة بما كان عليه الحال في الانتفاضة الأولى. فبينما كانت تدار الانتفاضة الكبرى من خلال تعددية نسبية في أطراف اتخاذ القرار الخاص بفاعليتها، فإن انتفاضة الأقصى تتم عبر مركزية نسبية في عملية اتخاذ القرارات الخاصة بها. ، فالسلطة الوطنية تسيطر إلى حد بعيد على فعالياتها مستندة إلى تواجد القيادة الفلسطينية في الداخل [١٩٦]. وقد تعرضت قيادة السلطة لانتقادات كثيرة بسبب تفشي ظاهرة الفساد المالي والإدارى في أجهزتها، ونتيجة لتوجهاتها السياسية والتفاوضية التي تميل إلى تقديم تنازلات كبيرة، مما أثار الحديث عن ضرورة تصحيح أوضاعها، فقد قامت أصلاً محدودة الصلاحية بموجب اتفاق أوسلو، حيث اعتبرها البعض لا تختلف كثيراً عن ملامح السلطة التي كانت تتمتع بها البلديات الفلسطينية تحت الاحتلال. لذلك افتقرت إلى أهم مقوماتها وهو السيادة، وقصرت مهمتها على إدارة الشؤون الأهلية الذاتية، تحت سيادة سلطة عليا ممثلة في الاحتلال الإسرائيلي. وبذلك لا تصبح السلطة حكومة بمقاييس النظم السياسية، ولذلك ظهرت دعاوى إعادة بناء السلطة الفلسطينية على أسس جديدة تتجاوز هذه السلبيات، وإصلاح منظمة التحرير الفلسطينية وتفعيل دورها من جديد على نفس مبادئها وأسسها التي نشأت عليها[١٩٧].

الأطر الشعبية :

تمثل اللجان الشعبية بتقسيماتها المختلفة ونظامها الفريد قاعدة الانتفاضة والسلطة السياسية والمحلية التي تولت تدريجياً مهام أجهزة الإدارة المدنية الإسرائيلية[١٩٨]. وتعتبر بمثابة الأداة المؤسسية والإدارية البديلة السلطة الاحتلال[١٩٩]، في ظل ظروف الحصار ونشوء المناطق المحررة[٢٠٠]. وتعكس بشبكيتها المتميزة مدى تشعب النظام الانتفاضي في المجتمع الفلسطيني، وتعد بقيادتها الميدانية الشابة النشطة والفعالة والمليئة بالحيوية[٢٠١]، العمود الفقري للانتفاضة[٢٠٢]. وقد عرفها الفلسطينيون منذ عام ١٩٣٦ تحت اسم " اللجان القومية"، كاحتجاج شعبي على السياسات الاستعمارية، فهي ليست ظاهرة جديدة بالنسبة لهم، حيث استخدموها لتنظيم أنفسهم كي يتسنى لهم كشعب القدرة على مواجهة المستعمر. واعتمدوا عليها كتعبير عن الحاجة، فتشكلت اللجان لحل بعض المشكلات التي واجهت الناس مع بداية الانتفاضة الكبرى. وتمثلت بداية نشاطاتها عند إقامة نوع من الحرس المدني في كل منطقة، ثم جرى توسيع صلاحياتها محلياً لتتحول في ظل غياب قيادة مركزية إلى إدارات ذاتية متخصصة في كل جانب من جوانب الحياة الاجتماعية[٢٠٣]، حتى أصبحت على مستوى الأرض المحتلة أشبه بإدارة حكومية متكاملة أو بعبارة أخرى نواة حكومة. ولم تنشأ هذه اللجان كأطر تنظيمية فجأة، وإنما كامتداد لمؤسسات واتحادات وجمعيات ونقابات مهنية كانت موجودة قبل نشوء الانتفاضة، فقد أدت حالة التنظيم السائدة إلى انبثاقها السريع كأطر قاعدية تشكل البناء التحتي التنظيمي للانتفاضة بما يكفل استمرارية نشاطاتها وفعاليتها[٢٠٤].

وتقوم اللجان الشعبية بمهمتين أساسيتين هما: مواجهة سياسات وممارسات سلطة الاحتلال وجنودها والرد عليها بشتى السبل، والاهتمام بالمصالح اليومية للناس[٢٠٥]. وتشكلت لجان فرعية لها في كل حي ومدينة وقرية ومخيم، لتنظم مسار الانتفاضة ولتخفف العبء عن كاهل اللجان الشعبية الرئيسية. مما أدى إلى نشوء مشبكة متشعبة في كل مكان. وظلت هذه اللجان تتوالد وتتغذى وتتكيف مع الظروف الجديدة حتى ثبَّتت وضعها كإطار مؤسسي شعبي نال ثقة الجميع، مكتسبة بذلك شعبية حقيقية، ساعدها على ذلك الإطار الخدمي الذي أدَّته، متيحاً لها التفاعل الواسع مع مختلف فئات وشرائح المجتمع الفلسطيني ودورها في مقاومة الاحتلال. وقد تجاوزت اللجان دورها التنظيمي والتنفيذي لتضطلع بدور سياسي يضع الانتفاضة في مسارها الصحيح باتجاه التحرر وإقامة الدولة والسلطة البديلة الموازية لسلطة الاحتلال[٢٠٦]، فضلاً عن دورها في تنظيم المواجهات اليومية الشاملة في الأرض المحتلة لضمان استمرارية الانتفاضة. وتقوم لجان أخرى مندرجة في إطارها بوظائف اجتماعية واقتصادية وثقافية وكفاحية متعددة. ويميز في هذا السياق بين نوعين: لجان ضاربة تتصدى لجنود الاحتلال وممارسات المستوطنين، ولجان متخصصة تُعنى بكافة مجالات الحياة، بحيث تجعل لكل فئة وقطاع وشريحة ومهنة في المجتمع الانتفاضي لجنته الخاصة به التي تقوده وتحركه[٢٠٧].

فتنفذ اللجان الضاربة مواجهات نوعية (إلقاء زجاجات حارقة، مهاجمة المراكز الصهيونية، الطعن بالسكاكين، استخدام الأسلحة النارية..)، وتقوم بتأديب العملاء، وضبط الوضع الداخلي. وتشرف

على تنفيذ مقررات اللجان الشعبية فيما يتعلق بتنفيذ الإضرابات ومقاطعة البضائع الصهيونية والامتناع عن العمل في المصانع الإسرائيلية. فضلاً عن توليها مهام الحراسة وعمليات المراقبة والإنذار وإعداد المتاريس والشراك للإيقاع بالجنود والمستوطنين ، والمشاركة في نجدة القرى والأحياء التي تتعرض للضغط أو الحصار. وتشكل اللجان الضاربة قوة في ضمان أمن الداخل وصد الاعتداءات من الخارج. وقد تطور عملها مع تصاعد الانتفاضة، وبرزت أهميتها عندما أعلنت القرى النائية مناطق محررة. وتكفلت فيما بعد بتأمين إجراءات الحماية من الإنذار إلى الاشتباك مع العدو(٢٠٨).

وتشمل اللجان المتخصصة قطاعات الزراعة، والصناعة، والتجارة، والعمالة، والتموين، والتعليم، والصحة، والعمل التطوعي، والدعاية والتثقيف، والعمل التعبوي والإعلامي. وهناك لجان أخرى تعنى بشؤون المرأة، والشباب، وأسر الشهداء، ومعتقلي وجرحى الانتفاضة وأسرهم. وهناك أيضا لجان لأصحاب رؤوس الأموال الوطنية والمقتدرين وميسورى الحال، وأخرى لسائقي وساط النقل العامة، وللمثقفين والمعلمين والكتاب والمبدعين والصحافيين، ولأصحاب مستودعات ومصانع الأدوية والصيدليات(٢٠٩).

فقد انخرطت اللجان العمالية في جبهة المواجهة الاقتصادية بمقاطعة العمل الإسرائيلي واستحدثت فرصة عمل بديلة في الضفة والقطاع، وأدخلت تعديلات على أداء المؤسسات الصناعية بالانفصال عن المؤسسات الصهيونية، وإلغاء عقودها معها بصورة نهائية، وتم بدلاً من ذلك تشغيل المصانع الفلسطينية ساعات إضافية وصلت إلى

٢٤ ساعة يومياً بعد زيادة الطلب على المنتجات وفي ظل توفير اليد العاملة. وبرز دور اللجان العمالية في إيجاد فرص عمل للعمال الذين قاطعوا العمل في إسرائيل والذين يعانون من البطالة، والمطالبة بحقوقهم في المؤسسات الوطنية، كرفع الأجور لمواجهة تدني القيمة الشرائية للعملة وارتفاع الأسعار، ولتخفيف العبء عن المستأجرين منهم بدعوة أصحاب العقارات لإجراء خصم بنسبة ٢٥ % من أجور عقاراتهم(٢١٠).

وحدث تعاون في المجال الزراعى بين لجان : الفلاحين، والعمال، والإغاثة الزراعية، والعمل التطوعي. حيث تولت الإشراف والتنفيذ والمتابعة، ودفعت الناس للعمل في الأرض، مكثِّفة العمل الزراعي والتربية الحيوانية ونشر المشاتل والمزارع المنزلية، وذلك كفرص عمل جديدة بعد تزايد فائض الأيدي العاملة الناتج عن مقاطعة العمل في المصانع والمؤسسات الإسرائيلية ومقاطعة منتجاتها. وتولت لجان فلاحية إدارة هذه المشاريع، بمساعدة لجان الإغاثة الزراعية التي تقدم المعلومات الفنية والإرشادات الزراعية اللازمة، وأنيطت بها مهام تأمين البذور والشتل والأسواق للمنتجات الزراعية، وإنشاء التعاونيات الزراعية واستصلاح الأراضي البور وزراعتها. وساهمت لجان العمل التطوعي في الزراعة وجني المحاصيل وإعدادها للتسويق(٢١١).

ونظمت لجان التجار الإضرابات التجارية وحركة السوق وحملات تنظيم المقاطعة، حيث حددت السلع التي يجب مقاطعتها وتلك التي يجب إحلال البديل عنها، واستطاعت ضبط الأسعار وترويج البضائع المحلية مخضعة السلع لعملية تنظيم دقيقة. فما يمكن إنتاجه محلياً

منع استجلابه من المؤسسات الصهيونية، بالترافق مع استغناء شبه كامل عن الكماليات، وتوجيه المنتجات نحو السوق الداخلي لتأمينه أو الأسواق الخارجية المتاحة. وأسهمت لجان التجار، التي ضمت في عضويتها أصحاب المال والمصانع والمزارعين والمصدرين والمستوردين، في إضفاء الطابع الشمولي على الانتفاضة، بتنسيقها لمواعيد الإضرابات ونطاقها مع اللجان الشعبية، في الوقت الذى تكفلت فيه الأخيرة مع النقابات العمالية بإصلاح الأضرار التي تلحق بالمحال التجارية نتيجة القمع الصهيوني. وأدى هذا التعاون إلى تحقيق الأهداف المذكورة وإنشاء جبهة اقتصادية متماسكة. وتعتبر معركة الضرائب إحدى المجابهات الهامة التي خاضتها اللجان التجارية مع اللجان الشعبية كمقدمة للدخول في مرحلة العصيان الشامل أو الجزئي وتقوية سلطة الاحتلال(٢١٢).

وأنيطت بلجان التموين مهمة تنظيم الوضع التمويني، بالعمل على تأمين المواد التموينية والغذائية وتخزينها وإمداد المناطق المحاصرة بها، وكذلك العائلات التي لا دخل لها نتيجة المقاطعة وخصوصاً أسر الشهداء والمعتقلين والمبعدين. وعززت هذه اللجان نمط نظام تكافلي في تأمين المواد التموينية بحيث توجه الوفرة من منطقة إلى أخرى. وبرزت فعاليتها في فترات الحصار أو حظر التجول على المخيمات (٢١٣).

وأرست لجان التعليم مع فترات الإغلاق الطويلة للجامعات والمعاهد والمدارس نظام التعليم الشعبي البديل، وتولى الخريجون تعليم التلاميذ في المنازل والمساجد وأماكن الخلاء، مستخدمين منهجاً تعليمياً مضافاً إليه دروس عن تاريخ القضية والصراع مع الصهاينة،

فكان التعليم منظماً وليس عشوائياً. وكانت هناك خطوات تنسيق متواصلة بين المواقع المختلفة في المناطق المحيطة. وفي كل موقع شكلت لجنة علمية تخضع للجنة الإشراف على مواقع الأحياء، التي تقوم بتنسيق عملها مع اللجنة التنفيذية في مركز المدينة. هذا الأسلوب المنظم حافظ على تعليم شعبي دائم ضمن مادة تعليمية متشابهة بمستوى واحد في جميع المواقع، متجاوزاً المنهاج الذى قررته سلطة الاحتلال، بإجراء تعديلات علمية تنسجم مع المطالب الوطنية. وهو ما أفقد الاحتلال سيطرته على العملية التربوية[٢١٤].

وحرمت لجان الخدمات الصحية ولجان الإغاثة الطبية العدو من اعتقال الجرحى أو المصابين عند نقلهم إلى المستشفيات أو إسعافهم. وقدمت الخدمات للناس عبر الإرشاد الصحي ومعالجة المرضى وأعمال التمريض. وضمت في عضويتها أطباء وممرضين وصيادلة، قاموا بإنشاء عيادات شعبية للمعالجة المجانية في كل مكان. ووفرت خدمات كانت غائبة قبل الانتفاضة. ويعمل في إطارها العديد من اللجان المختصة منها : لجان الرعاية الصحية، واللجان الشعبية للخدمات الصحية التي لديها العديد من العيادات. وتقوم بإعداد وتوزيع نشرات للتوعية الصحية والإسعاف الأولي ومعالجة الإصابات والكسور[٢١٥].

وقامت لجان المرأة بتنظيم الزيارات إلى منازل الشهداء وأسر المعتقلين والمبعدين، وعيادة الجرحى، وحياكة الملابس الشتوية للأسرى، وتعميق أواصر العلاقات الاجتماعية، وتنظيم اعتصامات وتظاهرات نسائية [٢١٦].

ودفعت لجان المساندة المعنية بالعمل التطوعي أعضاءها لإصلاح ما دمره الجنود الإسرائيليون، كإنجازهم لأبنية غير مكتملة بسرعة فائقة لإسكان أصحاب البيوت المنسوفة، والقيام بعمليات النظافة والخدمات الاجتماعية الأخرى. ودعت لجان الدعاية والتثقيف إلى المقاطعة وإحلال قيم مقاومة أكثر تطوراً في المجتمع الفلسطيني، كالاستغناء عن الكماليات ومظاهر البذخ، وتخفيض المهور، مما أدى إلى ارتفاع معدلات الزواج. وعززت هذه اللجان روح التعاون والتكافل بين الناس وتصدت للدعاية الصهيونية التي تسعى لبث الفرقة والشقاق[٢١٧]. وتشكلت اللجان الأمنية بعد استقالات رجال الشرطة من الجهاز التابع لإدارة الاحتلال، لحفظ النظام وملاحقة المخلين به والمتعاونين مع الاحتلال[٢١٨].

وهناك العديد من اللجان المتخصصة الأخرى في كافة مجالات الحياة، وهي متشعبة في المجتمع الانتفاضي بحيث تشكل لجاناً فرعية من اللجان الشعبية الأم الخاصة بكل مدينة أو قرية أو حي أو مخيم على حدة. وبفضل هذه اللجان حققت الانتفاضة الشمولية المكانية بحيث وفرت لكافة التجمعات السكانية الأدوات التي تتولى توجيه نشاطاتها الانتفاضية، مما أدى إلى مشاركة مختلف قطاعات وفئات المجتمع الفلسطيني في الانتفاضة وتخصيص دور محدد لها. وتميزت هذه اللجان بالمرونة الواضحة في هياكلها الإدارية موفرة لكل مهمة أدواتها ولجانها الخاصة بها بشكل يتيح درجة فاعلة في إنجاز المهمات بين مختلف اللجان[٢١٩]. ومن مهام اللجان الشعبية بالإضافة إلى إدارة الشؤون الحياتية وتنظيم صفوف المنتفضين، الارتقاء بالانتفاضة سواء عن طريق الكلمة المسموعة أو المكتوبة أو

بالمظاهرات الصدامية، لمقاطعة سلطة الاحتلال وتثبيت سلطة الانتفاضة، بما يتضمنه ذلك من ترسيخ قرار الانتفاضة بعد النجاح في كسر قرار الاحتلال، والتحول الكامل من العفوية إلى التنظيم والتخطيط [٢٢٠]. وأسهمت اللجان الانتفاضية، بقدراتها المتميزة وامتدادها إلى كافة الفئات والاختصاصات والمهن والقطاعات الاجتماعية والاقتصادية، في إضفاء الطابع الديمقراطي على العلاقات الانتفاضية، واعتبرت أداة لقياس درجة تقبل الناس واستعدادهم للعمل الانتفاضي[٢٢١].

وساعد هذه اللجان على الانتشار والرسوخ وقوة النفوذ، طابعها الشعبي الذى أمّن لها العمق البشري القادر على تغذيتها ومدها بعناصر التجدد، وعمّق العلاقات الديمقراطية التي سادت في عملها ونشاطاتها ونشاطات اللجان المتفرعة التي تعمل بالتضافر معها. وقد حدا بالنشطاء الانخراط في تشكيلها بسبب ملاحقة الاحتلال لهم بحكم عضويتهم في المنظمات الفلسطينية المعروفة قبل الانتفاضة. وساعد اللجان أيضاً حاجة العامة الملحة إلى أشكال سياسية تعبر من خلالها عن المقاومة بعيداً عن خلافات الفصائل الفئوية. كما أن تضافر عنصري العفوية والوعي وتكاملهما في اللجان الشعبية منحاها العمق الشعبي والقدرة على الإبداع والحركة المستمرة والرسوخ التنظيمي[٢٢٢]. ومن جهة أخرى فقد ساعد في نشأة اللجان مع بداية الانتفاضة الكبرى، بجانب المبادرة الجماهيرية وتكوين الأطر النقابية والاتحادات والجمعيات ومنظمات الشبيبة التي ظهرت قبل الانتفاضة، خروج المعتقلين من السجون ناقلين تجربتهم إلى الشارع، وهامش العلنية الذي سمحت به إسرائيل لتفريغ الطاقات في العلن، وارتفاع

معدلات خريجي الجامعات، وبروز علاقة الداخل بالخارج التي أدت إلى تصاعد التنسيق بين المنظمة وقيادات الداخل[٢٢٣].

منظور المكان

تفجرت الانتفاضة الكبرى في الأراضي المحتلة عام ١٩٦٧ من ثلاثة معاقل رئيسية منحت الانتفاضة صفتي الشمول والاستمرارية هى : المخيمات، الأحياء الفقيرة في المدن الكبرى، والقرى. وأثارت الانتفاضة في الأراضي المحتلة عام ١٩٤٨ الكثير من القضايا المتراكمة، دفعت الفلسطينيين إلى التحول من التضامن مع الانتفاضة إلى المشاركة فيها بالعديد من الفعاليات التي تصاعدت وازدادت قوة بتطور الانتفاضة وارتقائها.

فقد انطلقت من مخيم جباليا في قطاع غزة ومن مخيم بلاطة في الضفة الغربية، وقدَّم هذان المخيمان نسبة عالية من مجموع الشهداء والجرحى والمعتقلين. وتعتبر المخيمات القاعدة الاجتماعية للانتفاضة وينتمي معظم سكانها، ويشكلون ربع مجموع سكان الضفة ونصف سكان القطاع، إلى الطبقة العاملة الفقيرة. ويتحلون بدرجة عالية من الاستعداد للمقاومة والانتفاض لبؤس أوضاعهم المعيشية وغموضهم مستقبلهم السياسي ضمن أية تسوية سلمية مطروحة، لأنهم يمثلون اللاجئين الذين لم تضمن المفاوضات أو التسويات والاتفاقات السلمية أي حقوق لهم[٢٢٤].

وللمخيمات الفلسطينية بما تمتلكه من خبرة في المقاومة دور فاعل في الانتفاضة، حيث أسهمت في فعالياتها ومجريات تطورها اليومية، فأكسبتها طابع الاستمرارية والتصعيد. وتركز دورها في إشعال صور المقاومة الشعبية والسياسية المختلفة، كالمظاهرات

والإضـــرابات والاعتصـــامات والاحتجاجـــات، ونشـــاطات الهيئـــات والمنظمات والمؤسسات الشعبية. والتزم سـكانها ببـرامج المقاومـة التـي أقرتها قيادة الانتفاضـة كأيـام الإضـراب وأيـام التضـامن، والحركـات الاعتصامية، وكتابة الشعارات الوطنيـة ورفـع الأعـلام، والعمـل علـى كسر أوامر الاحـتلال وقيـوده فيمـا يتعلـق بحظـر التجـول أو محـو الشعارات الوطنية وإنزال الأعـلام. فقـد أثبـت المخيمـات أنهـا خلايـا عمل منظمة تعمل بدقة وبشكل جماعي من خـلال هيئـات عمـل سياسـية وتنظيمية وإدارية جديدة لمواصلة الارتقـاء بالفعـل الانتفاضـي. واحتلـت المخيمات على صعيد العمليـات والمقاومـة الشـعبية موقعـاً مهمـاً وأدت دوراً متميزاً رغم ظروفها الصعبة التـي لا تسـاعدها كثيـراً فـي العمـل المسلح، ولكن ظروف المصـادمات المسـتمرة فرضـت ابتـداع أشـكال وأساليب عمل ومواجهة جديـدة تلحـق بالعـدو خسـائر بشـرية ومادية كبيرة. فقد استخدمت زجاجات المولوتـوف الحارقـة والقنابـل والأجسـام الملتهبة المتنوعة والسـكاكين والبلطـات والقضـبان الحديديـة والحجـارة وأدوات قذفها ورمايتها العديدة، وكـان لهـا رغـم بـدائيتها تـأثير كبيـر وفعال في ظروف المخـيم وشـروطه وأوضـاعه. واسـتخدمت الرمـاح والأدوات الحادة من بعد، ونصـبت الكمـائن واسـتدرجت الجنـود إليهـا للإيقاع بهم. ولعبت المخيمات دوراً هامـاً ومـؤثراً فـي مختلـف مراحـل المقاومة مستنهضة العمل الـوطني وتنظيمـه والتصـدي للاحـتلال. وقـد بلغ إجمالي شهداء المخيمـات حـوالي ٤ر٢٧% مـن إجمـالي الشـهداء، والجرحـى ٣ر٣٤ %، والمعتقلـين ٣ر٢٥ % [٢٢٥]. وقـد انتشـرت الانتفاضة من مخيمات اللاجئين إلى القـرى المجـاورة وكافـة قطاعـات المجتمع وفئاته وطبقاته وشرائحه[٢٢٦].

وتمثل الأحياء الفقيرة، خاصة في المدن الكبرى، نموذجاً بارزاً للمقاومة التي أبدتها الأحياء الشعبية، فأعلنت نفسها مناطق محررة، ووصلت إلى حد إقامة عروض عسكرية لمئات الأعضاء في اللجان الضاربة من أبنائها. ويعتبر حي القصبة في نابلس من أشهر هذه الأحياء(٢٢٧).

ورغم تأخر القرى، وهي المعقل الثالث للعمل الانتفاضي، في الانطواء تحت لواء الانتفاضة، لضعف تمركزها وعزلتها السياسية نسبياً، فقد أعلنت العشرات منها نفسها مناطق محررة. ومن هذه القرى، وتقطنها أكثرية من الفلاحين الفقراء، "بيتا"، و"سلفيت"، و"عزون"، و"عين عريك"، وتل وكفر مالك وأذنة. وتعد نماذج لانخراط الريف في الانتفاضة (٢٢٨).

وتراوح تفاعل فلسطينيي المناطق المحتلة عام ١٩٤٨ مع الانتفاضة بين التضامن والانخراط أو المشاركة، فقاموا بتظاهرات وإضرابات، وعقدوا ندوات واجتماعات تضامنية، وزاروا عائلات الشهداء، ووفروا المواد التموينية والأدوية، فضلاً عن ممارساتهم الانتفاضية كقطع الطرق ورشق الحجارة وإلقاء الزجاجات الحارقة على أهداف إسرائيلية. وانخرطوا مباشرة في مواجهة إسرائيل (٢٢٩) ، وسارعت القوى السياسية والاجتماعية ومختلف فعالياتها إلى التعبير عن التضامن حيناً والمشاركة حيناً آخر، وتراوحت أشكال التعبير من التضامن والتعاطف، والبيانات والاجتماعات، إلى تقديم أشكال الدعم والمساندة، والمعونات الصحية المادية، ثم تطورت الأمور إلى حد إضرام النار في الغابات المتاخمة للمستوطنات والتجمعات الصهيونية، وتحضير العبوات الناسفة، وإقامة حواجز

حجرية على الطرق، وتدمير وتخريب الممتلكات الصهيونية وكتابة شعارات معادية. وإجمالاً تمثلت الفعاليات الكبرى التي تحمل دلالات سياسية ومستقبلية كبيرة في الإضراب العام الشامل في كل الأراضي الفلسطينية يوم ١٩٨٧/١٢/٢١. وقد تحول إلى مواجهات عنيفة ومظاهرات. وأقيمت مخيمات صيفية للأطفال في الخليل أطلق عليها اسم الانتفاضة، ونظمت المهرجانات وتشكلت العديد من الأطر الشعبية لتأمين دعم الانتفاضة، كلجان الإغاثة والدعم المحلي، ولجنة تطوير الخدمات الطبية في الوسط العربي واللجان الشعبية لجميع التبرعات[٢٣٠] ، وأعلن يوم السلام (١٩٨٧/١٢/١٩) يوم تضامن مع الانتفاضة، وأعلنت عن المسيرة الحمراء من رأس الناقورة وحتى القدس (١٩٨٨/٢/٢٨). وقاموا خلال مجالسهم وسلطاتهم المحلية وحركاتهم السياسية النشطة بتشكيل مجموعة لجان محلية شعبية في كل مدينة وقرية، في الجليل والمثلث، لجمع التبرعات. وعملت اللجان والهيئات الوطنية، في إطار لجنة المتابعة التي رأسها رؤساء المجالس المحلية العربية وخمسة أعضاء عرب في الكنيست، مشتركة في التنسيق والتعاون لجمع التبرعات وتقديم الإسناد الطبي والتمويني لجمهور الانتفاضة، حيث عملت وفق برنامج دعم لمدن وقرى ومخيمات الضفة والقطاع. واستطاعت الانتقال بالعرب داخل إسرائيل من مرحلة التضامن إلى مرحلة المشاركة الفعلية والميدانية في النضال لإنهاء الاحتلال[٢٣١] . وبرز عنصران مكونان لتفاعل فلسطينيي المناطق المحتلة عام ١٩٤٨ مع الانتفاضة : عنصر مدني يتمثل في تضامنهم من أجل التساوي في الحقوق مع اليهود داخل إسرائيل، وآخر وطني يقوم على المقاومة لتسريع إنهاء الاحتلال

وتشجيع إقامة دولة فلسطينية مستقلة كاملة السيادة. وهناك نهجان لهم في التعامل مع الانتفاضة : نهج التسوية الذي تمثله القيادة الرسمية ويعتبِر الانتفاضة أداة ضغط لإنجازها، ومنهج الانخراط الكامل في الانتفاضة وتمثله مجموعات دينية محدودة التأثير بالإضافة إلى حركة أبناء فلسطين، وحركة النهضة، وحركة أبناء البلد[٢٣٢]. وظلت محاولات التماثل مع الانتفاضة بوجه عام محدودة خلال عامي١٩٨٧ و ١٩٩٨. وانحصرت التفاعلات فيما بعد في إطار التعاطف والتضامن في إطار القانون الإسرائيلي غالباً، فلم يتخطوا هذا الإطار أو يشكلوا وضعاً موازياً للانتفاضة يواكب فعاليتها. ويرى البعض أن ذلك يعود إلى غياب التنسيق بين القوى السائدة في الوسط العربي، مما جعلها دون المستوى المطلوب[٢٣٣].

منظور الفئة :

للعناصر الشابة والأطفال والنساء دور متميز للغاية ستكتفي الدراسة بالتطرق إليها، رغم مشاركة كافة فئات المجتمع الفلسطيني في فعاليات الانتفاضة، حيث من الصعب وضع حدود لمدى المشاركة الفعلية لفئة بعينها والدور الذي احتلته في فعاليات الأحداث وتطورها [٢٣٤].

فتقف العناصر الشابة في مركز الدوائر الاجتماعية الثلاث التي تم تناولها مسبقاً (المخيمات، الأحياء الفقيرة، القرى). فهم المادة البشرية لأطر الانتفاضة الشعبية ممثلة في اللجان بأنواعها الضاربة والمتخصصة. ويرجع دور الشباب قبل ذلك إلى منظمات الشبيبة التي تحولت عقب الانتفاضة إلى اللجان الانتفاضية لتقوم بمهامها[٢٣٥].

ويعتبر البعض أن الانتفاضة الكبرى تعد في جوهرها ثورة للأطفال[٢٣٦] ، بدأت برميهم للحجارة على جنود الاحتلال، كتمرد عفوى لصبية غاضبين انتظم لاحقاً في انتفاضة عامة [٢٣٧]. وأثبت الطفل الفلسطيني جدارة عالية في تنفيذ دوره، فخاض معارك الحجارة واستعان بقنابل المولوتوف والسكاكين، وقدم تضحيات كبيرة يستدل عليها بنسبة الشهداء والجرحى من الأطفال [٢٣٨]. ويمتازون في مشاركتهم في الفعاليات اليومية عن الكبار من حيث النشاط وسرعة الحركة وعدم إثارة الشبهات وتوفير إمكانيات التخفي. لذلك نجحوا في القيام بتأمين عمليات الاتصال الجيدة بين المجموعات والشوارع والأحياء المختلفة لنقل وتبادل المعلومات الضرورية، وساهموا بشكل واسع في الأجهزة المختصة لمراقبة تحركات العدو وعملائه، ورصد الظواهر الغريبة في كل مكان والإخبار عنها على الفور بطرق وإشارات مختلفة، بحيث توصل المعلومات إلى الجهات المختصة التي تقوم بدورها بربط جميع المعلومات ومعالجة كل حالة على حدة. ويقوم الأطفال أيضاً بمراقبة المحال التجارية ومدى التزامها بالفعاليات ومواعيد الإغلاق. وخلاصة القول يؤدى الأطفال دوراً ليس بإمكان الشباب القيام به[٢٣٩].

وتقوم المرأة بدور مستقل داخل الانتفاضة. ففضلاً عن مهمة الإنجاب وتدبير شئون المنزل تشارك في نشاطات الانتفاضة اليومية، وتمارس أنواع مختلفة من الهجوم المباشر والصدامي مع قوات وسلطات الاحتلال [٢٤٠] . فقامت في الانتفاضة بقذف الحجارة، والاشتباك بالأيدي مع جنود الاحتلال، وإلقاء القنابل الحارقة، والمساهمة في مختلف أنواع اللجان، حتى القوات الضاربة، حيث

مدت أعضاءها بالحجارة والزجاجات الفارغة، ولاحقت قنابل الغاز لتطفئها، ونجحت في تخليص الشباب من أيدي جنود الاحتلال، وهناك نساء حاولن طعن الجنود بالخناجر. ووقفت إلى جانب الرجل في الدفاع عن الأرض، وأضربت عن العمل، وقاطعت البضائع الإسرائيلية، وعمدت إلى إنعاش الاقتصاد المنزلي، وإلى مد المخيمات المحاصرة بالمؤن الطبية، حيث دأبت على اختراق منع التجول والحصار. وأسهمت بدور رئيسي في مجال السياسة والإعلام، وبخاصة الاعتصامات، وتمسكت بحق الدولة الفلسطينية، والتقت بشخصيات رسمية أجنبية زارت الأرض المحتلة. ودأبت الاتحادات النسائية على إصدار البيانات والمذكرات لفضح ممارسات الاحتلال. وأدي إسهامها في الانتفاضة الكبرى إلى سقوط أكثر من ثلاثين شهيدة، وزهاء ستمائة جريحة، وإجهاض نحو ثمانين امرأة، خلال الأشهر الثلاثة الأولى من عمر الانتفاضة. وفي أول مائة شهيد كان نصيب المرأة ١٦ شهيدة، وفي الثمانية أشهر الأولى ٦٨ شهيدة. وهكذا نزلت المرأة بكل ثقلها في الانتفاضة [٢٤١]. وقد تحررت أيضاً من بعض العادات التي فرض الواقع الانتفاضي تهذيبها أو إلغائها.

وكان لكافة فئات المجتمع الفلسطيني بوجه عام والمنتفضين بوجه خاص المقدرة على التوفيق بين استمرارية الحياة اليومية والعمل الانتفاضي[٢٤٢]، معتمدين على التعاون الاقتصادي والاكتفاء الذاتى والعودة إلى الطبيعة.

منظور النخب والقوى السياسية والدينية :

يعتبر التحول في مسار الانتفاضة من العمل العفوي الشعبي إلى العمل المنظم جهد قامت به مختلف النخب والقوى السياسية والدينية،

ولو بنسب متفاوتة حددتها عوامل عدة. غير أن اختلاف الرؤى والتوجهات انعكس على طبيعة التعامل مع الانتفاضة والدور الذى ينبغي القيام به. وتميز الدراسة بين تيارين متعارضين بهذا الخصوص في الوسط الفلسطيني، وهما انعكاس للوضع على المستويين العربي والإسلامي في ظل الظروف الدولية الراهنة : أحدهما يرفض التفاوض مع إسرائيل أو الاعتراف بها وبأحقيتها في أي جزء من أرض فلسطين مستحضراً في مخيلته الذاكرة التاريخية للصراع وإدراكه الطبيعة لعدو الذى يواجهه، ولذلك فهو يصر كاستراتيجية له على ذلك، معتبراً أنه ما من خيار إلا استمرار الانتفاضة والمقاومة بكافة أشكالها، حتى تنشأ دولة فلسطينية مستقلة ولو على جزء من أرض فلسطين. ويمثل هذا التيار حركتي حماس[٢٤٣] والجهاد الإسلامى والقوى والنخب الإسلامية على وجه الخصوص، بالإضافة إلى الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين وبعض القوى الوطنية الأخرى كالقيادة المؤقتة لفتح والقيادة العامة والصاعقة وقوات التحرير الشعبي وغيرها[٢٤٤]. والتيار الآخر قبل التفاوض مع العدو والاعتراف به، وتوصل معه إلى تسوية سياسية محدودة [٢٤٥]، لكنها لم تحقق شيئاً سوى كيان فلسطيني ناقص السيادة تتحكم فيه إسرائيل براً وبحراً وجواً. ووصلت المفاوضات إلى طريق مسدود نتيجة الاختلاف على قضايا الحل النهائى (القدس، اللاجئون، المستوطنات، الدولة، السيادة). ويتزعم هذا التيار القيادة الفلسطينية ممثلة في منظمة التحرير الفلسطينية ثم السلطة الوطنية التي نشأت عقب اتفاقيات أوسلو. وتنطلق القيادة الرسمية الفلسطينية من استراتيجية تقوم على ضرورة الاستفادة من الانتفاضة واستثمارها

للتوصل إلى حل سلمي مقبول. ولذلك فهي تتعامل معها كمتغير تابع، وقد حدث ذلك بالفعل حيث تم إيقاف الانتفاضة الكبرى بعد دخولها إلى غزة وأريحا، وتكوينها لسلطة الوطنية، وتحولها من قيادة المقاومة إلى قمع المقاومة حسب تعبير البعض(٢٤٦). وقد دعت لتصعيدها عندما وصلت المفاوضات إلى طريق سدود في كامب ديفيد الثانية مع نهاية عهد الرئيس الأمريكي السابق بيل كلينتون. وقد صعدت من جهتها إسرائيل الموقف ظناً منها أنها يمكن أن تركع الشعب الفلسطيني وتجبره على القبول بالشروط التي تراها مناسبة. وهو ما أدى في نهاية العام ٢٠٠٠ وحتى تاريخه إلى قيامهم بشن حرب شاملة في أواخر عهد باراك وطوال عهد شارون، كان لها الفضل في تحقيق وحدة وطنية فلسطينية شاملة في ظل انتفاضة الأقصى، التي تميزت عن الانتفاضة الكبرى، بوجود قيادة واحدة لها وليس قيادتان. إلا أن الدراسة ترى أن الأمر مرهون بمدى استمرارية اليمين المتطرف في السلطة بقيادة شارون. فالعودة إلى مائدة التفاوض وإيقاف الضربات العسكرية ضد مناطق السلطة وإمكانية التوصل إلى اتفاقات جديدة، لاشك أنها ستشق الوحدة الوطنية والإسلامية من جديد، مما يؤكد عدم تغيير السلطة الوطنية لاستراتيجيتها إزاء الانتفاضة التي تعتبرها بصورة غير مباشرة أداة وورقة رابحة في يديها للضغط في المفاوضات. وقد وجه بعض الكتاب انتقادات حادة لهذه التوجه، منهم من وصفة بالمنطق الاستثماري غير المقبول(٢٤٧)، ومنهم من لقبه بنهج الانحراف(٢٤٨). ورأى آخرون للخروج من هذا، ضرورة طرح برنامج وطني تصحيحي- وهو ما تفرضه انتفاضة الأقصى بطبيعة الحال- يقوم

على إجراء إصلاح ذاتي داخلي في السلطة الوطنية لمواجهة الفساد السياسي والمالي والإدارى المستشري في هياكلها ومؤسساتها، وإلغاء التسوية نهائياً، وإعادة بناء المنظمة على نفس طروحاتها ومناهجها السابقة(٢٤٩). وترى الدراسة أن السلطة لن تستطيع إيقاف انتفاضة الأقصى بأمر إداري، فهي ليست مجرد عمل اجتماعي مؤقت بل ظاهرة مستمرة وعمل شعبي منظم(٢٥٠).

ورغم التحول الذي أبداه التيار الإسلامي مع بداية الانتفاضة الكبرى، حيث دخل في مواجهة مباشرة مع الاحتلال متبنياً خيار الجهاد، فضلاً عن تأثيره الفاعل كقوة اجتماعية وسياسية في الأراضي المحتلة، وهو ما يدل على دور البعد الديني ومؤسساته وتنظيماته في تفعيل الانتفاضة، إلا أن البعض لم يضف التيار الإسلامى بوجه عام وحركة حماس بوجه خاص، كما ذكرت الدراسة مسبقاً، معتبراً أن سلطة الاحتلال أنشأتها أو ساهمت في ذلك بغض الطرف عما تفعله، لتكون بديلاً للقيادة الفلسطينية، وغير ذلك من الادعاءات غير المقبولة، التي تحلل سلوكيات الحركة الإسلامية الفلسطينية من منظور صراعي، يفترض أن هدفها ليس مواجهة العدو بقدر ما هو مواجهة الخصوم داخل الصف الفلسطيني(٢٥١).

منظور الحرفة أو المهنة :

وقع على الريف الفلسطيني أعباء أساسية خلال الانتفاضة باعتباره واجهة الصراع مع الاستيطان، وبرزت القرية كخزان غذائي لسكان المدن والمخيمات لمواجهة سياسة التجويع والحصار المفروض. وشكل الفلاحون قوة إعاقة في وجه آلية القمع الإسرائيلية، وسجلوا تطوراً بارزاً في إنماء الاقتصاد المنزلي، ووفروا فرص عمل لكثير

من المضربين عن العمل. وكانت نسبة الشهداء والجرحى والمعتقلين منهم عالية، وهدمت كثير من بيوتهم [٢٥٢].

وقام العمال بدور بارز في الانتفاضة، فامتنعوا عن العمل في إسرائيل، وعملوا على استنهاض الاقتصاد المحلي والعمل في مؤسساته وأماكن عمله الصناعية والزراعية، تدعيماً لنهج المقاطعة. وشاركوا في أنشطة الانتفاضة وانضموا للجان الشعبية بمختلف أنواعها[٢٥٣]، مما أكسب الانتفاضة أبعاداً سياسية واقتصادية هامة، حيث وضعت لأول مرة أسساً مادية لفصل المجتمع الفلسطيني عن التجمع الاستيطانى[٢٥٤]. ويشكل العمال وحركتهم النقابية ثقلاً اجتماعياً وسياسياً واقتصادياً هاماً، فقد شاركوا في شتى أشكال المقاومة ابتداءً من كتابة النداء والبيان وانتهاءً بالصدامات والإضرابات العامة. واضطلعوا بدور متميز أكسب السمة الديمقراطية للانتفاضة [٢٥٥].

وتحمّل التجار نصيبهم من عبء الانتفاضة فاستطاعوا بوحدتهم والتفافهم إفشال المحاولات بفك إضرابهم في بداية الانتفاضة، فالتزموا بالإضراب الشامل والجزئي بتحديد ساعات عملهم بأربع ساعات صباحية، تماشياً مع المظاهرة والمسيرة والاعتصام والمقاطعة. وامتنعوا عن دفع الضرائب متحملين الأضرار الناجمة عن ذلك. وطور أصحاب المؤسسات الإنتاجية الصناعية فروعاً صناعية متعددة الجوانب لتلبية احتياجات السوق المحلية وتصدير الفائض إلى الخارج، وقد تحملوا عسف رجال الضرائب والمشاكل التي واجهتها بعض فروع مؤسساتهم نتيجة انخفاض الطلب على منتجاتهم. والتزموا بانخفاض ساعات العمل وأيام العمل وأيام

الإضراب [٢٥٦]. وقد عكس ذلك تحولات هامة في بنية الاقتصاد الفلسطيني الذي حاول المحتل تدميره، حيث تم الحفاظ عليه وقيامه بتلبية احتياجات السوق وتشغيل الأيدي العاملة[٢٥٧].

ولعبت الفئات المهنية، وتضم أساتذة الجامعات والأطباء والمهندسين والمحامين والكتاب والصحافيين والفنانين ورجال الدين، دوراً قيادياً في الانتفاضة، فهم الأقدر على قيادة الفعل الانتفاضي. وتحمل الموظفون عبء التضحية بعد الاستقالة من جهاز الإدارة المدنية[٢٥٨]. وصممت الحركة الطلابية والمؤسسات التعليمية ضمان استمرارية الانتفاضة وتصاعدها وتطور الوسائل والأساليب الكفاحية المختلفة. ولاشك أن العنصر الطلابي يشكل العماد الأساسي لمجموعات الشبان الملثمين الذين تصدوا لقوات الاحتلال، خاصة بعد إغلاق الجامعات والمعاهد والكليات[٢٥٩]، وكذلك المدارس ورياض الأطفال. إلا أن ذلك لم يمنعهم من المواصلة عبر نظام التعليم الانتفاضي البديل في المبانى العامة والنوادي والبيوت والمساجد[٢٦٠]. وبرز دور الطلاب في الجامعات الرئيسية (بيرزيت، الخليل، النجاح، غزة)، وبعض المعاهد، في قيادة النشاطات المعادية للاحتلال، وخاصة من خلال الزخم الكبير الذي قاموا به في المظاهرات الاحتجاجية[٢٦١].

وأطلقت الانتفاضة صوت الصحافة والعمل الإعلامي، الذي لوحظ زيادة تفعيله في انتفاضة الأقصى بصورة أكبر بسبب تمتعها بحرية أكبر في عهد السلطة الوطنية وفي ظل انتشار القنوات الفضائية وتطور وسائل الاتصال. وهو ما ساعد على كشف الممارسات الصهيونية. وبذلك تم كسر النمط الإسرائيلي المفروض على حرية

الصحافة والإعلام مما أدي إلى نموها وترعرعها. ورغم تحرك الصحافة ضمن الإطار الضيق الذي سمحت به سلطة الاحتلال منذ عام ١٩٨٧، إلا أن نيلها الحرية الكاملة عام ٢٠٠٠ مكنها من فضح ممارسات الاحتلال أمام العالم. وفي المناطق التي تحظى بالسيطرة الإسرائيلية، كالقدس مثلاً، تمكن الصحافيون من التكيف المؤقت عن طريق الاهتمام بما يسمى بالنصوص الجديدة (غير المباشرة) لدعم الانتفاضة، مثل الاهتمام بالنص : الزراعي، والتعليمي، والصحي، والإنساني. ومن أبرز النصوص الجديدة تألق نص المخيم في سلسلة متواصلة من التقارير والتحقيقات الصحفية حول المخيم الفلسطيني وحياته اليومية وتكافله الاجتماعي. وهكذا فقد اعتنى النص الجديد بأهمية الاقتصاد الوطني المحلي ورعايته(٢٦٢).

وقد قامت قوات الأمن الفلسطينية بدور بارز في انتفاضة الأقصى بالتصدي لمحاولات الاقتحام الصهيونية المتكررة للمدن والأحياء والمخيمات الفلسطينية في الضفة والقطاع، مما أكسب الكفاح الفلسطيني قوة(٢٦٣).

٢- الرسائل ومضمونها :

تبرهن الانتفاضة بخطابها وسلوكها المتميزان، في ضوء ما تقدم، أنها تسعى ضمن أهم أهدافها إلى توصيل رسائل إلى أطراف عدة، وتدل باستمراريتها على تكرار الرسائل المبعوثة للفت انتباه مستقبليها إلى المقصود الحقيقي من الانتفاضة، الذي يكمن أساساً في التأثير على الطرف المستقبل للمعلومات كي تحدث فيه تغيراً إيجابياً من الداخل، يرتبط ببناء عام أشمل يحتاج لإصلاح أو ترميم، أو ربما تدل على أن الرسائل لم تصل لأصحابها أو لم يفهموها أو وصل جزء

منهـــا، ومـــن ثـــم توجـــب تكرارهـــا. وتعكـــس الانتفاضـــة بتصـــاعدها وارتقائها إلى بعث التأكيد في نفوس المســتقبلين علــى أنهــا لــن تتوقــف إلا إذا أيقنت- مــع تحقيقهــا لطموحاتهــا الداخليــة- أن الرســائل بالفعــل وصلت لأصحابها وقد اســتوعبوها وأبــدوا تجاوبــاً معهــا، كمــا لــو أن الانتفاضة شخص اعتباري يقود بنياناً أكبر من البنيــان الــذى يقبــع فيــه، وأنها لن تكف عن وسائلها إلا إذا أصلحته أو رأته يتغير.

وتعتبر الدراسة أن الانتفاضة تبعث عادة أربعــة أنــواع مــن الرســائل وفق عدد مستقبليها: رسائل للإنســانية والنظــام العــالمي، رســائل لــدول العـــالم الثالـــث والمجتمعـــات الناميـــة، رســـائل إلـــى الأمـــة العربيـــة والإسلامية، ورسائل إلى الاستعمار الاســتيطاني الصــهيوني ومــن ســاهم في زرعه وساعد على إنمائه ومساندته.

وتسعى الانتفاضة، وهي ظــاهرة أصــيلة فــي المجتمعــات الإنســانية قديماً وحديثاً كما تقــدم، إلــى التــذكير بــأن مــا تعــرّض لــه المجتمــع الفلسطيني طول أكثر من قرن من الزمــان، إنمــا هــو امتــداد لمــا حــل بالإنسانية من عسف وظلــم واســتعباد مــن الحكــام المســتبدين أو مــن المحتلين. وأن ما يقوم به الفلسطينيون جزء مــن إتمــام تخلــص البشــرية من مثل هذه الأمراض. لذلك فهي تسعى إلــى التــأثير فــي الــرأي العــالم العالمي، وتدعو الشــعوب للتعــاطف معهــا، والضــغط علــى حكومتهــا لتفعل شيئاً لمصلحة الإنســانية. ورغــم المســاعي الصــهيونية فــي منــع وصول صوت الانتفاضة إلــى العــالم ومحاولــة تمزيــق الرســائل قبــل وصولها، إلا أن تطور وســائل الاتصــال فــي العــالم أفقــدها الســيطرة الكاملة.

وتحاول الانتفاضة، كحركة اجتماعية وسياسية، أن تبعث برسائل أخرى إلى دول العالم الثالث والمجتمعات النامية، لتدعوها إلى مقاومة التبعية والتخلف، ومحاولة التخلص منهما اقتداءً بما فعله المجتمع الانتفاضي الذي آثر الرجوع إلى الحياة البسيطة كي لا يعتمد على المستعمر، وحاول الالتزام بالاكتفاء الذاتي والاهتمام تطوير الصناعات والاقتصاد الوطني. ولا تقتصر مهمة الانتفاضة على ذلك بل تمتد إلى حرصها على الوظيفة التنموية والتحفيز على البناء والتحدي. كما أنها تدعو إلى الديموقراطية ومواجهة عسف الأنظمة وتدعو للمطالبة بالحقوق والحريات.

وتبعث الانتفاضة إلى الأمة العربية والإسلامية، وهي البناء العام الأشمل المشار إليه مسبقاً الذي يحتفظ بالظاهرة الانتفاضية بين أحشائه، جملة من الرسائل تعتبر الأساسية لحركة النظام الانتفاضي، وبدونها يختل النظام ويفقد أحد أهم عناصره. لأن الدراسة تنظر للانتفاضة كظاهرة نشأت في جسد الأمة، وليس في المجتمع الفلسطيني وحده. أو بعبارة أخرى نشأت في المجتمع الفلسطيني لأداء مهام لها في إطار وظيفتها الأساسية ضمن البنية الأكبر التي يعد المجتمع الفلسطيني أحد أجزائها.

وتؤكد الرسائل المبعوثة إلى الأمة مراراً وتكراراً على أن الانتفاضة تحمل قيماً حضارية نافعة للأمة لنفض غبار الضعف والفرقة، والتخلف والتبعية أيضاً[٢٦٤]، شأنها شأن دول العالم الثالث. ومن ثم العمل على بناء القوة وتحقيق النهوض.كما أنها أحيت بفكرها وحركتها روح المقاومة وقوة الإرادة والوعي التي يتصف بها المجاهد، وبعثت في النفس التفاؤل والأمل بأن المستقبل سيكون

أفضل. ولعل أهم رسائلها إلى الأمة لفت انتباهها إلى أن خلية جديدة نشأت في جسدها، تشكل القيم الانتفاضية نواتها. وتحمل هذه الخلية المستحدثة صفات وراثية أكثر ارتقاءً من ذي قبل، وتمتلك قدرة انتشارية عالية، تحفز الأمة على الحركة والفاعلية والاستعداد للمواجهة بعد توفر مقومات النجاح والشروط المطلوبة، بحيث تظل العملية الانتفاضية قائمة فيها متنقلة من مكان إلى آخر، وحافظة بحركتها الدائمة لنفسها صفة الابتداء فلا يقدر أحد على وأدها، وخاصية الحفاظ على بنائها المتشعب في أعماق المجتمع الفلسطيني، واستمرارية بقائها، وتحقيق نمائها وارتقائها، وزيادة فاعلية أدائها، لمساعدة الأمة على القيام بوظائف الحفظ الخمس المذكورة، التي لا يتصور لأي كيان أو جماعة إنسانية أن تستمر بدونها.

وتطرح الانتفاضة بصورة غير مباشرة، من خلالها خطابها السياسي ومجمل تفاعلاتها السلوكية داخل المجتمع الفلسطيني وفي مواجهة الكيان الصهيوني، كثيراً من القضايا السياسية والاقتصادية والاجتماعية التي تتعلق بالأمة شعوباً وأنظمة، وتدعو الشعوب خاصة للمقاومة من أجل نيل حقوقها وحرياتها السياسية، ولمواجهة أسباب تخلفها وتأخرها، وتحفزها على العمل وعدم الاعتماد على الآخر بصورة كاملة. ومن جهة كأخرى تبعث الانتفاضة رسائل إلى الأنظمة الحاكمة تدعوها لتطبيق الديمقراطية الحقيقية واحترام آراء شعوبها والاستجابة لرغباتهم، وتحذرها من أن تجاوز ذلك والإفراط في القمع وانتهاك حقوق الإنسان وتفشي الأزمات المتعددة من شأنه أن ينقل الانتفاضة إليهم فتصبح انتفاضة عربية أو إسلامية.

فالانتفاض يمكن أن يكون في مواجهة الأنظمة المستبدة وليس فقط في مواجهة المستعمر.

أما النوع الرابع من الرسائل الذي توجهه الانتفاضة للاحتلال الصهيوني ولمن زرعه وسانده، فإنه يتضمن التأكيد من خلال استمرارية الانتفاضة وتصاعدها على أن مصير الاستعمار دائماً إلى زوال، مهما طال الزمن أو قصر، وأن المواجهة بأبسط الأدوات يمكن أن تكون موجعة مع قوة الإرادة والحق. وتبعث رسالة أخرى مفادها أن عقدة الأمن ستظل مرافقة لإسرائيل إلى أن يعود الحق لأصحابه كاملاً، وأن الخسارة الاقتصادية والمالية ستلحق بها دائماً، وستظل المقاطعة الشاملة عنوان هذه المرحلة. وتخاطب الانتفاضة أيضاً من ساعد على زرع إسرائيل في قلب الأمة أو كان صاحباً لفكرة المشروع الصهيوني، مؤكدة له أنها تستحضر الذاكرة التاريخية جيداً وتعي جذور المشكلة، وتنطلق من خلالها.

٣- قنوات الاتصال :

لدى النظام الانتفاضي الكثير من القنوات الاتصالية التي يمرر من خلالها المعلومات أو الرسائل التي يود توصيلها لأصحابها. وتميز الدراسة في هذا السياق بين نوعين من القنوات : الأول تمثله الأدوات المستخدمة في أيدي المنتفضين، ويأتي في طليعتها الحجر، ويليه الأسلحة المتفجرة، ثم السكاكين والشفرات والمسامير وقنابل المولوتوف والوزنات الحديدية، وأيضا البيانات والمنشورات وأجهزة الإعلام والصحافة، وغيرها من الوسائل. أما النوع الثانى فتمثله جملة من الأفعال الانتفاضية تتقدمها : العمليات الاستشهادية، خطف الجنود، المظاهرات، الإضرابات، رمي الحجارة، إشعال الحرائق،

المقاطعة، أعمال التفجير، قتل المستوطنين، مهاجمة المستوطنات، ووسائل النقل، والمطاعم، والأسواق التجارية [٢٦٥].

وتعتبر الدراسة أن ثلاث وسائل منها، وهي العمليات الاستشهادية[٢٦٦] ورمي الحجارة والمقاطعة، كافية لإيصال الرسائل لإسرائيل. وقد نجح الفلسطينيون من خلال الأولى في تحقيق توازن الرعب مقابل استخدام الصهاينة للطائرات والدبابات والصواريخ والمدافع. كما أنها عمقت لديهم عقدة الأمن. ولذلك تؤدي العمليات الاستشهادية وظيفة عسكرية غاية في الأهمية مؤكدة الدور العقيدي في الصراع. وتحمل عمليات رمي الحجارة[٢٦٧] الرسائل السياسية الحضارية التي تدعو إليها الانتفاضة، المشار إليها مسبقاً في إطار الحديث عن القيم الانتفاضية. وتمر عبر قناة المقاطعة الشاملة الكثير من المعلومات الاقتصادية التي تشدد على سعي المنتفضين لإيقاع أكبر قدر من الخسائر في صفوف المحتل[٢٦٨].

وتفترض الدراسة أن استمرارية فتح هذه القنوات من شأنها أن تضمن مرور المعلومات وتوصيل الرسائل إلى أصحابها أو حتى ضمان تكرارها.

٤ – الأطراف المستقبلة:

توجه الانتفاضة رسائلها وفعلها بصورة معتادة إلى ثلاثة أطراف: الخصم الذي تتصدى له وتعمل على إضعافه وإلحاق الخسائر والأضرار المختلفة به؛ والأمة التي خرجت من أحشائها، حيث تسعى الانتفاضة إلى دفعها للتحرر من التبعية والاستعمار والتخلف، وحضها على بناء القوة والنهوض لمواجهة هذه المشكلات والتغلب عليها؛ والأطراف الثالثة التي تقف إما محايدة أو

مؤيدة ومساندة لأحد الطرفين، لأسباب ترتبط بمصالحها ومعتقداتها، أو تصوراتها الخاصة بالظاهرة الانتفاضية نفسها.

وعلى صعيد الانتفاضة الفلسطينية يمثل الاحتلال الإسرائيلي لفلسطين الطرف المعادي الذي يسعى لإجهاض الانتفاضة، وتعتبر الأمة العربية والإسلامية الطرف الداعم والمساندة لها، بينما يعبّر النظام الدولي بمكوناته ومؤسساته وقواه العظمى المهيمنة عليه عن الأطراف الثالثة، التي قامت بزرع إسرائيل في قلب الأمة ومساندتها. وتظل القرارات الدولية المنصفة للحق الفلسطيني محدودة التأثير، وهو ما يجعل تحرك الهيئات الدولية المعنية، وخاصة الأمم المتحدة، منحصراً في إطار ما تراه القوى العظمى المؤيدة لإسرائيل.

وتحاول الدراسة في هذا المقام إلقاء الضوء على الآثار والانعكاسات الإيجابية أو السلبية التي تعرّضت لها الأطراف المستقبلة للفعل الانتفاضي ورسائله المستمرة، مع تركيز الاهتمام فقط على الطرفين الرئيسيين الأول والثاني، باعتبارهما طرفي الصراع الرئيسيين، اللذان يشكل كل منهما نقيضاً للآخر، في حين تعد الانتفاضة مصدر ضعف وخسارة للأول، ومصدر قوة ومكسب للثاني.

أ- <u>الطرف الأول: إسرائيل:</u>

أدت الانتفاضة إلى استنزاف إسرائيل في عدة مجالات، فلم تقتصر على الجوانب الاقتصادية والمالية، بل وامتدت أيضاً إلى النواحي النفسية والمعنوية، وأضعفت كثيراً من قدراتها وعناصر قوتها الضخمة. وشمل تاثيرها بوجه عام شتى المجالات السياسية والاقتصادية والاجتماعية، وكذلك الأمنية والعسكرية.

فعلى المستوى السياسي، شهدت إسرائيل عزلة إقليمية، حيث بادرت دول إلى قطع علاقاتها معها، ووجهت أخرى احتجاجات رسمية على القمع الإسرائيلي، وحدث ترد شديد في العلاقات مع دول أخرى[٢٦٩]. وزادت نظرة يهود العالم السلبية لإسرائيل واتساع موجة الانتقاد اليهودي محدثة خلافات جادة داخل التجمعات اليهودية[٢٧٠]، وهو ما جعل يهود العالم يشتكون من أن الدولة الصهيونية بسلوكها قد زادت من مشاعر معاداة اليهود ضدها[٢٧١]. وسلّطت الانتفاضة الضوء على مسائل خطيرة تهدد الكيان الصهيوني، رغم أنها ليست جديدة، ولكنها على جانب كبير من الأهمية. يأتي في طليعتها القنبلة الديموغرافية الفلسطينية، وتحمل الأجيال الجديدة عبء مواجهة الاحتلال، الذي لم ينجح في استيعاب الفلسطينيين وتحويلهم إلى قوة عمل رخيصة، وتحولهم في المقابل إلى الانتفاض والثورة في وجهه. وقد فشلت كل محاولات طمس الهوية الوطنية الفلسطينية، وتم إجهاض مشاريع التسوية السلمية المفروضة على العرب التي عوَّل عليها قادة الكيان كثيراً بوصفها خشبة الخلاص. ومن هذه المسائل الخطيرة أيضا: إدراك قادة الكيان أن الانتفاضة ليست مجرد تمرد على قيود سلطة الاحتلال وإجراءاته التعسفية وإنما ثورة متواصلة ومتصاعدة، وأنها بما تحمله من بذور تطور في مساراتها اللاحقة تؤكد بوضوح أن مصير الكيان الصهيوني برمته قد بات مهدداً بالزوال والاندثار، علاوة على أنها هزت صورة الكيان أمام الرأي العام العالمي وكشفت زيف ادعاءاته الديمقراطية[٢٧٢]. ونجحت الانتفاضة أيضاً في لصق صفتي الإرهاب والعنصرية بإسرائيل.

ومنذ اندلاع الانتفاضة الكبرى بدأ الركن الأساسي للمشروع الصهيوني، متمثلاً في الاستيطان، يزداد تدهوراً وانهياراً، فالمستوطنون يتعرضون من جهة لضغوط المنتفضين ويدخلون من جهة أخرى في صدامات مع

الجيش[٢٧٣]، الذي أثقلوا كاهله. وأدت ممارستهم الاستفزازية إلى توهج نار الانتفاضة وتصاعد فعلها لمواجهة هذا الركن في الوجود الصهيوني. وحصل بوجه عام جمود في وضع الوجود الاستيطاني[٢٧٤]، وطرحت المسألة برمتها للبحث[٢٧٥]، لأنها شكلت عبئاً على جيش الاحتلال، وهو ما يعني تساقط الإجماع الصهيوني بخصوص الاستيطان[٢٧٦]. وقد عرَّت الانتفاضة إسرائيل من أهم ادعاءاتها بأن الاحتلال ضروري لأمنها، وأن العرب يرفضون السلام والاعتراف بها. ودفع الحوار الدائر في داخلها بفضل الانتفاضة إلى إعادة التفكير في بعض المسلمات الصهيونية، مثل شعار الدولة اليهودية النقية وموضوعات الاستيطان والأمن الاستراتيجي والأخلاقيات اليهودية وسمعة إسرائيل الديمقراطية في الداخل والخارج، واحتمالات تحولها إلى دولة فاشية تماماً. ويشبّه الكثيرون منهم الوضع القادم بكارثة. وقد أنهت الانتفاضة الوضع السهل للاحتلال خلال عقدين كان فيهما مرتاحاً ولا يرى ضرورة للحسم[٢٧٧].

وتبحث الدراسة فيما يلي انعكاسات الانتفاضة على فكر وسلوك النخب السياسية والفكرية والقيادات الحاكمة في إسرائيل، وتأثيرها في نتائج الانتخابات وتشكيل الحكومة، وتوجهات الرأي العام، والأحزاب والقوى السياسية. وترصد أهم التحولات في الحياة السياسية التي حدثت بسبب الانتفاضة. فرغم الاحتجاجات والاعتراضات التي أبدتها بعض النخب ودعوتها إلى الانسحاب من الأراضي المحتلة، إلا أن غالبيتها لا تزال أسيرة المقولات الصهيونية التي يتوقع سقوطها مع استمرارية الانتفاضة. ولوحظ من تتبع تصريحات القيادات الحاكمة وأفعالها أنها تعاني من التخبط والحيرة والإحباط. ولذلك تتهرب من ذلك كله باللجوء إلى العنف والإرهاب وتفضيل خيار الحرب لعدم رغبتها في مواجهة الحقائق[٢٧٨]. وقد أحدثت الانتفاضة

حالة من الإرباك في الأوساط السياسية والحزبية ظهرت في تناقض التصريحات والآراء التي تعلل أسباب الانتفاضة وتأثيراتها، وفي الاتهامات المتبادلة بين تكتلي الليكود والمعراخ على كافة المستويات الحكومية، وأدت إلى تفاقم الأزمات داخل هذه التكتلات وازدياد الضغط عليها خاصة داخل أوساط حزب العمل، الذي يضم عدداً من فلسطيني الأراضي المحتلة عام ١٩٤٨[٢٧٩]. وانعكست الانتفاضة على آراء ومواقف قادة الأحزاب وأعضاء الكنيست، إذ فضَّل البعض التعامل معها بروية وتعقل والبحث عن حلول ملائمة، في حين رأى آخرون استخدام مزيد من القسوة مع المنتفضين[٢٨٠].

ومن جهة ثانية عكست الانتفاضة نفسها على العلاقات السياسية الداخلية، وأثارت موجات واسعة من الجدل والتشاحن، معمِّقة الاستقطاب بين الأوساط المختلفة، ومفسحة المجال لظهور حركات متطرفة يمينية، تدعو إلى سحق الانتفاضة عبر تشديد عمليات القمع والترحيل الجماعي[٢٨١]. وفاجأت الانتفاضة الأحزاب الإسرائيلية وهي تستعد لحملة الانتخابات للكنيست، فأدت إلى تراجع الاهتمام بالأزمة الاقتصادية، في حين تقَّدم الموضوع السياسي بنود برامج الأحزاب. وبدأت الأحزاب توائم برامجها مع المعطيات الجديدة التي أفرزتها الانتفاضة. غير أن التطرف الملموس في المزاج الجماهيري دفع معظم الأحزاب إلى اتخاذ مواقف أكثر يمينية، حرصاً على رصيدها لدى الناخبين[٢٨٢]. وهذا ما دفع بارك في أواخر عهده إلى شن حرب شاملة على الضفة والقطاع، غير أن التوجه الجماهيري نحو اليمين المتطرف لم يكفه ما فعله باراك، فاختار شارون. ورغم أن الانتفاضة سرَّعت من انجراف الخارطة السياسية في إسرائيل نحو اليمين والتطرف[٢٨٣]، وأدت إلى حدة الخلاف بين الحزبين الكبيرين، العمل والليكود، وحدوث تصدعات في كلا الحزبين الكبيرين وعدد من الأحزاب الصغيرة[٢٨٤]، إلا أن الأمر اختلف في

انتفاضة الأقصى التي جسدت مواجهة شاملة بين الطرفين الفلسطيني والإسرائيلي، حيث تشكلت حكومة ائتلافية برئاسة شارون، توحد فيها الجميع. وهكذا ظهر تأثير الانتفاضة في الانتخابات في نزوع الكيان إلى أشد حالات التطرف، وهي ظاهرة طبيعية تقترن بالاستعمار الذي يواجه ثورة، وهذا النزوع يعكس تخبط إسرائيل وحيرتها. وطرأ بوجه عام تحول في التفاعلات الجارية داخل الكيان الصهيوني نتيجة الفعل الانتفاضي(٢٨٥).

ومسَّت الانتفاضة كمصدر تهديد رئيسي العصب الاستراتيجي والوعي الجماعي للمشروع الصهيوني ووضعته تجاه مأزقه التاريخي، وأوجدت حقائق جديدة أثرت مباشرة على المدى البعيد في مستقبله ومصيره، وأيقظت مسائل تتعلق بهوية الدولة وحدودها وتعريف سكانها وقدرتها على البقاء(٢٨٦)، ومصير اليهود ومستقبل إسرائيل.

ومن خلال رصد التحولات الجارية في اتجاهات الرأي العام الإسرائيلي بسبب الانتفاضة، تبين أن الجدل والنقاش المهيمن على الدوائر الرسمية انعكس على الرأي العام وأوقعه في حالة من الارتباك والفوضى في ظل انعدام الرؤية الواضحة. ويمكن التمييز بين ثلاثة اتجاهات: الأول يهرب مؤيدوه من الواقع إلى أمورهم الشخصية ويتركون القضايا المصيرية لصناع القرار، والثاني يضم اليائسين الذين يعتقدون بأنه لا أمل في التغيير، وبدون سلام ستدوم حروب لا نهائية، والثالث يشمل أولئك الذين يسعون إلى تأجيج نار الكراهية بين الشعبين. ونجحت الانتفاضة في زعزعة الثقة لدى الجمهور الإسرائيلي ، والتشكيك بعدم قدرة إسرائيل على حسم أية حرب مقبلة لصالحها في المستقبل(٢٨٧). واهتزت ثقة الإسرائيليين بمستقبل إسرائيل وصمودها إزاء الأخطار التي تهدد وجودهم وبقدرة قيادتهم على استخلاص

الحلول الملائمة لمشكلاتهم المستعصية، نتيجة انفعال الرأي العام بالانتفاضة[٢٨٨].

وعلى المستوى الاقتصادي، منيت إسرائيل نتيجة المقاطعة الفلسطينية الشاملة والجو السياسي المتوتر بخسائر في مختلف القطاعات الصناعية والزراعية والإنشائية. ووجَّهت الانتفاضة ضربة قوية لشبكة العلاقات الاقتصادية الداخلية، وكذلك الخارجية مع عدد من دول العالم، حيث استنزفت سلطة الاحتلال مالياً، وضعفت تجارتها الخارجية، وهبطت صادراتها، وكذلك وارداتها الضريبية، وزادت خسائر البورصة. وقد تدنت الخدمات والسياحة، وارتفعت كلفة التجمع الصهيوني، ونفقات الأمن والشرطة، وانتشرت الحرائق في الغابات والمناطق الزراعية الاستيطانية، وفي وسائل النقل، وانخفض تدفق الأيدي العاملة الفلسطينية إلى المصانع الصهيونية. مما أدى في نهاية المطاف إلى أزمة اقتصادية عميقة وحالة من الكساد والركود.

ويمكن التعرف على الآثار السلبية للانتفاضة على الاقتصاد الإسرائيلي من خلال تحليل حالة الكساد والركود الناجمة للأسباب المذكورة مسبقاً، ودراسة حجم الخسائر التي حدثت في القطاعات المختلفة. فقد أدت الانتفاضة استناداً إلى بعض المؤشرات الدالة على الكساد والركود إلى انخفاض معدل النمو الاقتصادي ومعدل نمو الناتج الإجمالي، وتمخض عنها إحجام المستثمرين بسبب كثرة الاضطرابات في الأرض المحتلة، وامتناع العديد من البنوك العالمية عن تقديم القروض المتوسطة للمؤسسات الإسرائيلية بسبب ارتفاع درجة خطورة منح القروض، وإيثار العديد من المودعين الأجانب سحب أموالهم من البنوك والمصارف الإسرائيلية. وقد ارتفع معدل البطالة بسبب إغلاق الكثير من المصانع وتسريح آلاف العمال، وانخفض حجم الطلب الكلي الداخلي والخارجي، الأمر الذي تسبب في تكديس مخزون سلعي

كبير لدى الشركات والمصانع، ولذلك عانت آلاف الشركات من مصاعب مالية نجمت عن انخفاض الطلب على منتجاتها وتقلص مبيعاتها[٢٨٩].

وفيما يتعلق بالخسائر، فقد تضرر قطاع الزراعة لغياب المزارعين الفلسطينيين أيام الإضرابات، ولمقاطعة الإنتاج الزراعي الإسرائيلي في الأرض المحتلة. وقد تعفنت آلاف الأطنان المعدَّة للتصدير، وخسرت بعض الشركات لعدم تمكنها من الإيفاء بالتزاماتها بتسليم المنتجات في مواعيدها بسبب تغيب العمال الفلسطينيين أثناء الإضرابات[٢٩٠]. وألحق تغيب العمال ومقاطعة البضائع والسلع خسائر كبيرة بالقطاع الصناعي الإسرائيلي أيضاً، وخاصة الصناعات التقليدية كالنسيج والألبسة والخشب والبلاستيك والمواد الغذائية ومواد البناء، بسبب اعتمادها الكبير على الأيدي العاملة الفلسطينية والسوق الفلسطيني. وأدى استدعاء قوات الاحتياط إلى أضرار أكثر، بمقدار الإنتاج الذي كانوا سينتجونه لو لم يتم استدعاؤها. وقد ساهم ذلك كله في تدني معدل الاستثمار في القطاع الصناعي، وفي انخفاض الإنتاج، ومعدل نمو الصادرات، وقدرة القطاع في استيعاب الأيدي العاملة؛ الأمر الذي انعكس في ازدياد حدة البطالة، وارتفاع مديونية القطاع المالية. وتمخض عن انخفاض حجم مبيعات الشركات الصناعية زيادة مخزونها السلعي، ومن ثم زيادة قروضها من القطاع المالي، وهو أمر حل بآلاف الشركات والمصانع[٢٩١]، وقد أحدث ذلك هزة عنيفة لدى أرباب العمل الإسرائيليين الذين أخذوا يفتشون عن مخرج لحل هذه الأزمة الخطيرة التي ألحقت ضربات موجعة بالاقتصاد الإسرائيلي ما أدى إلى زيادة تكلفة الاحتلال[٢٩٢].

ويعتبر قطاع البناء أحد أهم القطاعات التي تضررت بسبب الانتفاضة، وتحديداً نجمت عن تغيب العاملين أيام الإضراب الشامل أو إقفال الطرق أو فرض نظام التجول، مما أدى إلى تأخير إنجاز مشاريع البناء، وانخفاض

حجم الاستثمارات في هذا القطاع، وخفض حجم مبيعات الشقق في المستوطنات ووجود رغبة لدى ساكنيها في بيع شققهم، وارتفاع تكاليف البناء نفسه وارتفاع أسعار البيوت [٢٩٣].

وقد انهار عدد من شركات البناء الكبيرة في ظل تأخير سير البناء بسبب نقص وغياب العمال الفلسطينيين. ورغم أن أرباب العمل الإسرائيليين حاولوا جلب عمال من الخارج ليحلوا محلهم، غير أن التكاليف الباهظة حالت دون ذلك. وطالب مقاولو البناء وزارة الإسكان بإعفائهم من دفع التعويضات نتيجة عدم الإيفاء بالالتزامات، لأن الظرف الحالي ظرف طوارىء، كما لو أنه كارثة طبيعية أو حالة حرب[٢٩٤]. وأدى جو التوتر وعدم الاستقرار الذي فرضته الانتفاضة إلى الإضرار بقطاع السياحة، فانخفض عدد السائحين وقلت نسبة استيعاب الفنادق من الطاقة الاستيعابية الكاملة لها، وأغلق عدد منها، ووصلت الخسارة الكلية لفرع السياحة وحده منذ بداية الانتفاضة الكبرى وحتى شهر أغسطس ١٩٨٩ إلى حوالي ١٦٨٨ مليون دولار[٢٩٥]. وألقت الانتفاضة بظلالها على حركة السياحة بفعل التحولات في الرأي العام الغربي الرافض للقمع الصهيوني، حيث امتنع المواطنون الغربيون عن زيارة إسرائيل، وأقدم عشرات الآلاف منهم على إلغاء رحلاتهم المقررة إلى الكيان الصهيوني. وأصيبت شركات النقل الجوية والبحرية بأضرار جسيمة نتيجة انخفاض عدد الركاب، وخسرت المطارات الصهيونية مداخيل رسوم تقدر بالملايين من الدولارات[٢٩٦]. وبذلك تكون السياحة أكثر القطاعات تدهوراً بسبب الانتفاضة[٢٩٧].

من جهة ثانية، كان للانتفاضة انعكاسات أخرى بالاضافة إلى الحرمان من المزايا الاقتصادية للاستعمار الاستيطاني[٢٩٨]، فقد بلغت مقاطعة السلع والبضائع درجات غالية مؤلمة للاقتصاد الإسرائيلي، وتراجعت الصادرات

إلى أدنى مستوى، الأمر الذي أدى إلى ازدياد العجز في الميزان التجاري، وانخفاض حجم التجارة مع الأرض المحتلة بمقدار الثلثين[٢٩٩]. وكان من نتائج تصاعد الانتفاضة زيادة نفقات الأمن والشرطة، بسبب حشد الكثير من الجنود، ومد فترة خدمة قوات الاحتياط، واستخدام أحداث ما في الترسانة من عتاد، وتورط الجيش وحرس الحدود والاستخبارات، مما أدى إلى فداحة الخسائر الاقتصادية الكبيرة التي تكبدتها المؤسسة الأمنية، وتعرضها لاستنزاف دائم ناجم عن التشغيل والانتشار والتعبئة الدائمة، تطلب تخصيص موارد مالية ضخمة لمجابهة الانتفاضة[٣٠٠].

وتكبدت سلطة الاحتلال خسائر أخرى نتيجة إشعال الحرائق في الأحراش والمزروعات والأشجار، وفي عدد من باصات شركة إيجد أشهر شركات النقل، ونتيجة خسائر البورصة التي شهدت انخفاض أسعار أسهم الشركات، وانتشار أعطاب وكسر زجاج سيارات المستوطنين وباصاتهم، وتوقف الإنفاق الذي يقوم به الزوار العرب القادمين من خارج فلسطين[٣٠١].

وعلى المستوى الأمني والعسكري، أثرت الانتفاضة على بنية الجيش الإسرائيلي، ومستوى تدريبه وتسليحه، وبرنامج تجهيزه، وأدت إلى خفض معنويات جنوده[٣٠٢]، فرفض عدد كبير منهم أداء الخدمة العسكرية في الأراضي المحتلة[٣٠٣]. وقد اضطر الجيش بعد اندلاع الانتفاضة الكبرى بشهر إلى زيادة قوته إلى أربعة أو خمسة أضعاف، بسبب نفاذ مخزون الجيش من المعدات المجهزة للتصدي لأعمال الشغب المخصصة لعام كامل في عدة أسابيع[٣٠٤]، بينما حرص بعد انتفاضة الأقصى على استخدام أحدث قواته البرية والبحرية والجوية، من دبابات وصواريخ ومدافع وزوارق بحرية وطائرات أباتشي وإف- ١٦، متعلماً من الدرس السابق. فزجَّ وحدات كبيرة من قواته وشدد الإجراءات والتدابير القمعية، وحاول تقليص الأعباء

المالية الجديدة بتخفيف مستوى التدريب وتقليص ساعات الطيران وإيقاف عدد من سفن الدوريات في سلاح البحرية. غير أن ذلك لم يغط إلا جزءاً يسيراً من النفقات الباهظة. وقد استهلك كثيراً من ذخائره ومعداته وأصيب جزء منها بتلف بفعل المصادمات اليومية، كما أخفق جهاز الاستخبارات في تقدير حدوث الانتفاضة، ولذلك أخضع لعملية إعادة تنظيم كلفت الكثير من الجهد والإمكانات[٣٠٥]. ويرى البعض أن الآثار الحقيقية للانتفاضة على الجيش الإسرائيلي تكمن في حدوث خلل في قواعده، بسبب انتصار إنسانية الإنسان على مخالب الحيوان المفترس لدى بعض الجنود، وهم قلة شاذة لا تشكل قاعدة، رفضوا الخدمة في الأرض المحتلة لعدم رغبتهم في مواجهة الأطفال أو الشبان الملثمي وبسبب ما يعانونه. وقد دفعهم ذلك إلى التساؤل: هل كتب علينا حمل السلاح إلى ما لا نهاية ومن ثم نسلمه إلى أبنائنا؟ مسيطرة عليهم روح اليأس التي دفعتهم إلى المخدرات أو الانتحار أو الهجرة إلى خارج فلسطين، حيث أنهم لا يرون في نهاية النفق المظلم إشارة ضوء خافتة تزين لهم الحياة المستقبلية. ويرى البعض الآخر أن أهم الآثار تكمن في ضعف قدرة الجيش ومهارته بسبب قلة التدريب، فلا وقت له في زمن الانتفاضة. وعبَّر الضباط عن عدم رضاهم عن الوضع وأملوا في حل سياسي. وقد تحول هذا التوجه إلى ترجمة عملية في التجمعات التي أفرزها ضباط الاحتياط، وهم ركن أساسي في الجيش يثير القلق في أركان الحكم. وافتقد الجيش هيبته التي كان يتمتع بها داخل الكيان الإسرائيلي بفعل الهزات العنيفة التي تعرض لها نتيجة عجزه عن الصمود أمام إرادة المنتفضين. وأدت الانتفاضة الكبرى، الهزة الأعنف في تاريخ الكيان الإسرائيلي، إلى إلحاق أفدح الخسائر بالجيش، وخاصة على المستوى النفسي تحديداً، من واقع وأهمية دور هذا الجيش في فكر الحركة الصهيونية. ولم يكن الجيش بمنأى

عن التناقضات والمصاعب التي عاشها الإسرائيليون وعمقتها الانتفاضة ودفعتها إلى المرتبة الأولى في سلم المشاكل التي يعاني منها الجيش. وخلاصة القول إن الآثار التي لحقت بالجيش منذ اندلاع الانتفاضة قد شملت كافة مناحي ومجالات عمله. فقد تحولت ظاهرة رفض الخدمة العسكرية من حركة احتجاجية هامشية إلى حركة ذات مضامين وأهداف سياسية لها امتداد جماهيري يتسع يوماً بعد يوم، وطرأ عليها تطوراً ملحوظاً كماً ونوعاً، فتشكل مجلس الأمن والسلام الإسرائيلي (١٩٨٨/٤) من قبل عدد من كبار العسكريين الاحتياط الرافضين للخدمة في الضفة والقطاع. وظهرت العديد من اللجان والمجموعات العسكرية المؤيدة لذلك، ناهيك عن تبني العديد من الأحزاب والحركات اليسارية لمطالب حركات الاحتجاج الرافضة لهذا. وعانى الجيش من ارتفاع حاد في عدد الفارين من الخدمة، وفي عدد الراغبين في الإعفاء منها، وارتفع عدد المتدينين المعفيين من الخدمة العسكرية، إذ إن القانون يجيز إعفاء اليهود المتدينيين من الخدمة. وهكذا تشكل ظاهرة رفض الخدمة العسكرية من كافة جوانبها أخطر الظواهر التي يعاني منها الجيش. ونتيجة اتساع الظاهرة قررت قيادة الجيش عدم تقديم رافضي الخدمة للمحاكمة لأكثر من ثلاث مرات، بعدها ينقل إلى الخدمة خارج الضفة والقطاع. ولوحظ تزايد عدد الفعاليات الجماهيرية المؤيدة لرفض الخدمة العسكرية في الأرض المحتلة[٣٠٦]. وهناك العديد من المؤشرات التي تدل على أثر الانتفاضة في ارتفاع نسبة الانتحار في صفوف الجيش، وتبين أن الذين يؤدون الخدمة في الضفة والقطاع يضربون نساءهم بكثرة. وانتشرت ظاهرة إرسال الجنود للخدمة في الأراضي المحتلة كأحد أنواع العقاب لهم، مما يؤكد حجم التأثير النفسي للانتفاضة على الجيش الإسرائيلي. وهناك مؤشرات أخرى تدل على مدى انتشار المخدرات

وتعاطيها في الجيش، وهو ما أدى بوجه عام إلى ضعف الانضباط العسكري، وزيادة حوادث السرقة والسطو والممارسات الجنائية التي يقوم بها الجنود، وارتفاع نسبة حوادث الطرق العسكرية التي نجم عنها قتلى من الجنود وزادت سرقة الأسلحة من معسكرات الجيش. وخلاصة القول أن الانتفاضة أحدثت شرخاً عميقاً في صفوف المؤسسة العسكرية الإسرائيلية، ترتب عن عدم قدرتها مواجهة أطفال الحجارة، ونتيجة للرعب الدائم الذي يعيشه الجنود أثناء الخدمة هناك، وللزيادة الحادة في عدد أيام الخدمة الاحتياطية[٣٠٧].

لقد كشفت المواجهات اليومية عن جوانب الضعف والقصور في بنية الجيش، وتبدت في ثلاثة من أخطر مجالات القدرة العسكرية، وهي: القدرة الاستخباراتية، والقدرة على الحشد البشري، والقدرة على السيطرة الميدانية. فقد شكلت الانتفاضة مفاجأة على المستوى الاستراتيجي بالنسبة للكيان الصهيوني، حيث جاءت خارج سياق التوقعات، سواء في توقيتها أو نوعيتها، وهو ما يعكس تقصير وإخفاق أجهزة الاستخبارات رغم حشدها لمعظم طاقاتها الاستخباراتية قبيل تفجر الأحداث. ونجح المنتفضون في تصفية جزء كبير من طابور العملاء وشل فاعليته. وتعد المحاولات المتعددة الفاشلة للقبض على قيادات ونشطاء الانتفاضة وأعضاء اللجان على مستوى المدن والقرى والمخيمات من أبرز تجسيدات العجز الاستخباراتي الإسرائيلي. وقد كشفت الانتفاضة، رغم اعتماد الجيش الإسرائيلي المكثف على التقنيات والمبتكرات العلمية العسكرية، عن معاناته من ضعف البنية القتالية والقدرة على الحشد البشري. فالجسم المقاتل محدود للغاية بالنسبة إلى الحجم العام للجيش. وفي صراع يتطلب حشداً بشرياً مكثفاً وانتشاراً جغرافياً واسعاً للسيطرة على الانتفاضة، لا وجود لخطوط القتال الهجومية أو الدفاعية المعدة

في هيئة الأركان، ولا فعالية للتكنولوجيا العسكرية. ولأن الجيش الإسرائيلي لم يكن يحتفظ سوى بعدد محدود من الجنود قبل اندلاع الانتفاضة فقد اضطر إلى نقل الآلاف من الجنود وزجهم في الصراع اليومي في مواجهة المنتفضين. وبذلك استنزفت الانتفاضة الجهد العسكري للقسم الأكبر من القوات، واستنفد الجيش معظم قواته التعبوية، دون تمكنه من قهر المنتفضين. وهو ما يعني فرض الانتفاضة على مؤسسة الأمن الإسرائيلية مستوى عالياً من التشغيل لقواتها البشرية المحدودة ولفترة زمنية طويلة لم يعتادها الجنود. وأدت عدم قدرة الجيش على السيطرة الميدانية التي تتطلب تواجداً عسكرياً مكثفاً وموازياً للتواجد البشري الفلسطيني إلى فقدان السيطرة الكاملة، إذ فرضت الانتفاضة نمط تشغيل مرهق ومكلف لمؤسسة الأمن الإسرائيلية. وهكذا فقد الجيش سيطرته الميدانية، رغم محاولاته التكيف مع متطلبات الصراع[٣٠٨]. وبدأت مردودات التورط تنعكس على المؤسسة بشكل مؤثر وعميق، يمكن رصد جوانبها في طبيعة الانتشار الجغرافي الذي فرضته الانتفاضة على الجيش، وفي تدني استعداده القتالي وهبوط الروح المعنوية لأفراده، وتغير نظرة المجتمع الإسرائيلي إلى مؤسسة الأمن[٣٠٩].

من جهة أخرى فإن للانتفاضة انعكاسات نفسية وسلوكية على كوادر الجيش الإسرائيلي. فلوحظ على المستوى السلوكي عدم تقيد الجنود والضباط بالتعليمات العسكرية، وإطلاق البعض منهم لغرائزهم خلال تنفيذ التعليمات، وتحفظ البعض الآخر على تصرفات زملائه. ويرى كبار علماء النفس في الجيش الإسرائيلي أنه كلما طالت الخدمة في الأراضي المحتلة، كلما أدت إلى أضرار مسلكية ونفسية خطيرة على الجنود وكوادر الجيش. واعتبروا أن استخدام العنف ضد المدنيين سيقود إلى نوعين من ردود الفعل النفسية، أولها: انعدام الحساسية وانعدام القدرة على التمييز بين العنف المبرر والعنف

من أجل العنف دون سبب كاف، أو بين استخدام قدر معقول من القوة وبين ممارسة الضرب دون أي معيار. وثانيها: انتشار البلبلة والصراع الداخلي وانعدام الدوافع والاضطراب، التي تقود جميعها إلى كوابيس، وهو ما يعني بلغة علم النفس، التنافر بين ما تربى الإنسان عليه وبين القيم التي تلقاها وآمن بها من ناحية، وبين ما يفرض عليه تنفيذه. فيكون ممزقاً بين الالتزام بالمعايير والقيم الشخصية وبين الالتزام بالجيش وأوامره.وقد يواجه القادة السياسيون بمفاجآت غير سارة إذا أدرك الجنود أن جهدهم المبذول لم يكن له معنى وأن تضحياتهم ذهبت عبثاً. وأكد العلماء أن الانغلاق النفسي سيتطور لدى جزء من الجنود، وكذلك مظاهر انعدام الارتياح والبلبلة والكآبة لدى البعض الآخر، سيتسببان في ظاهر خطيرة منها انعدام الانضباط ورفض الاستجابة للأوامر بداعي الضمير، والرد بعنف على أي ظاهرة دون التمييز بين المذنب والبريء[٣١٠]. وأدى ذلك إلى تراجع مكانة الجيش وإصابته بجو من الإحباط بسبب عدم القدرة على تجسيد قوته وإمكاناته ضد الانتفاضة، التي تحول فيها الجيش إلى قوات شرطة وقمع وملاحقة للمدنيين[٣١١]. ونجحت الانتفاضة أيضاً في إفشال نظرية الأمن الإسرائيلية، وفي نقل المعركة خارج الحدود، حيث أصبحت في الداخل وفي عمق المجتمع الإسرائيلي، وفرضت على سلطة الاحتلال مراجعة عناصر نظريتها القائمة على سياسة القبضة الحديدية التي لا ينجم عنها سوى تصاعد المقاومة واستمرارية الانتفاضة[٣١٢].

وهكذا أربكت الانتفاضة جيش الاحتلال وأثرت سلباً على معنويات جنوده، ملحِقة خسائر مادية وبشرية تأهيلية ومعنوية به، وأضراراً بمستوى تأهيله وإعداده، فشوشت على برامجه ومخططاته التدريبية والمناوراتية الاستعدادية لحرب نظامية[٣١٣]. ووجهت بعض صناعاته الحربية لإنتاج

أسلحة ومعدات لمقاومة الانتفاضة، وانشغلت في التدريب على أساليب إخمادها ومواجهتها، مما صرفها عن واجبها الأساسي في الأبحاث والتطوير لإنتاج معدات وأسلحة جديدة. وأثر سلباً على أداء الجيش لمهامه القتالية وعزوف الشباب عن الخدمة الدائمة وزيادة نسبة الهروب من الخدمة الإلزامية[٣١٤]. وبذلك لم تعد المؤسسة العسكرية الصهيونية تمتلك فاعليتها التي اعتادت عليها منذ قيامها، وبدت ملامح التمزق واضحة فيها وفي نسيجها الإيديولوجي[٣١٥].

أما على المستوى الاجتماعي، فقد عمقت الانتفاضة التناقضات في المجتمع الإسرائيلي، وأظهرت حالة من القلق والهلع، والخوف الدائم من القتل، وعدم الشعور بالأمن، وإحساساً بعدم امتلاك مقومات الوجود والبقاء[٣١٦]. وقد واكب ذلك انقسام المجتمع على نفسه وارتفاع معدل التآكل فيه[٣١٧]، وسهولة اختراقه من خلال عدة جوانب، مما أدى إلى انتشار الذعر والجبن في صفوف مختلف فئاته وشرائحه[٣١٨]، ونجحت الانتفاضة في تعميق الهوة داخل المجتمع وزادت الانتقادات الموجهة لعدم القدرة على إيقاف الانتفاضة، وزعزعت الثقة لدى الجمهور الإسرائيلي والتشكيك بعدم قدرة إسرائيل على حسم أي حرب مقبلة لصالحها في المستقبل.

وأثرت الانتفاضة سلباً في مجالات اجتماعية متعددة في إسرائيل. فقد دخلت عنوة إلى كل بيت فيها، وأثارت جملة تساؤلات وفتحت العيون على حقائق جديدة، مصيبة بذلك العصب الأكثر حساسية للوعي الجماعي. ولوحظ تصاعد النزوح الإسرائيلي إلى خارج فلسطين وتوقف الهجرات الاستيطانية اليهودية إليها، وتدهور الوضع النفسي والأخلاقي وتفشي ظواهر مرضية، من أهمها تنامي ظواهر اليأس والإحباط والخوف من المجهول التي بدأت تضغط على عقولهم وأعصابهم، ما دفعهم إلى إيثار العنف. ورأى عدد من

علماء الاجتماع أن الانتفاضة نجحت بضغطها المتواصل في التأثير في المعنويات القومية بشكل عام، وفي خلخلة النسيج الاجتماعي الإسرائيلي[٣١٩].

ب- الطرف الثاني: الأمة العربية والإسلامية:

أعادت الانتفاضة قضية فلسطين إلى صدارة الاهتمام العربي والإسلامي رسمياً وشعبياً، وتحوَّلت من بند ثانوي إلى بند رئيسي في جدول أعمال القمة. ونجحت الانتفاضة الكبرى في تصدر قائمة الأولويات في قمة الجزائر الطارئة عام ١٩٨٨، بينما قادت انتفاضة الأقصى القمة العربية إلى الانعقاد بصورة دورية سنوية بعد توقف دام أكثر من عشر سنوات منذ قمة القاهرة عقب أزمة الخليج الثانية[٣٢٠]. وأتاحت تغييراً في السلوك العربي الجماعي الرسمي، الذي شهد تحولاً من النظر للقضية على أنها تخص الفلسطينيين وحدهم إلى التأكيد على مظلتها العربية والإسلامية، دفعته إلى تقديم الدعم المادي وتفعيل التحرك الدبلوماسي الموحد في مواجهة التحدي الصهيوني، أحد أخطر التحديات التي تواجه الأمة ومقدساتها. وهكذا استعادت القضية الفلسطينية، بفضل الانتفاضة، المضمون العربي والإسلامي الداعم لها[٣٢١].

وأيقظت الانتفاضة الرأي العام العربي والإسلامي بعد تغييبه مدة طويلة، فدفعته إلى التظاهر والمقاطعة الاقتصادية للسلع الأميركية والإسرائيلية، وتشكيل لجان شعبية لمساندة الانتفاضة، وانتشار المشاعر الغاضبة نتيجة القمع الإسرائيلي للمدنيين الفلسطينيين. وأدت الانتفاضة من جهة أخرى إلى تسريع الانتفاح العربي على العراق لاستعادة دوره الطبيعي[٣٢٢]. وتصدرت الانتفاضة الأحداث والاهتمامات العربية الرسمية والشعبية، ودفعت كل ما عداها إلى الظل، بعد أن كانت القضية في الظل من قبل، حيث احتلت أحداث الانتفاضة واجهات الصحف العربية ووسائل إعلامها[٣٢٣]. وتساءل البعض

عن كيفية تحول الانتفاضة إلى منعطف تاريخي عربي، واستكشاف علاقتها كتحول فلسطيني شمولي عميق بحدوث تحول في الموقف العربي يصح توصيفه بأنه يشكل تحولاً جذرياً وتاريخياً عربياً[٣٢٤]. وبوجه عام هناك ثلاثة معطيات أساسية مستجدة تمثلها الانتفاضة وتستند إليها في مفهوم معظم النظم العربية، هي: العودة بالقضية الفلسطينية إلى مركز الصدارة في اهتمام النظام الإقليمي العربي، واستدراج النظام العربي مجدداً إلى ساحة الصراع مع إسرائيل، ومخاطر انتقال عدوى الانتفاضة إلى داخل الكيانات العربية ذاتها[٣٢٥]. وهي في مجموعها تشكل تحدياً لها، تجسيداً للنموذج الانتفاضي المرتبط بهيكل النظام السياسي من الداخل. حيث يشكل غياب الديمقراطية الحقيقية، وانتهاك الحقوق والحريات السياسية، وممارسة القهر والقمع، ومنع تداول السلطة، وضعف مؤسسية النظام السياسي، دافعاً للانتفاض. بجانب دافع آخر يتعلق بتخاذل الأنظمة الحاكمة عن القيام بواجبها الفعلي إزاء القضية الفلسطينية والانتفاضة، والاكتفاء بالشجب والاستنكار والعمل الدبلوماسي. وقد فرضت الانتفاضة من جهة ثانية تفاعلاً شعبيا عربياً وإسلامياً غير مسبوق، أدى إلى إحراج مواقف الدول العربية التي تقيم علاقات مع الكيان الصهيوني، في ظل تصاعد المطالبة بوقف العلاقات ومحاربة الكيان[٢٣٦]. ولقد قامت الانتفاضة بدور في عودة الروح العربية[٣٢٧].

ويرى البعض أن انتفاضة الأقصى صنعت بداية تحول شعبي عربي شامل، يمكن أن يزيد الانفصام بين الحكومات والشعوب إذا استهانت الأنظمة بهذا التحول. فعندما تدب الحياة في الشعوب لا يقدر أحد على الوقوف في طريقها كما حدث في الانتفاضة[٣٢٨]. وقد قامت الانتفاضة بتفعيل الحياة الرسمية والشعبية العربية المصابة بالشلل المزمن، وحرّكت مشاعر الكبرياء

في الشارع العربي، وكشفت حقيقة الضعف والعجز العربي إزاء الاحتلال، ودفعت العديد من الأطراف والجهات إلى تقديم الدعم المادي[٣٢٩].

وأوجدت مشكلة وتحدياً للنظم العربية ، إذ خرج الآلاف من العرب الذين هزتهم مشاهد القمع الإسرائيلي ، وعبَّرت هتافات المتظاهرين والمواجهات التي جرت بينهم وبين قوات الأمن في مدن عربية مختلفة عن الأزمة التي تواجهها هذه النظم. فقد دفع ما بدا للجماهير على أنه عجز عربي عن الفعل والتصدي للوحشية الصهيونية، إلى إثارة تساؤلات جوهرية حول شرعية النظم العربية، وأنه لا يمكنها أن تفض يدها من القضية الفلسطينية ، ولا تملك ترف الاكتفاء برفع الشعارات وإعلان المبادئ والمواقف بديلاً عن التحرك الجدي لإيجاد حل مقبول وعادل للقضية الفلسطينية . ودلت هذه الأحداث أن الشارع العربي لا يمكن أن يظل تحت السيطرة، خاصة عندما يطال الأمر المقدسات الدينية[٣٣٠]. وأعادت الانتفاضة فرض الذاكرة التاريخية للصراع وكذلك بعده العقدي، ومن ثم نجحت في توجيه نقد غير مباشر للنظم العربية على إسقاطها لهذه الأبعاد واسترخائها في ظل مناخ السلام والتحول عن الدفاع وعن استراتيجية الحرب إلى انتهاج دبلوماسية التنمية. وكانت المحصلة فشل النظام العربي في مواجهة التحدي الصهيوني بالفاعلية المطلوبة. ونجحت الانتفاضة في إبراز الجماهير العربية الإسلامية والمناخ الجديد الذي أحاط الإعلام العربي، وأنه مازال للصورة وجه آخر، حيث أدت إلى استعادة الوعي لدى جيل الشباب ، الذي تربى في ظل شعارات السلام وفقدان الذاكرة عن جذور الصراع وحقيقته، فأصبح يراعي البعد الإسلامي في إدارة الصراع ، وهو ما يخالف توجه معظم النظم العربية نحو فصل الدين عن السياسة ، والاعتماد على المساندة الخارجية المطلوبة من جانب القوى الكبرى[٣٣١].

٥- التغذية الاسترجاعية:

وتعبر عن ردود الفعل المختلفة التي تصدر عن الأطراف المستقبلة للرسائل الانتفاضية، نتيجة تأثرها بالفعل الانتفاضي، وبكل ما ورد من أجهزة الإرسال في النظام الانتفاضي. وتأتي هذه الردود عادة في صورة ممارسات عملية واقعية أو في صورة أقوال وتصريحات، أو قرارات تعكس الاستجابة إيجاباً أو سلباً. وتميز الدراسة بين تغذية استرجاعية تساند الانتفاضة وتقدم الدعم لها أو تحافظ على استمراريتها، وتأتي عادة من الأمة أو إحدى مكوناتها، وبين تغذية استرجاعية سلبية تسعى إلى إيقاف الانتفاضة أو إضعافها أو إخمادها أو حتى وأدها واقتلاعها من جذورها، وتأتي هذه الممارسات من إسرائيل ومؤيديها، أو من جهات تشكل الانتفاضة خطورة عليها، حتى ولو كانت من إحدى مكونات الأمة، التي من المتصور أنها الطرف الداعم والمساند لها.

ففيما يتعلق بالتغذية الاسترجاعية الواردة من إسرائيل، التي تعكس أسلوب التعامل الصهيوني مع الانتفاضة، يمكن التمييز بين ثلاثة تيارات، لا تتطابق مع خطوط التقسيم التقليدية داخل النخبة السياسية والعسكرية بشأن التعامل مع الانتفاضة، لكنها تحدد الإطار العام لسياسة إسرائيل تجاه الانتفاضة، خاصة بعد انتفاضة الأقصى الأخيرة. وهي: تيار متشدد، يطرح تصورات شديدة التطرف تعتبِر أن ما يحدث حرباً على إسرائيل، ويرى هذا التيار بعنصريته ضرورة اتباع أسلوب يؤدي إلى استسلام الفلسطينيين بصورة كاملة وبدون شروط؛ وتيار براجماتي، لا يقبل بالتصورات الاكتساحية والحل العسكري، ويرى أن ما يحدث يمثل شبه حرب، داعياً إلى الضغط العسكري المترافق مع إجراءات سياسية واقتصادية وإدارية تمنع الفلسطينيين من تحقيق مكاسب سياسية وعسكرية وإعلامية، وذلك في إطار استراتيجية متعددة الأبعاد تؤدي

إلى مخرج مناسب يتصل بالتسوية؛ وتيار معتدل يرى أن ما يحدث انتفاضة ناتجة عن الفجوة الواسعة بين الطرفين بشأن ما يجري في الواقع، فيما يخص الاستيطان، والظروف المعيشية والضغط المستمر، وما يقوم به اليمين الذي لن يؤدي إلا إلى تعميق الكراهية لإسرائيل في المنطقة، ويتصور أن السياسة الأمثل للتعامل مع الانتفاضة هي وقف ارتكاب الأخطاء وضبط النفس مع طرح صيغة سلمية تتيح التوصل إلى اتفاق. وقد أديرت عمليات التعامل مع الانتفاضة في إطار توجهات التيار البراجماتي مع استمرار فتح الطريق للوصول إلى تسوية محددة بالتوازي مع سياسات القوة[٣٣٢]، وبعد أن تولى اليمين المتطرف السلطة بزعامة شارون حدث تحول إلى التيار المتشدد أظهر الوجه الحقيقي لسلطة الاحتلال. أما التيار المعتدل فلا أحد يتبناه رسمياً والأصوات المعتدلة تركت الساحة.

وتشير الدراسة فيما يلى إلى الإجراءات التي اتبعتها سلطة الاحتلال لمواجهة الانتفاضة، على المستويات العسكرية والاقتصادية والاجتماعية والسياسية والإعلامية والإدارية. فقامت بداية بحملة ممارسات قمعية مستخدمة سياسة القبضة الحديدية، أدت إلى تزايد انتهاكات حقوق الإنسان الفلسطيني، وعودة حرب الاغتيالات، وحملات الاعتقال والإبعاد، وإرهاب الأطفال، وهدم المنازل، ومصادرة الأراضي، وإطلاق المستوطنين للتخريب واغتصاب الأراضي عنوة من أصحابها، وإقامة الحواجز العسكرية، وسياسة الضرب والتكسير، وإطلاق فرق الإعدام ، بالإضافة إلى ضرب المدن والقرى والمخيمات بالصواريخ والطائرات والدبابات[٣٣٣]. وصاحب هذه الممارسات فرض قيود إدارية وقانونية وتنظيمية صارمة[٣٣٤]، كتحريم وتجريم الانتماء إلى اللجان الشعبية[٣٣٥]، وتشديد المؤثرات السلبية لقانون الاحتلال على الانتفاضة[٣٣٦]، واتباع سياسة الإغلاق أو المراقبة والملاحقة

والتدخل في عمليات التطوير إزاء مؤسسات التعليم العالي[٣٣٧]. واشتملت الاستراتيجية الجديدة على مجموعة إجراءات اقتصادية وإدارية، منها : اشتراط الحصول على تصاريح تصدير واستيراد للتجار لإجبارهم على دفع الضرائب المفروضة عليهم، ووضع قيود متعددة ومتصاعدة على إدخال الأموال إلى الأرض المحتلة خاصة بعد الانتفاضة الكبرى، ومنع إدخال المخصص منها لترميم المساجد وحظر سفر الصرافين للخارج ومصادرة أموال طائلة، وتجميد التصاريح اللازمة لتصدير البضائع في المناطق المنتفضة، وقطع خطوط الكهرباء والهاتف والمياه على فترات متفاوتة، وفرض حظر تجول بين المناطق وبعضها البعض. كما تضمنت أيضاً منع السكان من التنقل بين الضفة والقطاع، ومنع تزويد المحطات بالوقود، ومصادرة مكبرات الصوت التابعة للمساجد، وشن حملة لاستبدال البطاقات الشخصية لمئات الآلاف من الناس، وأخرى لتغيير لوحات السيارات، مع فرض رسوم وغرامات باهظة على السكان[٣٣٨]. واستخدمت سلطة الاحتلال أسلوب العقاب الاقتصادي الجماعي[٣٣٩]، مع تصاعد الانتفاضة وتتابع العمليات الاستشهادية الموجعة[٣٤٠]، ومحاصرة المؤسسات الفلسطينية في القدس بتكثيف الاستيطان[٣٤١]، ومنع وصول المساعدات الغذائية والطبية القادمة من الدول العربية ، وخنق المدن والقرى والأحياء والمخيمات بتحويلها إلى مناطق منعزلة عن بعضها[٣٤٢]، وإغلاق الأسواق وإتلاف المحاصيل الزراعية. وقامت سلطة الاحتلال بتطبيق إجراءات إعلامية دعائية تهدف إلى تشويه المعلومات عن الانتفاضة واستخدام الدعاية المضادة لإقناع الرأي العام الغربي بأن ما يحدث أعمال شغب أو اضطرابات أو سحابة عابرة، وإقناع الفلسطينيين أنفسهم بأنهم لن يحققوا شيئاً بالانتفاض، وتوجيه ضربة معنوية إلى الفلسطينيين وإحباطهم نفسياً عن مواصلة

المقاومة[٣٤٣]. وروج الإسرائيليون لحملة من الشائعات في إطار استخدامهم للحرب النفسية، لإضعاف الانتفاضة وتمزيق الوحدة الوطنية[٣٤٤]، فقالوا بأن الانتفاضة تعبت وخمدت، وأن الحياة الحياة اليومية بدأت تعود إلى الهدوء النسبي، وحاولوا تثبيط العزائم بتزوير البيانات والتصريحات[٣٤٥]. ومن جهة أخرى حرصوا على إيقاف الانتفاضة من خلال اللقاءات السياسية الدولية ومشروعات التسوية السلمية كما حدث بعد الانتفاضة الكبرى (مدريد ١٩٩٠، أوسلو ١٩٩٣)، وفي عهد انتفاضة الأقصى (شرم الشيخ ٢٠٠٠)[٣٤٤]، وعن طريق طرح مشاريع سياسية، منها تلك المقترحة لمحاصرة الانتفاضة الكبرى، كمشروع بن إليعازر، ومشروع ساريد، وتقرير معهد يافا، وخطة بيريز، ومشروع شارون، وخطة رابين[٣٤٧].

وفيما يتعلق بالتغذية الاسترجاعية الواردة من الأمة العربية والإسلامية، فإنها قد اتسمت بالعنف وعدم تقديم الدعم المطلوب. ولوحظ وجود فجوة واسعة بين المواقف الرسمية وردود الفعل الشعبية[٣٤٨]، وتميزت فيها التحركات غير الرسمية بالإيجابية والتفاعل والتعاطف، رغم تراجعها فيما بعد. وأخذ الدعم الرسمي شكلاً احتفالياً غير فاعل، متضمناً لقاءات قمة واجتماعات وزراء خارجية، لإصدار تصريحات وبيانات شجب وإدانة، وتشكيل لجان متابعة، وجميعها لم تسفر عن شيء سوى بعض الدعم المعنوي. وتركز الدعم السياسي في القيام بتحرك دبلوماسي بغرض التوصل إلى تسوية سياسية، في ظل رفع السلام كخيار استراتيجي، واستبعاد خيار الحرب ولو من قبيل المناورة. وهو ما يدل على ضعف الأنظمة الحاكمة من مواجهة سلطات الاحتلال وتجاوزاتها. ورغم تصريحات الحرب التي أطلقها بعض القادة العرب في انتفاضة الأقصى، غير أنها سرعان ما انزوت، وفي ذلك تعبير عن توجيهها للاستهلاك المحلى[٣٤٨]. ورغم تعهد الكثير من الدول

العربية بتقديم الحصة المخصصة لها ضمن برنامج الدعم المادي للانتفاضة، إلا أنها لم تلتزم بذلك، فلم يدخل في صندوقي القدس والانتفاضة سوى مبلغ ضئيل. ويرى البعض أن التقاعس الرسمي العربي عبَّر بعضه عن خوف حقيقي من الانتفاضة وانعكاساتها عربياً. لذلك حرصت الأنظمة الحاكمة على إجراء تعتيم إعلامي مكتفية بنقل بعض أخبارها، خشية أن تؤدي إلى تحفيز الجماهيرالعربية على التحرك لتصحيح الأوضاع[٣٥٠]. وخوفاً من مخاطر انتقال العدوى، حرصت على التكيف مع الانتفاضة إعلامياً، واحتوائها عن طريق مجاراتها سياسياً بالدعوة للجلوس على مائدة التفاوض للتوصل إلى تسوية سلمية. واستخدمت في كثير من الأحيان أسلوب الامبالاة والصمت إزائها[٣٥٠]. وجاء رد فعل منظمة المؤتمر الإسلامي والجامعة العربية مخيباً للآمال وأقل بكثير مما هو مطلوب وما هو ممكن، شأنها شأن الأنظمة الحاكمة التي تضمها[٣٥٢]. ومن جهة ثانية فإن الدعم الشعبي العربي والإسلامي يأتي دائماً قوياً وعارماً فتكثر المظاهرتعبيراً عن الرفض، والفعاليات الثقافية المتنوعة، والدعاوى للدعم المادي والرغبة في التطوع، لكنه سرعان ما يخبو ويتوقف، حتى بالنسبة لانتفاضة الأقصى التي شهدت تحولاً شعبياً شاملاً أجهد مشاريع التطبيع وإقامة العلاقات الدبلوماسية مع الكيان الصهيوني، فإنه لم تمض فترة زمنية وجيزة حتى خيم صمت مطبق كأن شيئاً لم يكن، رغم استمرار اسرائيل في قصفها وتدميرها لبنية الكيان الفلسطيني. وقد أرجع البعض ذلك إلى غياب الأطر والقنوات والقوى المنظمة التي يمكنها تعبئة الطاقة الشعبية وتجميعها في اتجاه دعم الانتفاضة[٣٥٣]، وإلى استخدام أساليب القمع المختلفة لمنع التحرك الشعبي.

أما فيما يتعلق بالتغذية الاسترجاعية الواردة من الأطراف الثالثة على المستوى الدولي، فرغم أنه عقدت لقاءات لإبراز التأييد العالمي للانتفاضة

ولحق تقرير المصير للشعب الفلسطيني، وعاد بعض الـزخم للقضـية إلا أن القوى والمنظمات الدولية سعت إلى ممارسة الضغط لإنجاز تسـوية سـلمية تكرس التفوق لسلطة الاحتلال[٣٥٤]، واستهدفت أساساً إيقاف الانتفاضـة[٣٥٥]. وقد استمرت الولايات المتحدة في تقديم المساندة لسلطات الاحتلال[٣٥٦]، وقد تجلى ذلك بصورة لم يسبق لها مثيل في إدارة جورج بـوش الابـن، رغـم القصف والتدمير الذي قام به شارون، إلا أنه حظي بدعم كامل. وبعد أحداث التفجيرات الأخيرة في نيويورك وواشنطن (سبتمبر ٢٠٠١)، ورغم استغلال إسرائيل لها في ضرب المدنيين وتدمير الكيان الفلسـطيني بحجـة مواجهـة الإرهاب، فقد ازداد التأييد الأمريكي وانضم له الأوروبي لمواجهة العمليـات المسلحة التي ينفذها الفلسطينيون، معتبرة أن هذه الأجنحة العسكرية ضـمن قائمة الإرهاب التي أعلنت عنها الولايات المتحدة محاربتها. ومازالت القـوى الدولية المساندة لإسرائيل تستخدم نفس الأساليب القديمة فـي التعامـل مـع الانتفاضة، مستندة إلى إرسال لجنة لتقصى الحقائق يعقبهـا مبـادرة جديـدة للتفاهم والجلوس على مائدة التفاوض، مع ترك الاحتلال مستمراً فـي قمعـه للمدنيين. ويزداد النشاط الدبلوماسي كثافة بتصـاعد الانتفاضـة مـن أجـل حصارها وتطويقها ومنع انتشارها في المنطقة[٣٥٧]. وعلى المسـتوى غيـر الرسمي سادت أثناء الانتفاضة الكبرى حالات من الغضب وقامت حركـات اجتماعية ضد الممارسات الصهيونية في فرنسا وبريطانيا وايطاليا وهولنـدا وبلجيكا والدنمارك[٣٥٨]. وعبَّرت بعض أجهزة الإعلام والصحافة الألمانيـة والسوفياتية وغيرها في كثير دول العـالم عـن تضـامنها وتعاطفهـا مـع الانتفاضة، فقدمت وصفاً دقيقاً وشاملاً وصادقاً لأحداثها مركزة على أسـاليب الجيش والمستوطنين العنصرية في استخدام العنف وقمع المتظاهرين، وقامت بتقديم صورة واقعية عن أحداثها وتطوراتها وإنجازاتهـا الهامـة، وأبـرزت

شجاعة المنتفضين ونشرت الصور الناطقة المعبرة عن الحالة التي يعيشها الفلسطينيون[٣٥٩]. وبصفة عامة فإن التغذية الاسترجاعية الواردة من الأطراف الثالثة تأتي لصالح الاحتلال، وتتراوح بين التأييد المطلق لها كما تفعل الولايات المتحدة وأوروبا، وبين الصمت وعدم التدخل، وهو ما يعكس ازدواجية المعايير في النظام الدولي.

رابعاً: الإنجازات، والسمات والآليات التي تحرك النظام الانتفاضي:

حققت الانتفاضة العديد من الإنجازات على مختلف الصعد والمستويات، واختصت كحركة اجتماعية وسياسية بجملة من السمات والآليات التي تميزت بها، وكانت محدداً لملامحها، ومحركاً لنظامها العام في إطار النظام الاجتماعي والسياسي الفلسطيني.

١- <u>إنجازات الانتفاضة</u>:

تميز الدراسة بين أربعة مستويات للتعرف على أهم إنجازات الانتفاضة: المستوى الفلسطيني، وفيه يتم تناول ما حققته من منافع وطموحات للفلسطينيين؛ والمستوى الإسرائيلي، و يتم فيه التطرق إلى الخسائر التي تكبدها الإسرائيليون باعتبارها إنجاز من المنظور الانتفاضي؛ والمستوى العربي، ويتضمن عناصر التقدم التي حدثت بفعل الانتفاضة لصالح القضية الفلسطينية والتضامن العربي؛ والمستوى الدولي، ويشتمل على ما نجحت الانتفاضة في تحقيقه على مستوى الرأي العام العالمي والعلاقات الدولية.

فقد استطاعت الانتفاضة على المستوى الفلسطيني تشكيل أطر تنظيمية وقيادية جديدة أدت إلى استيعاب الاندفاع الوطني الشعبي وتحويله إلى ثورة منظمة محددة الأهداف والمهام. وتسنى لها المحافظة على الزخم الجماهيري

المقاوم للاحتلال وتصعيده وتدريبه ميدانياً. وقد تم إنشاء هياكل إدارية متطورة تربط بين مجالات المقاومة اليومية المختلفة، وبناء مؤسسات فلسطينية مختلفة ومعبرة عن وجود الكيان الفلسطيني. وهذه في جوهرها تعد إنجازات كبيرة نجحت الانتفاضة في تحقيقها، توكيداً على أنها مرهونة بالشعب المنظم المتفاعل معها والموحد في قوالب تنظيمية[٣٦٠]. وانتشرت فعاليات الانتفاضة في مختلف قطاعات المجتمع محققة بذلك التوازن بين الفلسطينيين والإسرائيليين[٣٦١]، مما أدى إلى نجاح التحول إلى حركة شعبية واسعة[٣٦٢].

وأدت انتفاضة الأقصى إلى وضوح الرؤية نحو الهدف المتمثل في تحقيق الاستقلال، معلنة استمراريتها وتصاعدها إلى أن تقام الدولة الفلسطينية كاملة السيادة. وهى بذلك المرجع الأهم في إطلاق هذا المطلب بقوة. وقد حققت إنجازاً استراتيجياً تمثل في وحدة الجبهة الداخلية سلطة ومعارضة[٣٦٣]، وإبراز قضايا هامة كالقدس والمستوطنات واللاجئين، والاقتصاد الفلسطيني المستقل، ومشكلة الاغتيالات والعملاء[٣٦٤]. وساهمت الانتفاضة في زيادة التكافل الاجتماعي والتوجه نحو الاقتصاد المنزلي، مما أدى إلى تنمية روح التعاون والتضامن والمشاركة. وتم تشكيل اللجان الخاصة لجمع التبرعات وتوزيعها على المحتاجين. بالإضافة إلى لجان أخرى للإغاثة الطبية، والتعليم وغيره، شملت مجالات الحياة اليومية المختلفة. ونجحت الانتفاضة في إنهاء كثير من العادات الاستهلاكية التي لا تتمشى مع الواقع وظروفه.وتم توجيه العمالة الفلسطينية داخل المؤسسات الصهيونية لإحداث الخسائر في الاقتصاد الصهيوني، وإرباك العمل في مؤسساته وإحداث الشلل في بعض قطاعاته. واستطاعت الانتفاضة حماية الأسر الفقيرة والمعدمة، وتدريب الناس وتأهيلهم للعصيان المدني الشامل. وفيما يتعلق بتنمية ودعم الاقتصاد الفلسطيني، تم

تشجيع الاقتصاد الوطني والصناعات المحلية وتنشيط الاقتصاد المنزلي وترشيد الاستهلاك، دعماً للانتفاضة وتمهيداً لإيجاد بدائل عن البضائع الإسرائيلية. وتم تعزيز الاكتفاء الذاتي بدعم مرافق الإنتاج الأهلية، واستيعاب أكبر عدد ممكن من العمال في المرافق الاقتصادية [٣٦٥]. واستطاعت الانتفاضة الكبرى إزالة الفوارق الاجتماعية بين شريحة وأخرى والتخلص من مجموعة من العادات والتقاليد الاجتماعية السلبية التي كانت سائدة. وهذبت كثيراً من أنماط التفكير والتعبير وطوعت كثيراً من الممارسات الفردية لتوائم السلوكيات العامة للانتفاضة والأهداف العامة لها[٣٦٦].

وأكدت الانتفاضة وجود الهوية الوطنية للشعب الفلسطيني، واضعة القضية الفلسطينية في مركز الاهتمام الإقليمي والدولي، وموحدة الإرادة السياسية وإرادة الشعب متجاوزة كل الحواجز والحدود. واستطاعت تعميق معاني الارتباط العضوي والمصير المشترك بين كافة فئات الشعب، وبلورة مفاهيم المقاومة بكافة أشكالها محولة مركز الثقل من الخارج إلى الداخل. ولفتت انتباه الرأي العام العالمي على حقيقة وجود معاناة. ومن جهة أخرى أعادت الانتفاضة إلى الفلسطينيين ثقتهم بأنفسهم وخلعت عنهم بقايا مشاعر الخوف والتردد إزاء مواجهة قوات الاحتلال، ودفعت بهم إلى الأقلمة والتكيف مع طاقاتهم ومصادرهم ومنتوجاتهم المحلية للتحرر من التبعية والإلحاق بالاقتصاد الإسرائيلي. ونجحت الانتفاضة في معالجة عدد من الظواهر السلبية والأمراض الاجتماعية التي كانت تعيق ارتقاء المجتمع الفلسطيني، كظاهرة التعاون مع سلطة الاحتلال، وظاهرة التكاليف الباهظة للزواج، وهي واحدة من أعقد المشاكل الاجتماعية التي واجهت الشباب. وعززت الانتفاضة دور المرأة ومكانتها، ورفعت الروح المعنوية لفلسطيني الشتات، وعمقت الأخلاق والمفاهيم والممارسات الديمقراطية على كافة

المستويات، وقادت القوى السياسية والفصائل إلى اعتماد طريق الحوار والتفاهم والالتزام[٣٦٧]. وأبرزت الدور الإيجابي البناء للعامل الديني وللحركات الإسلامية الفلسطينية[٣٦٨]، و فرضت حلاً لمشكلة المخيمات والحرب والحصار في لبنان (٨٧-١٩٨٨) [٣٦٩].

وعززت الانتفاضة الروابط الإنسانية والوطنية بين الفلسطينيين على جانبي الخط الأخضر[٣٧٠]، وكان لها أثرها الإيجابي على الثقافة الفلسطينية، في أحياء أنماط ثقافية وقيم اجتماعية جديدة تتلاءم مع الوضع الانتفاضي،وفي نفس الوقت التخلص من قيم وأنماط أخرى سلبية[٣٧١]. واستطاعت إسقاط حواجز الوهم السياسي ومقولات الكيان الصهيوني، وأعادت طرح الحقوق المدنية الفلسطينية في التحرير وإنهاء الاحتلال بعقلانية انتفاضية عمقت الوحدة الشاملة[٣٧٢].

وساعدت على المستوى الإسرائيلي في سقوط فكرة إسرائيل الكبرى جغرافياً، وأزاحت الستار عن الممارسات الديكتاتورية الصهيونية وكشفت عن حقيقة الكيان الصهيوني المزيفة عن الديمقراطية التي بدأ العالم يترقبها باستياء بالغ[٣٧٣]. وزرعت بذوراً للتفسخ الاجتماعي والنفسي في الكيان[٣٧٤]، فصعَّدت الأزمة الاجتماعية والنفسية معرية هشاشة البيئة الفكرية للشخصية اليهودية المثالية. وأسهمت في تصعيد حدة ازدواجية الولاء اليهودي، وفضحت ادعاءات إسرائيل في تعزيز التوازن النفسي للشخصية اليهودية المضطهدة في أوروبا، وأثبتت عدم صحة دعواها إلى درجة دفعت بيهود العالمي إلى الاستياء من سلوك دولتهم بسبب زيادة مشاعر الآخرين ضدها. وأدت الانتفاضة إلى زيادة وحدة المنافسة والصراع والانقسامات والتفتت للقوى على درجة تحول دون موقف إسرائيلي موحد. وبلغت درجة الصراع حداً لاحتمال نشوب حرب أهلية بين اليهود[٣٧٥]. وأبرزت الانتفاضة الهمجية

اليهودية أمام العالم، وتوقفت الهجرات اليهودية إلى فلسطين وزيادة نسبة الذين رحلوا إلى خارجها. ونجحت اقتصادياً في إجبار البنوك الصهيونية على إغلاق فروعها ومصارفها، وأدت إلى تقليص واردات خزينة الكيان من الضرائب المباشرة، وإحداث حالة كساد موجهة ضربات موجعة لمختلف القطاعات الاقتصادية تمخض عنها استنزاف مليارات الدولارات. وتمكنت الانتفاضة عسكرياً من وضع إشكالية التداخل السياسي والعسكري في مأزق لم تشهده إسرائيل من قبل، فالانتصارات السريعة والمفاجئة لم تتحقق ولم يتمكن قاداتها من السيطرة على الانتفاضة. وهزت بعمق نظرية الأمن الصهيوني القائمة على مبدأ الحرب قصيرة الأمد وفكرة الهجومية، إذ امتلكت الانتفاضة زمام المفاجأة والمبادرة والقدرة الدائمة على الاستنزاف والهجومية في استمرارية وتصاعد طويل الأمد. وإن كانت الانتفاضة الكبرى قد دامت سبع سنوات، فإن انتفاضة الأقصى التي وحدت الشعب الفلسطيني في الداخل والخارج بكافة قواه وفصائله، من المتصور أنها ستستمر إلى أن يتحقق الاستقلال. وقد حققت الانتفاضة كثيراً من الإنجازات على سلطة الاحتلال والجيش الصهيوني، منها قيام عدد من التكتلات بين العسكريين الصهاينة الذين يعتبرون أن الأرض المحتلة أصبحت غير ذات جدوى للأمن الصهيوني داعياً إلى التخلص منها. وأن المستوطنات، وهي الشق الثاني من أعمدة الأمن، أصبحت عبئاً ثقيلاً على الكيان من الناحية الأمنية. والمستوطنون بدورهم يشكُّون في قدرة الجيش على حمايتهم، ويتهمونه بالجبن والتقصير والإهمال. وأحدثت الانتفاضة أزمة ثقة وفجوة بين القاعدة والقيادة في الجيش، ونجم عنها أزمات نفسية حادة بين الجنود، وتخبط واضطراب قيادي ازداد عمقاً بتصاعد الانتفاضة واستمراريتها، وخسائر متنوعة في الجيش، منها: خسارة الملايين من ساعات التدريب، وإلحاق

الضرر بقوة ولياقة الجيش بكامله بما في ذلك قواته الاحتياطية. وتسببت في قسوة وفظاظة جيل كامل من الجنود، وتدهور الروح المعنوية لهم، وسيادة حالة من الإحباط في صفوفهم، وانخفاض هيبة عدد من كبار ضباط الجيش الذين اضطروا إلى الاستقالة من مناصبهم. وأظهرت الانتفاضة من المنظور السياسي أن محاولات تأمين حدود إسرائيل مع الدول المجاورة لا قيمة لها، ورغم أنها لا تشكل تهديداً لوجود الكيان إلا أنها وضعت أمامه علامة استفهام تكبر مع استمرارية الانتفاضة حول صورة المستقبل وكيفية الخروج من المأزق. وكشفت عن الوجه الحقيقي للاحتلال وقامت بتعرية حضارته وديمقراطيته التي يدعيها، وأحدثت صدمة في الوعي السياسي الصهيوني وارتباكاً على مستويات القوى السياسية كافة، ودفعت الأمور نحو الاستقطاب السياسي رسمياً وشعبياً، وزادت من عمق الانقسامات السياسية العسكرية الحاكمة، وفي داخل التكتل أو التنظيم السياسي الواحد، بحيث زادت من بلورة تناقضاتهم السياسية وجسدت الهوة بين القيادات[٣٧٦]. ولصقت صفة "الإرهاب" وكذلك "العنصرية" على الجبين الإسرائيلي ودخلت إلى تل أبيب وكشفت وعمقت النزاع في المجتمع الإسرائيلي، وأوجدت حالة من الارتباك في صفوف الأحزاب السياسية، وساهمت في زيادة التمحور الإقتصادي بين التيارات السياسية، مع تصاعد قوة تيار "أقصى اليمين" الأكثر تطرفاً[٣٧٧]، محدثة أزمة سياسية وفكرية في ظل وضع إسرائيل في موقف الدفاع والتهديد فيما يتعلق بمصير الدولة اليهودية[٣٧٨].

وانتشلت الانتفاضة، على الصعيد العربي، القضية الفلسطينية من بئر التعتيم والتغييب والتهميش، وأسهمت في تحريك مشاعر الكبرياء في الشارع العربي، وكشفت حقيقة الضعف والعجز العربي إزاء الاحتلال والعمل الجدي، محفزة العديد من القوى والجماعات على العمل[٣٧٩]. واستطاعت

استنهاض الوضع العربي والإسلامي بعد انتفاضة الأقصى من خلال قمتان ضعيفتان، هما قمة القاهرة العربية (٢١-٢٢/١٠/٢٠٠٠)، وقمة الدوحة الإسلامية (١٢/١١/٢٠٠٠)، رغم أنهما لم يكونا على مستوى الآمال الشعبية[٣٨٠]. وقد شكلت الانتفاضة تحدياً مهماً لبنية التفكير السياسي العربي المعاصر، محاولة تفعيل الحياة السياسية الرسمية والشعبية العربية المصابة بالشلل المزمن، وإعادة الاعتبار إلى الفرد العادي، وإبداعاته في المقاومة السلمية التي تشكل حافزاً لرجل الشارع العربي على العمل بالقيم الانتفاضية. وأفادت الساحة العربية في التخلص من فكر اليأس والاستسلام الناجم عن حالات الفشل والانتكاس، والهزائم والانقسامات والصراعات القطرية التي عمت الساحة. وحققت على الصعيد العربي احتراماً خاصاً وتميزاً للشعب الفلسطيني، ودخلت بشكل فاعل ومؤثر في صلب الحوار والصراع القائم بين المجتمع والدولة في البلاد العربية عبر المناخ الذي صنعته. ويرى البعض أن الانتفاضة تسهم يومياً في إعادة تشكيل المجتمع العربي والدولة العربية، وتسهم تلقائياً في تصميم الخلل الكبير الذي جعل من الدولة مهيمنة ومسيطرة والمجتمع مشلولاً هامشياً وفاقداً لروح المبادرة. فنجحت في تحريك المجتمع العربي وغرس روح المبادرة فيه. ومن المتوقع أن تُدخِل الانتفاضة العرب مجدداً كقوة شعبية عريضة مؤثرة في دائرة صنع الفعل، بدلاً من اكتفائهم برد الفعل فقط. وأن يزداد دورهم مع استمرارها، رغم قصور الخطاب السياسي العربي في توظيف حيوية الأمة. واستطاعت تسليط الضوء على الحلقة المفقودة بين اتخاذ القرارات وتنفيذها، وعلى تجسيد الفجوة بين صانعي القرار ومنفذيه، كي لا تقتصر الأمور على الدعم بقرارات وتوصيات ومؤتمرات واحتفالات دون الوصول إلى واقع ملموس. وقدمت الانتفاضة نموذجاً جديداً للعمل من خلال استلهامها للعديد من التقاليد العربية

والإسلامية. وزاولت بنجاح غير مسبوق بين توظيف واستخدام العنصر الديني دون الاصطدام بدعاة القومية والعلمانية [٣٨١].

أما على الصعيد الدولي، فقد نجحت الانتفاضة الكبرى في التأثير إعلامياً وسياسياً وإنسانياً على الرأي العام العالمي، وفرضت الخيار الفلسطيني على كل الأطراف، فلم يعد بالإمكان رفض الوجود السياسي الفلسطيني في كل المساعي الدولية، وفتحت آفاق مواصلة المقاومة بكافة أشكالها أمام الشعب الفلسطيني، وفي المقابل تمكنت من اسقاط عدد من الخيارات، وبخاصة الخيارات الإسرائيلية الأميركية[٣٨٢]، واستطاعت الوصول إلى عواصم القرارات الدولية، إذ نقلت القضية الفلسطينية إلى المرتبة الأولى في سلم أولويات مباحثات الدول الكبرى. غير أن الأمور تبدلت منذ انتفاضة الأقصى وخاصة بعد أحداث نيويورك وواشنطن، إذ انغمست الولايات المتحدة والغرب في ما سمي بمكافحة الإرهاب في العالم، وهي عبارة فضفاضة ترى الدراسة أن الولايات المتحدة استخدمتها لمحاربة أي قوة أو جماعة أو فرد أو دولة تهدد مصالحها أو تشكل عائقاً لها، ولاستعادة هيبتها من جديد. وقد استفادت منها إسرائيل في قمع الانتفاضة من ناحية، ولصق تهمة الإرهاب في القوى المنتفضة، وخاصة حركتي حماس والجهاد الإسلامي وتنظيم فتح وكتائب الأقصى والجبهة الشعبية.

وحققت الانتفاضة نصراً مؤزراً متفوقاً على الإعلام الصهيوني بسبب الدور المعلوماتي الذي قام به المنتفضون، إذ حرصوا على مساعدة المراسلين والإعلاميين والصحافيين الأجانب وتوفير المعلومات لهم. وكسبت ثقة الرأي العام الأوروبي وتعاطفه بسبب السلوك القمعي المستخدم بحق المدنيين. وقد أدى ذلك إلى إهمال مصادر المعلومات وأدوات الإعلام الصهيوني وعدم الاعتماد عليها في متابعة الأحداث، مقابل ارتفاع مصداقية

المصادر الفلسطينية التي فرضت نفسها بوقائع يومية موثقة وملموسة. وبدأ الانتقال تدريجياً من تأييد الفلسطينيين المعنوي إلى سلوك محدد في الشارع الأوروبي. وأبرزت الانتفاضة الوجه الحقيقي الإرهابي للدولة الصهيونية، وعملت على تغيير الصورة السلبية التي رسمها الإعلام الصهيوني للمقاومة الفلسطينية(٣٨٣).

٢- السمات والآليات التي تحرك النظام الانتفاضي:

تتميز الظاهرة الانتفاضية بسمات وخصائص عديدة، فهي الأكثر توحداً وتخطيطاً وانضباطاً، والأقوى والأشد بأساً وشجاعة وقدرة على التحمل والتضحية، والأمضى غضباً وحقداً، والأوضح اندفاعاً(٣٨٤)؛ وتتسم بحركة مد وجزر حلزونية متصاعدة بفعل تراكم خبرة المقاومة طوال أكثر من قرن، تميزت بتزاوج العمل العفوي والمنظم، والمقاومة السلمية والعنيفة، في الداخل والخارج. ومن خصائصها بروز ظاهرة الموجات المتتالية في الفعل الانتفاضي، فقد تحولت من موجة الحرائق إلى، موجة خطف الجنود، فموجة التفجير، فموجة الاستشهاد، وصولاً إلى موجات الضرب بالسكاكين، ثم قتل المستوطنين، وإعدام العملاء، وغيرها من الموجات. بحيث تستغرق الواحدة منهن فترة من الزمن يمكن العودة إليها مرة أخرى في الوقت المناسب. وقد أشار البعض إلى ما سمي بالموجة العاتية التي تجعل الانتفاضة في أعلى مراحل تصاعدها وصراعها مع سلطة الاحتلال (٣٨٥). وترى الدراسة أن عهد شارون الذي واكبه كثرة العمليات الاستشهادية والتفجيرات في قلب كل أبيب وفي الأماكن المزدحمة التجارية وتجمعات الجنود وأغلب مرافق الحياة الصهيونية، يعكس موجة عاتية أسفرت من مقتل مئات الإسرائيليين. والملاحظ أن الموجة العاتية تشتد باشتداد القصف والقمع الإسرائيلي، بحيث

يندرج في إطارها استخدام الموجات جميعاً في آن واحد. ومن خصائصها التنظيمية الهيكلية القيادية، والطابع الجماهيري، والمؤسسي، وخصوصية وسائل المواجهة التي تنفرد بها، وظاهرة الاستشهاد. وللانتفاضة من جهة أخرى خصائص تميز خطابها السياسي(٣٨٦).

ومن أهم سماتها: الاستمرارية الزمانية، والشمولية المكانية سكانياً وعمرانياً وجغرافياً، وتصاعد الفعل وارتقائه، والتكيف مع الظروف الصعبة، والدور التنموي اجتماعياً واقتصادياً، والبناء التنظيمي المتشعب، والقدرات التكتيكية البارعة في مجال تحديد الأهداف، والإصرار على الديمقراطية وهي في أوج عنفوانها(٣٨٧).

وتمتلك الانتفاضة سمة التحدي وقوة الإرادة لشعب أعزل في مواجهة قوة عسكرية كبيرة، وكذلك سمة استنزاف العدو. وتشترك مع الانتفاضات الأخرى في التحرك ضمن سقف المقاومة وطموحات التحرير، وفي التصاعد عند المساس بالمقدسات الدينية. ولها قدرة على توظيف المستجدات لصالحها مهما كانت قاسية أو ضعيفة. ومن سماتها أيضاً وجود رؤية إدراكية للذات، وبروز ظاهرة توفير الطاقات، وتثبيت قواعد استمرار وتواصل العمل الانتفاضي متزامناً مع استمرارية الحياة اليومية نفسها. وهو ما يعني القدرة على تكييف نفسها، وتوليد القدرة الذاتية اللازمة لها من أجل البقاء. وهو ما يجعل منها ثورة فريدة بين حركات التحرر في العالم(٣٨٨).

وتتميز الانتفاضة من جهة ثانية بآليات خاصة تنفرد بها كحركة اجتماعية وسياسية، يتحرك بواسطتها النظام الانتفاضي. فهناك أولاً آلية تنظيمية خاصة، ولولا وجود تنظيم سري قوي ومتماسك وفاعل ومؤثر ومستعصي على أجهزة الاستخبارات والقمع الإسرائيلية، لما حافظت الانتفاضة على نفسها وحمت قيادات ومؤسساتها. وهناك آلية للتجديد الذاتي، حيث برزت

الحاجة لأساليب وأفكار وقيادة جديرة، بالنظر إلى سنوات الاحتلال الطويلة خلال القرن الحالي، أراد الفلسطينيون خلالها نفض تلك السنوات وتكوين مجتمع جديد ونمط حياة جديدة وقيادة جديدة. وهناك أيضاً آلية لحرية الحركة والعمل الانتفاضي، وآلية لحرية التناوب والتمثيل، وآلية لشبكية اللجان ذات الصورة الهرمية المتشعبة في أعماق المجتمع، وآلية للتكافل الاجتماعي الثوري، وآلية للعمل من الداخل ديمقراطياً، وآلية للقدرة على إيجاد قيادات بديلة في حال تعرض الأولى للسجن أو الإبعاد أو القتل، وآلية لاتخاذ القرار، الذي تحول بدوره من تعددية نسبية إلى مركزية نسبية، لأن الانتفاضة يقوم بها المجتمع كله بكافة قواه السياسية. والسلطة الفلسطينية تسيطر إلى حد بعيد على فعالياتها، وتستند هذه السيطرة إلى وجود القيادة في الداخل(٣٨٩).

الخاتمة

بعد تحليل الظاهرة الانتفاضية واستعراض النموذج الفلسطيني، تتناول الدراسة فيما يلي أهم الانتقادات والمقولات الخاطئة المرتبطة بالانتفاضة، وتلقي الضوء في عجالة على بعدها الحضاري والقيم الثقافية والنموذج المعرفي الذي تمثله، ثم تتطرق إلى مستقبل الانتفاضة.

فقد حدد البعض أخطاءً تعاني منها اللجان، وهي العمود الفقري للانتفاضة، يأتي في طليعتها سيطرة الروح الفئوية والولاء للفصيل أو القوة السياسية التي ينتمي إليها العضو أكثر من ولائه للمؤسسة الانتفاضية، وكذلك عدم وجود هيئة تنسيق عليا لضبط عملها وتوجيهها، فاتخاذ القرار اليومي يستند إلى اللامركزية في الأساس. ولوحظ غياب الدعم المالي وغير المالي لشبكة اللجان، واستمرار انقطاع الصلة المباشرة بينها وبين القيادة العليا، وعدم استكمال انتشارها على الأراضي الفلسطينية المحتلة عام ١٩٦٧(٣٩٠).

ويرى البعض الآخر أن القيادة العليا للانتفاضة، مقارنة بلجنة التوجيه الوطني التي تعد أرقى أشكال التنظيم الفلسطيني في الأرض المحتلة في فترة ما قبل الانتفاضة الكبرى، تعكس خطوة إلى الوراء، لأنها احتوت على القيادات الفصائلية المهمة، وتجاهلت في الوقت نفسه البنى الاجتماعية والسياسية العريقة الأخرى. ولوحظ بعد انتقال مركز ثقل الحركة الوطنية إلى الداخل، اختزال الأطر التنظيمية على مستوى الأحياء والقرى والمدن والمخيمات إلى نظام الحصص الفصائلي، وزيادة الفجوة بين العمل السياسي والعمل المسلح، واتساع نطاق الاختلاف بين القيادة الرسمية وقادة القوى السياسية الأخرى(٣٩١).

ورغم محاولة التهويل أو التهوين من شأن الحقائق والمعطيات، بتضخيم قوة سلطة الاحتلال والقول بأن الانتفاضة مسكينة أو العكس، أو التقليل من قدرة الاحتلال، مع الاستهزاء والاستهتار بالقدرات الذاتية الفلسطينية، لوحظ ظهور مغالطات ومقولات خاطئة طرحتها جهات مغرضة أو غير واعية. فهناك من روج إلى مقولة "عفوية الانتفاضة"، والصحيح أنها اتصفت بذلك في بداياتها لكنها سرعان ما استوت على سوقها في إطار تنظيمي محكم ومتشعب في الجسد الاجتماعي الفلسطيني. ومقولة العفوية توحي بانقطاع الظاهرة الانتفاضية عن ذاكرتها التاريخية منذ بداية المشروع الصهيوني. والمقولة الأدق هي جمع الانتفاضة بين العفوية في بداياتها وشبكية اللجان ونواة الكيان الفلسطيني فيما بعد. وهناك من أثارَ مقولة "أهل الداخل والخارج"، متحدثاً في إطارها عن خلافات وفوارق وفواصل، وأن الانتفاضة ستفرز قيادات جديدة بديلة لقيادة منظمة التحرير الفلسطينية، مما يؤدي إلى شق الصف الفلسطيني. وهناك من تحدث عن مقولة " الاستثمار السياسي للانتفاضة" كورقة ضغط على إسرائيل أثناء التفاوض، غير أن الانتفاضة لا

تقبل التفاوض مع العدو أو الاعتراف به أصلاً، وتعتبره استعماراً دخيلاً وجب مقاومته بشتى الأساليب إلى أن يتحقق الاستقلال. ومن ثم فإنها نقيض التفاوض مع استعمار استيطاني إحلالي لا يتوانى عن تنفيذ مخططاته كل يوم. وإن كانت التسوية قد أوقفت الانتفاضة الكبرى، فإن انتفاضة الأقصى قد أثبتت عدم صحة مقولة الاستثمار السياسي، وأظهرت الوجه الحقيقي الإسرائيلي الرافض للسلام، والمتعطش للحرب ولتدمير الكيان الفلسطيني وبناه التحتية، وهو ما يحدث الآن في عهد شارون. وتأسيساً على هذه المقولة، هناك من يثير "مقولة التحريك"، حيث ينظر للانتفاضة على أن هدفها تحريك الأوضاع السياسية لإجبار الأطراف المعنية على التفاوض. إلا أن استمرارية الانتفاضة وتصاعدها في أواخر عام ٢٠٠٠، أكد أنها انتفاضة تحريرية. ويمكن القول أنها تحريكية للأوضاع العربية والإسلامية الراهنة وللوضع الدولي المتجاهل(٣٩٢).

وتمثل الانتفاضة من المنظور الحضاري حلقة من حلقات الثورة على انحراف وجهة التعامل مع الصراع المفروض على المنطقة، وهو صراع شامل بأبعاد عقدية وحضارية وتاريخية وجغرافية، ولم تندلع الانتفاضة لتصحيح اتفاقيات وحدود، بل لتصميم مسيرة واتجاه على المستويين العربي والإسلامي. فاحتضان الإسلام للقضية الفلسطينية حتمي لأصالته التاريخية الحضارية، ولضروراته المعاصرة ومعطياته المتوفرة. وقد وجهت انتفاضة الأقصى ضربة قوية للجهود المبذولة لصناعة إنسان عربي آخر على الطريقة الأجنبية ليكون طابوراً خامساً. ونجحت في تصوير المشاريع السلمية الصهيونية والأمريكية كمشاريع تسعى للهيمنة على المنطقة، واستطاعت كشف وجه الولايات المتحدة المساند لإسرائيل في كل ما تقوم به من قمع، محدِثة تحول شعبي عربي شامل قاطع البضائع الأمريكية ودعا

لمواجهة حربية مع سلطة الاحتلال. ورغم أنه رد فعل عاطفي لا يراعي حسابات موازين القوى المختلة لصالح إسرائيل، إلا أنه يعكس دلالة على أن الفرد العربي لم يعد متفرجاً، بل يتوقع له أن يكون عنصراً فاعلاً في صناعة القرار في المنطقة(٣٩٣).

وتشكل الانتفاضة من هذا المنطلق ثورة للذات الحضارية، بمنهجها الكفاحي الطويل المدى، وبطرحها لمشروع حضاري عربي إسلامي جديد، يعالج مشكلات الانفصام الحضاري، مستنداً إلى الذاكرة التاريخية للصراع والبعد العقدي الديني له. ويعكس من جهة أخرى طليعة للتغيير في دول العالم الثالث، ومنهجاً للتحرر من التبعية (٣٩٤). وقد ساهمت من جهة أخرى في ولادة قيم وأنماط سلوك حضارية جديدة ، شكلت نقيضاً لمجموعة القيم وأنماط السلوك المعاكسة. ولكن لا يعني هذا أن الدراسة تنظر للمجتمع الانتفاضي على أنه مدينة فاضلة، فقد شهدت المناطق المنتفضة ممارسات سلبية أيضاً، ولكنها تظل استثنائية وفردية لا تشوه صورة القيم والممارسات الجماعية(٣٩٥).

والانتفاضة ليست مشروعاً لمواجهة سلطة الاحتلال، لكنها ثورة اجتماعية شاملة تنتج مشروعاً حضارياً، متضمناً ثورة ثقافية فكرية، ونموذجاً معرفياً يحاول انتشال العقل العربي من مقولة "الهزيمة الحضارية" التي كرست التبعية للغرب الاستعماري، ويضعه في أجوائه الحضارية المتميزة والفاعلة. وذلك من خلال طرح أربعة عناصر للمشروع الحضاري هي: التمرد على الغرب الاستعماري، التحرر من التبعية والانكسار والهزيمة، البحث عن نموذج حضاري آخر مستوحى من البيئة العربية الإسلامية، وإعادة قراءة التاريخ برؤية نقدية. وبذلك قدمت الانتفاضة للعقل العربي فرصة ذهبية لطرح مشروع حضاري جديد، فالمسرح أصبح مهيئاً لاستقبال هذا المشروع،

الذي يرى كثيرون أن الفاعل الأول فيه سيكون الإسلام[٣٩٦]. ويعتمد تفعيل عناصر المشروع الحضاري في المجتمع الانتفاضي على اتباع منهج اجتماعي اقتصادي يقوم على بناء اقتصاد الذات، والتخلص من التبعية، وتعميق التعاون والتقشف، من خلال العودة إلى الطبيعة، وتحقيق الاكتفاء الذاتي، باستخدام الوسائل البدائية والاستغناء عن سلع الكماليات والاقتصار على الضروريات فقط.

وقد طرح عبد الوهاب المسيري، من منظور حضاري، نموذجاً معرفياً تمثله الانتفاضة، استعرض خصائصه وأبعاده في إطار ما أسماه: "نموذج التكامل الفضفاض غير العضوي"، معتبراً أن هناك نموذجان يتعارضان على أرض فلسطين، يمثل الآخر "نموذج التلاحم غير العضوي". وقد تناول النموذج الانتفاضي المعرفي في إطار ثمان خصائص هي: أولاً: خاصية استعادة الذات والرجوع عن الحداثة الغربية، باعتبار النموذج الانتفاضي نموذجاً استرجاعياً تزول معه آثار الاحتلال مرة أخرى. وثانياً: خاصية البحث عن رقعة الإجماع الشعبي والثوابت الإنسانية بين الفلسطينيين، كالتمسك بالأرض، والدفاع عن حق تقرير المصير، وعدم الاهتمام بالأطروحات الثورية الدقيقة، وهو توجه رشيد من الناحية الإنسانية والتعبوية. وثالثاً: خاصية "الموضة الفلسطينية" التي تستند إلى لبس ثياب من إنتاج المصانع الفلسطينية، يرتدي خلالها المنتفضون نفس الزي فيصعب على العدو التمييز بينهم. ورابعاً: خاصية التحريك الأفقي مقابل التصعيد الرأسي، التي يستخدم فيها نموذج التكامل الفضفاض غير العضوي قدراً من الطاقة ويحتفظ بمصادرها الأخرى، مفضلاً التوازن على الصراع، وجامعاً بين الطاقة الإنسانية (التقاط الحجر وإلقاؤه) والطاقة الطبيعية (الحجر نفسه). ولأن النموذج الانتفاضي لا يتجه نحو النمو المستمر، فهو يحاول أن يصل

إلى الذروة، ولذلك فهو يتوهج أحياناً ويخبو أحياناً أخرى، ولكنه لا ينطفئ أبداً، ولا يشتعل أبداً. وخامساً: خاصية وحدة التنوع التي لا يكون الترشيد الكامل فيها ضرورياً، بل يكون ضاراً، إذ إنه يعني تطبيق قانون واحد، وهذا يتعارض مع تنوع الأجزاء وتفاوت السرعات، ولذلك فالنموذج الانتفاضي لا يعمل بالمستوى نفسه من الكفاءة، وهذا ما ترك مجالاً للإبداع الشخصي والمقاومة الإبداعية. وسادساً: خاصية القدرة على الاستمرار تحت معظم الظروف، وعلى الاستمرار بعد الانقطاع. وسابعاً: خاصية اللامركزية دون توجيه يومي من القيادة ودون رقابة حزبية صارمة؛ وثامناً: خاصية الإبداع في التعبير عن الذات[٣٩٧].

وترى الدراسة في الختام، أن السلام بالشروط الإسرائيلية والأمريكية ليس خياراً استراتيجياً شرعياً للعرب والمسلمين. وقد أظهرت ذلك بوضوح انتفاضة الأقصى التي نجحت في كشف الوجه الإسرائيلي الحقيقي الرافض للسلام، وأكدت البعد العقدي الديني، والذاكرة التاريخية للصراع. فهو ليس صراعاً قومياً أو صراع قوى فقط، وإنما هو صراع حضاري[٣٩٨]. وتتوقع الدراسة استمرارية الانتفاضة وتصاعدها، ونماءها وارتقاءها، حتى مع اشتداد وسائل القمع الصهيوني. وأن ملامح المشروع الحضاري والنموذج المعرفي الذي تمثله الانتفاضة ستزداد رسوخاً يوماً بعد يوم، مكرِّسة نظرية جديدة لنهضة الأمة العربية والإسلامية ودول العالم الثالث، تذكرنا بأفكار المدرسة التبعية للتحرر من الاستعمار بكافة أشكاله، وهنا تكمن خصوصية النموذج الانتفاضي الفلسطيني كإطار مرجعي على مستوى الفكر والحركة.

الحواشي

١- بيان نويهض الحوت، فلسطين القضية الشعب الحضارة: التاريخ السياسي منذ عهد الكنعانيين حتى القرن العشرين (١٩١٧)، بيروت: دار الإستقلال، ١٩٩١، ص ٤٢٣.

٢- المصدر السابق نفسه، ص ٤٣١-٤٣٣.

٣- رفيق النتشة، الاستعمار وفلسطين (محاضرة)، بيروت: منشورات فلسطين المحتلة، ١٩٨١، ص ٩٨-٩٩.

٤- د. زكريا حسين، "انتفاضة الثمانينيات: ذروة العمل الوطهني الفلسطيني"، إسلام أون لاين، ٢٠٠٠/١١/١١، ص٢

٥- فالتاريخ الوطني الفلسطيني في سلسلة حلقاته المتتالية شديد الترابط والتماسك ولا تنفصم عراه، وترابطت مراحل الكفاح الفلسطيني في مواجهة الغزوة الصهيونية منذ بداياتها، وهم لم يتوقفوا عن ممارسة أسلوب النضال طوال السنوات الماضية. عمر حلمي الغول، التحولات الفلسطينية ١٩٦٧-١٩٨٧، دمشق: دار الوسيم، ١٩٩٢، ص٩. د.محجوب عمر، "مسيرة الاستقلال الفلسطيني"، شؤون فلسطينية، ع ٢٠٥، ١٩٩٠/٤، ص ٦.

٦- حول هذه الانتفاضات، أنظر: شحادة الناطور، القضية الفلسطينية: الأرض والإنسان، إربد: دار الكندي،- ١٩٦، ص ٦٠-٨٩.

٧- د.نظام العباسي، الانتفاضة الشعبية الفلسطينية: الإرث التاريخي والواقع المتجدد، نابلس: جامعة النجاح الوطنية، مركز التوثيق والمخطوطات، ١٩٩٧، ص ١٩.

٨- المصدر السابق نفسه، ص٢١.

٩- د.عبدالوهاب المسيري، "الحركة الصهيونية ومشروعها السياسي"، في: جواد الحمد (تحرير)، المدخل إلى القضية الفلسطينية، عمّان: مركز دراسات الشرق الأوسط، ١٩٨٧، ص ١١٧.

١٠- إلياس شوفانى، "العمل الوطني الفلسطيني بين الكفاح التلقائي والارتجال السياسي"، المستقبل العربي، السنة ٢٣، ع ٢٦٢، ٢٠٠٠/١٢، ص ٢٣.

١١- المصدر السابق نفسه، ص ٢٣.

١٢- د.زكريا حسين، "انتفاضة الاستقلال تتحدى مخطط الإجهاض الإسرائيلي"، إسلام أون لاين، ٢٠٠٠/١١/١١وحول بدايات الدعم الأميركي لإسرائيل منذ عهد الرئيس ويلسون عام ١٩١٧، أنظر: رفيق النتشة، الإستعمار وفلسطين (محاضرة)، مصدر سابق، ص ٤٨-٥٠ .وحول بدايات الدعم البريطاني، انظر: ص ٤٦-٤٧.

١٣- أنظر في ذلك: عمر حلمي الغول، التحولات الفلسطينية..، مصدر سابق، ص١٥ وما بعدها.

١٤- د.حلمي الساري، "أحمد الديك: سوسيولوجيا الانتفاضة"، صامد الاقتصادي، السنة ١٢، ع ٨٠، ٤-٥-١٩٩٠/٦، ص ٢٦٣.

١٥- د.أحمد الديك، مجتمع الانتفاضة، بيروت: دار الآداب، ١٩٩٣ ص١٢.

١٦- السيد ياسين وعلى الدين هلال (إشراف)، الاستعمار الاستيطاني الصهيوني في فلسطين، القاهرة: معهد البحوث والدراسات العربية، ١٩٧٥، ص (س) من المقدمة.

١٧- د.شفيق الغبرا، "الانتفاضة الفلسطينية: أسبابها، آلية استمرارها، وأهدافها"، المستقبل العربي، السنة ١١، ع ١١٣، ١٩٨٨/٧، ص ٦٧.

١٨- السيد ياسين و ..، الاستعمار الاستيطاني..، مصدر سابق، ص(س) من المقدمة.

١٩- المصدر السابق نفسه، ص (س) من المقدمة.

٢٠- بطرس البستاني، محيط المحيط، بيروت: مكتبة لبنان، ١٩٨٣، ص ٩٠٩.

٢١- أحمد رشيد رضا، معجم متن اللغة، مج٥، بيروت: دار مكتبة الحياة، ١٩٦٠، ص ٥١٧- ٥١٨.

٢٢- الزبيدي، محمد مرتضى الحسيني، تاج العروس من جواهر القاموس، ج١٩، تحقيق إبراهيم الترزي، بيروت: دار إحياء التراث العربي، ١٩٨٠، ص ٨٠-٨٨.

٢٣- د. علي حسين قليبو، هواجس فلسطينية في ظل الانتفاضة، القاهرة: دار التوفيق النموذجية، ١٩٩٠، ص ٧٩.

٢٤- د. محمود إبراهيم، "التاريخ الشفوي يتحدى المؤرخين"، في: عادل يحيى وآخرون، من يصنع التاريخ؟ التأريخ الشفوى للانتفاضة: دليل للمعلمين والباحثين والطلبة، القدس: مؤسسة تامر، ١٩٩٤، ص ١٠٩-١١٠.

٢٥- د. عبد الوهاب المسيري، "الانتفاضة وإستعادة الذات"، إسلام أون لاين، شؤون سياسية، ٢٠٠٠/١٠، ص٢.

٢٦- المصدر السابق نفسه، ص ٢.

٢٧- أنظر: ول ديورانت، قصة الحضارة: الجزء الثاني من المجلد الأول: الشرق الأدنى، ترجمة: محمد بدران، بيروت: دار الفكر، تونس: المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، ١٩٨٨، ص١٣-٢٢، ص٧٣-٨١، ص١٨٠-٢٦٤،١٩٩-٢٧٧، ص٢٩٧-٢٩٩. وأنظر: الجزء الثاني من المجلد الثاني: حياة اليونان، ص٥١٦-٥٤٤. وكذلك: الجزء الأول من المجلد الثالث: الحضارة الرومانية، ص٨٤-١١٦.

٢٨- المصدر السابق نفسه، الجزء الثاني من المجلد الثالث: الحضارة الرومانية، ص١٢٥-١٤٢.

٢٩- اعتمدنا في ذلك بصورة أساسية على: إميليو لوسو، نظرية الانتفاضة، ترجمة: جوزيف عبدالله، مراجعة اللواء سعيد طيان، بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ١٩٨٤، ص ٧-٢٣.

٣٠- واعتمدنا بصورة أساسية كذلك على: المصدر السابق نفسه، ص ٢٤-٢٥.

٣١- إرجع إلى كتب التاريخ الإسلامي خلال الفترة المذكورة، ومنها على سبيل المثال: أنور الجندي، الإسلام وحركة التاريخ: رؤية جديدة في فلسفة تاريخ الإسلام، الموسوعة الإسلامية العربية (٥)، بيروت: دار الكتاب اللبناني، القاهرة: دار الكتاب المصري، ١٩٨٠، ص١٨٦-٢٣٠.

٣٢- د. عبد الوهاب المسيرى، "الحركة الصهيونية ومشروعها السياسى"، فى: جواد الحمد..، المدخل على القضية...، مصدر سابق، ص ١١٧.

٣٣- د. نادية محمود مصطفى، "من انتفاضة الأقصى إلى قمة الأقصى في مغزى الديني- السياسي، الجماهيري- الرسمي، والسلمي العسكري"، إسلام أون لاين، ٢٠٠٠/١١، شؤون سياسية، ص ١.

٣٤- المصدر السابق نفسه، ص ٣.

٣٥- السابق نفسه، ص ٨.

٣٦- د. حامد ربيع، الإسلام والقوى الدولية: نحو ثورة القرن الواحد والعشرين، القاهرة: دار الموقف العربي، ١٩٨١، ص ٥٢.

٣٧- د. نظام العباسي، الانتفاضة الشعبية الفلسطينية...، مصدر سابق، ص ٢٣.

٣٨- المصدر السابق نفسه، ص ٢٨.

٣٩- محمد خالد الأزعر، "النضال الفلسطيني من حرب لبنان إلى الانتفاضة"، الفكر الاستراتيجي العربي، ١٩٩٠/٧، ع٣٣، ص١٦٦.

٤٠- د. هيثم الكيلاني، "الانتفاضة في إطارها الاستراتيجي"، شؤون فلسطينية، ع١٩٤، ١٩٨٩/٥، ص ٩.

٤١- د. أسعد عبدالرحمن ونواف الزرو، الانتفاضة: مقدمات، وقائع، تفاعلات، آفاق، بيروت: مؤسسة الأبحاث العربية، ١٩٨٩، ص ١٨٢. هاني العبدالله، "عجز الإسرائيليين يعمق قلقهم: الانتفاضة ليست موجة عابرة"، شؤون فلسطينية، ع ١٧٩، ١٩٨٨/٢، ص ٧٧.

٤٢- خالد عايد، الانتفاضة الثورية في فلسطين الأبعاد الداخلية، عمَّان: دار الشروق، ١٩٨٨، ص ١٠٦-١٠٧.

٤٣- د. نظام العباسي، "موقع الانتفاضة بين حركات التحرر العربية والعالمية"، شؤون فلسطينية، ع ٢١٢، ١٩٩٠/١١، ص ٣.

٤٤- د.نظام العباسي، الانتفاضة الشعبية..، مصدر سابق، ص ٦٨.

٤٥- المصدر السابق نفسه، ص ٥٠.

٤٦- وحيد عبد المجيد، "الشمولية الاجتماعية للانتفاضة: قراءة أولية"، شؤون فلسطينية، ع ١٩٣، ١٩٨٩/٤، ص ٣.

٤٧- د. أسعد عبدالرحمن و..، الانتفاضة: مقدمات...، مصدر سابق، ص ٤٣. د. محمد سعد أبو عامود، "الانتفاضة الفلسطينية ٨٧-١٩٩٠ وانتفاضة الأقصى: دراسة تحليلية مقارنة"، السياسة الدولية، ٢٠٠١/١، ص ١٠١ .

٤٨- د. محمود إبراهيم، "التاريخ الشفوي يتحدى المؤرخين"، في: عادل يحيى وآخرون، من يصنع التأريخ؟ التأريخ الشفوي للانتفاضة..، مصدر سابق، ص ١١٠، ١١٦. د. نظام العباسي، الانتفاضة الشعبية..، سابق، ص ٣

٤٩- د. نظام العباسي، الانتفاضة الشعبية..، مصدر سابق، ص ٩٦.

٥٠- ياسر الزعاترة، "انتفاضة الأقصى تعيد تعريف القضية"، إسلام أون لاين، شؤون سياسية، ص١.

٥١- Said,Edward w. Intifada and independence. In; lockman, Zachary & Beinin joel.Intifada: The palestinian uprising against Israeli occupation. London& Newyork: L.B. Tauris, 1989, P.5.

٥٢- د. هيثم الكيلاني، "الانتفاضة في إطارها الاستراتيجي"، شؤون فلسطينية، مصدر سابق، ص ٩.

٥٣- محمد خالد الأزعر، "النضال الفلسطيني من ..."، الفكر الاستراتيجي العربي، مصدر سابق، ص ١٥٥.

٥٤- وحيد عبد المجيد، "الشمولية الاجتماعية للانتفاضة: قراءة أولية"، شؤون فلسطينية، مصدر سابق، ص ٣.

٥٥- د. أسعد عبدالرحمن، "الانتفاضة الفلسطينية: الأسباب، المسار، النتائج، الآفاق"، قضايا فكرية، الكتاب السابع، ١٠/١٩٨٨، ص ١٧٧.

٥٦- د. نظام العباسي، الانتفاضة...، سابق، ص ٣.

٥٧- نبيل شبيب، "انتفاضة الأقصى مفصل تاريخي في مجرى الأحداث"، إسلام أون لاين، شؤون سياسية، ص ١.

٥٨- د. علي حسن قليبو، هواجس فلسطينية..، مصدر سابق، ص ١٠، وص ٨٠.

٥٩- د. عبد الوهاب المسيري، موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية: نموذج تفسيري جديد،مج١، القاهرة: دار الشروق، ١٩٩٩، ص ١٦٨.

٦٠- علي الخليلي، "الصحافة الفلسطينية والانتفاضة"، صامد الاقتصادي، السنة ١٢، ع ٨٠، ٤-٥-٦/١٩٩٠، ص ٦٦- ٦٧.

٦١- د. محمد سعد أبو عامود، "الانتفاضة الفلسطينية ٨٧- ١٩٩٠ وانتفاضة الأقصى: دراسة تحليلية مقارنة"، السياسة الدولية، مصدر سابق، ص ١٠٢.

٦٢- د. أسعد عبدالرحمن، "الانتفاضة.."، قضايا فكرية، مصدر سابق، ص ١٧٧.

٦٣- وفي المقابل ترى القوى الإسلامية (حماس والجهاد) أنها حالة حرب تشنها إسرائيل ضد مدنيين ينتفضون في وجه الاحتلال، بينما تصورها وجهة النظر الفلسطينية الرسمية أنها حق دفاع شرعي عن النفس. محمد عبدالسلام، "حدود القوة في المواجهات الفلسطينية الإسرائيلية"، السياسة الدولية،١/٢٠٠١، ص١٢٧.

٦٤- ربعي المدهون، "أكثر من تمرد وأقل من عصيان"، شؤون فلسطينية، ع ١٧٨، ١/١٩٨٨، ص ١٣٩.

٦٥- على الخليلي، "الصحافة الفلسطينية والانتفاضة"، صامد الاقتصادي، مصدر سابق، ص ٦٦-٦٧.وحول معنى الانتفاضة وفق الرؤية الإسرائيلية أنظر أيضا:

Bar-on,Mordechai. "Israeli reactions to the palestinian uprising". Journal of palestine studies, vol.xvii,no.4,summer 1988, issue 68, pp.48-49.

٦٦- عبد العزيز السيد، "الثورة الفلسطينية الكبرى عام ١٩٣٦-١٩٣٩ والانتفاضة الفلسطينية عام ١٩٨٧: مقارنة أولية "، في: د. أحمد سعيد نوفل وآخرون، القضية الفلسطينية في أربعين عاماً بين ضراوة الواقع وطموحات المستقبل: بحوث ومناقشات الندوة الفكرية التي نظمتها جمعية الخريجين في الكويت، بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، ١٩٨٩، ص ٤٠٧- ٤٠٨.

٦٧- ياسر الزعاترة، "انتفاضة الأقصى تعيد تعريف القضية"، إسلام أون لاين، مصدر سابق، ص ٧.

٦٨- حول مفهوم المقاومة وما يتفرع عنه من مفاهيم، أنظر: محمد خالد الأزهري، "الانتفاضة ومفهوم المقاومة المدنية"، شؤون فلسطينية، ع٢٠٦، ١٩٩٠/٥، ص١٢- ١٦.سمير أبو خطاب، أساليب المقاومة الشعبية الفلسطينية في الانتفاضة"، صامد الاقتصادي، السنة ١١، ع ٧٥، ١-٢-١٩٨٩/٣، ص ١٩٣-٢٠٠.

٦٩- إميليو لوسو، نظرية الانتفاضة، مصدر سابق، ص ٢٤-٢٥.

٧٠- سمير أبو خطاب، "أساليب المقاومة.."، صامد..، سابق، ص ١٩٢.

٧١- عبدالهادي النشاش، الانتفاضة الفلسطينية الكبرى ١٩٨٧- ١٩٨٨: دراسة في اثرها على الكيان الصهيونى وموقعها فى برامج القوى الفلسطينية وصداها عربياً ودولياً، دمشق: الاتحاد العام للكتاب والصحفيين الفلسطينيين، ١٩٨٨، ص ١١ وما بعدها.

٧٢- خالد الحروب، حماس الفكر والممارسة السياسية، بيروت: مؤسسة الدراسات الفلسطينية، ١٩٩٦، ص٣٩.

٧٣- Hunter, F.Robert.The palestinian uprising: A war by other means. London & Newyork: L.B.Tauris,1991, p.9.

٧٤- السيد يسين و..، الاستعمار الاستيطاني..، مصدر سابق، ص(س) من المقدمة.

٧٥- تتجاهل الدراسات الغربية البعد التاريخي للظاهرة الإسلامية والظواهر المتفرعة عنها ومنها الظاهرة الانتفاضية باعتبارها إحدى تجليات مفهوم الجهاد، ويرجع ذلك إلى عدة اعتبارات منها غلبة الأدوات الكمية في دراسة الظواهر، والحرص على النظرة التجزيئية، علاوة على أن الخبرة التاريخية تعكس دلالات معينة بالنسبة للغرب، فالظاهرة الانتفاضية شأنها شأن الظواهر الإسلامية بوجه عام جاءت كرد فعل لمشاريع ومحاولات الهيمنة الأجنبية على العالم الإسلامي، لذلك كانت الانتفاضة مكوناً أساسياً ضمن مكونات الإسلام الأخرى في حركات المقاومة ضد الغرب، ابتداءاً من الحروب الصليبية، مروراً بالظاهرة الاستعمارية التقليدية وانتهاءاً برفض الوجود الصهيوني في قلب العالم الإسلامي وبرفض أشكال ومظاهر الاستعمار الجديد. حسنين توفيق إبراهيم وأماني مسعود الحديني، "ظاهرة الإحياء الإسلامي في الدراسات الغربية: رؤية تحليلية نقدية"، منبر الحوار، السنة السابعة، ع ٢٥، صيف ١٩٩٢، ص٣٠- ٣١.

٧٦- McDowall, David. Palestine and Israel: the uprising and beyoud. London: L. B. Tauris, 1995, p.198.

٧٧- د. نادية مصطفى، "من انتفاضة الأقصى إلى قمة الأقصى..."، مصدر سابق، ص٢.

٧٨- د. إسماعيل صبري عبدالله، في مواجهة إسرائيل، بيروت: دار الوحدة، ١٩٨٠، ص٦٩.

٧٩- د. عبدالوهاب المسيري، "الحركة الصهيونية ومشروعها السياسي"، في: جواد الحمد (تحرير)، المدخل إلى القضية الفلسطينية، مصدر سابق، ص١١٢.

٨٠- المصدر السابق نفسه، ص١١٠- ١١١، ص١١٧.

٨١- أنظر: بيان نويهض الحوت، فلسطين القضية...، مصدر سابق، ص١٨٢، ص٢٢٨-٣٤٣. د. إسماعيل صبري عبدالله، في مواجهة إسرائيل، مصدر سابق، ص١٤- ١٥.

٨٢- بيان نويهض الحوت، فلسطين القضية...، سابق، ص٢٨٦- ٢٨٧.

٨٣- د.أمين عبد الله محمود، مشاريع الاستيطان اليهودي منذ قيام الثورة الفرنسية حتى نهاية الحرب العالمية الأولى، الكويت: عالم المعرفة، فبراير ١٩٨٤، ص١٩- ٤١.

٨٤- د. إسماعيل صبري عبدالله، في مواجهة إسرائيل، سابق، ص١٦- ١٧.

٨٥- عبد القادر ياسين، "نشأة وتطور المقاومة الفلسطينية للاستيطان الصهيوني"، في: السيد يسين و..، الاستعمار الاستيطاني..، سابق، ص٣٧٠.

٨٦- بيان نويهض الحوت، فلسطين القضية..، سابق، ص٤٣٢- ٤٣٣.

٨٧- أنظر: المصدر السابق نفسه، ص٤٣٢. عبد القادر ياسين "نشأة وتطور المقاومة.." في: السيد يسين و..، الاستعمار الاستيطاني..، سابق، ص٣٧. رفيق النتشة، الاستعمار وفلسطين...، مصدر سابق، ص٩٩.

٨٨- المصدر السابق نفسه، ص٩٩.

٨٩- أنظر: بيان نويهض الحوت، فلسطين القضية...، سابق، ص٤٣٣- ٤٥٠. بيان نويهض الحوت، "جذور الحركة الوطنية في فلسطين"، في: هشام نشابة (تحرير)، دراسات فلسطينية: مجموعة أبحاث وضعت تكريماً للدكتور قسطنطين زريق، بيروت: مؤسسة الدراسات الفلسطينية، ١٩٨٨، ص٢٤٢- ٢٥١.

٩٠- أنظر: السابق نفسه، ص٤٥٣- ٤٥٤. عبد القادر ياسين، "نشأة وتطور المقاومة الفلسطينية للاستيطان الصهيوني"، في: السيد يسين..، الاستعمار الاستيطاني..، سابق، ص٣٧٢- ٣٨٠.

٩١- د. نظام العباسي، الانتفاضة الشعبية..، مصدر سابق، ص١٠.

٩٢- ناجي علوش، "المقاومة الفلسطينية للمشروع الصهيوني على مدار قرن (١٨٩٧-٢٠٠٠)"، شبكة المعلومات الدولية: إسلام أون لاين، ملف الانتفاضة، بحث تفصيلي، ص١.

٩٣- عمر حلمي الغول، التحولات الفلسطينية...، سابق، ص١٩- ٢٠.

٩٤- ناجي علوش، "المقاومة الفلسطينية..."، مصدر سابق، ص٢.

٩٥- د. زكريا حسين، "انتفاضة الثمانينيات.."، مصدر سابق، ص١.

٩٦- المصدر السابق نفسه، ص١. وأنظر: شحادة الناطور، القضية الفلسطينية...، سابق، ص٦٠- ٦٦.

٩٧- أنظر: أكرم زعيتر، القضية الفلسطينية، عمان: دار الجليل، ١٩٨٦، ص٦٩- ٧٠. العماد مصطفى طلاس، الكفاح المسلح في وجه التحدي الصهيوني، دمشق: مطابع ألف باء- الأديب، د.ت، ص٣٩- ٤٠.

٩٨- عبد القادر ياسين، "نشأة وتطور.."، سابق، ص٣٨٩- ٣٩٠. عمر حلمي الغول، التحولات الفلسطينية..، سابق، ص٢١.

٩٩- عبدالقادر ياسين، "نشأة وتطور المقاومة..، سابق، ص٣٨٦. وأنظر: العماد مصطفى طلاس، الكفاح المسلح..، مصدر سابق، ص٤١. أكرم زعيتر، القضية الفلسطينية، مصدر سابق، ص٧٦- ٧٧.

١٠٠- المصدر السابق نفسه، ص٧٧.

١٠١- السابق نفسه، ص٨١- ٨٢. وأنظر: محمد عزة دروزة، القضية الفلسطينية في مختلف مراحلها، الجزء الأول، بيروت: دائرة الإعلام والثقافة، منظمة التحرير الفلسطينية، ١٩٨٤، ص٢٣ وما بعدها. إلياس شوفاني، الموجز في تاريخ فلسطين السياسي منذ فجر التاريخ حتى سنة ١٩٤٩، بيروت: مؤسسة الدراسات الفلسطينية، ١٩٩٦، ص٤٣١.

١٠٢-ناجي علوش، "المقاومة الفلسطينية..."، سابق، ص٤- ٦. وأنظر لمزيد من التفصيل: مذكرات المناضل بهجت أبو غربية ١٩١٦- ١٩٤٩، في خضم النضال العربي الفلسطيني، بيروت: مؤسسة الدراسات الفلسطينية، ١٩٩٣صبحي ياسين، الثورة العربية الكبرى في فلسطين ١٩٣٦- ١٩٣٩، دمشق: بدون ناشر، د.ت. محمد عزة دروزة، القضية الفلسطينية..، سابق، ص١٦٤ وما بعدها. نجيب الأحمد، فلسطين تاريخاً ونضالاً، عمان: دار الجليل، ١٩٨٥، ص٢٢٢ وما بعدها. وقارن مع: بول كوربييه، "سوف تنبعث فلسطين"، في: ريمون نشاطي (ترجمة)، عاجلاً أو آجلاً ستزول إسرائيل بقلم ١٥ كاتباً فرنسياً، بيروت: دار العلم للملايين، ١٩٨٦، ص١٦٦-١٧٥.

١٠٣- أكرم زعيتر، القضية الفلسطينية، سابق، ص٩٥- ٩٦.

١٠٤- المصدر السابق نفسه، ص٩٧- ٩٨. وأنظر: عمر حلمي الغول، التحولات الفلسطينية..، سابق، ص٢٢. عبدالقادر ياسين، كفاح الشعب الفلسطيني حتى العام ١٩٤٨، دمشق: دار الجليل، ١٩٨١، ص١٣٢- ١٤٩.

١٠٥-انظر: يوميات أكرم زعيتر، الحركة الوطنية الفلسطينية ١٩٣٥- ١٩٣٩، بيروت: مؤسسة الدراسات الفلسطينية، ١٩٩٢، ص١- ٤٠. عمر حلمي الغول، التحولات..، سابق، ص٢٢. إلياس شوفاني، الموجز في تاريخ فلسطين..، سابق، ص٤٥٥. د. عادل حسن

غنيم، الحركة الوطنية الفلسطينية من ثـورة ١٩٣٦ حتـى الحـرب العالميـة الثانيـة، القـاهرة: مكتبة الخانجي، ١٩٨٠، ص١٣- ١٤، ص١٧.

١٠٦- المصدر السابق نفسه، ص١٦- ١٧، وانظر: عبـدالقادر ياسـين، "نشـأة وتطـور المقاومـة.."، سابق، ص٤٠٠.

١٠٧- ناجي علوش، "المقاومة الفلسطينية..."، سابق، ص٧.

١٠٨- شحادة الناطور، القضية الفلسطينية.."، مصدر سابق، ص١١٤، ونظر ص١٢١- ١٦٦.

١٠٩- ناجي علوش، "المقاومة الفلسطينية.."، سابق، ص٨.

١١٠- المصدر السابق نفسـه، ص٩- ١٠، وحـول دور الإخـوان وعلاقـتهم بفـتح عقـب نشـوئها، أنظر: د. عبدالله أبو عزة، مع الحركة الإسـلامية فـي الـدول العربيـة، الكويـت: دار القلـم، ١٩٨٦، ص١١٧- ١٦٣. عمـر حلمـى الغـول، التحـولات...، سـابق، ص٢٤- ٢٥. إليـاس شوفاني، "العمل الوطني الفلسطيني ..."، المستقبل العربي، مصدر سابق، ص١٨- ١٩.

١١١- أنظر: عمر حلمى الغول، التحولات..، سابق، ص١١٦- ١١٧.

١١٢- المصدر السابق نفسه، ص١١٧.

١١٣- السابق نفسه، ص١١٧.

١١٤- نفسه، ص١١٧- ١١٩.

١١٥- د. أسعد عبدالرحمن و ..، الانتفاضة..، سـابق، ص٤٣. عمـر حلمـي الغـول، التحـولات..، سابق، ص١١٩- ١٢٠.

١١٦- المصدر السابق نفسه، ص١٢٠- ١٢١.

١١٧- السابق نفسه، ص١٢١.

١١٨- د. أسعد عبدالرحمن و..، الانتفاضة...، سابق، ص٤٣.

١١٩- أنظر: المصدر السـابق نفسـه، ص٤٣- ٤٤. عمـر حلمـي الغـول، التحـولات...، سـابق، ص١٢١.

١٢٠- أنظر: المصدر السابق نفسـه، ص١٢٢- ١٣٠. د. أسـعد عبـد الـرحمن و..، الانتفاضـة...، سابق، ص٤٤.

١٢١- المصدر السابق نفسه، ص٤٤.

١٢٢- محمد خالد الأزعر، "النضال الفلسـطيني..."، "الفكـر الاسـتراتيجي العربـي، مصـدر سـابق، ص١٥٥- ١٥٦. وأنظر: د. أسعد عبد الرحمن و ..، الانتفاضة..، سابق، ص٤٤.

١٢٣- الأزعر، "النضال الفلسـطيني..."، الفكـر الاسـتراتيجي العربـي، مصـدر سـابق، ص١٥٦- ١٥٧. الغول، التحولات..، سابق، ص١٣٠.

١٢٤- المصدر السابق نفسه، ص١٥٧.

١٢٥- الغول، التحولات..، سابق، ص١١٥- ١١٦.

١٢٦-د. هاشم عبدالجواد، "فلسطين: لمحات عن الحركة الإسلامية: الجذور، الحاضر"، قضايا فكرية، الكتاب ١٣، ١٠/١٩٩٣، ص٢٣٤.

١٢٧- إلياس شوفاني، "العمل الوطني الفلسطيني..."، المستقبل العربي، مصدر سابق، ص٩، ص٢٣.

١٢٨-د. نظام العباسي، "موقع الانتفاضة بين حركات التحرر العربية والعالمية"، شؤون فلسطينية، مصدر سابق، ص٤

١٢٩- المصدر السابق نفسه، ص٥- ٦.

١٣٠- السابق نفسه، ص٥- ٧، ص١٥.

١٣١-نفسه، ص٨- ٩. وقارن مع رؤية عبد القادر ياسين لأهم الدروس والعبر التي يركز فيها على انتقاد ما قامت به الحركة الوطنية الفلسطينية على مر التاريخ، من نشاطات سياسية (مؤتمرات، وفود، عرائض، احتجاجات) تدخل في نطاق اللاعنف، معتبراً ذلك للتواطؤ مع المحتل أو مع القوة العظمى المساندة له. وقد وجه هذه الاتهامات للقيادات الدينية أيضاً، مؤكداً على أهمية الكفاح المسلح. ويحاول ياسين معتمداً على المنظور الطبقي والأفكار الماركسية اللينينية، التي يبدو متأثراً بها للغاية، إصدار أحكام مسبقة على الظاهرة الانتفاضية مقللاً من شأن دور القيادات لكونها دينية أو تنتمي لطبقة كبار الملاك، ومشيراً إلى أنها تتواطأ مع الاحتلال ويشكك في وطنيتها، ويرجع ذلك بطبيعة الحال إلى الموقف المعادي الذي تقفه الماركسية من طبقة كبار الملاك (عائلة الحسيني وعائلة النشاشيبي) ومن رجال الدين (الحاج محمد أمين الحسيني)، ولكنه لا يجد جواباً لتزعم الشيخ القسام، وهو إمام مسجد في يافا، للحركة المسلحة الأولى. وهكذا حلل ياسين تجربة الحركة الوطنية بإقحام المنظور الطبقي إقحاماً، وجعل الموضوع أداة لإثبات الأطروحات الماركسية مبتعداً كلية عن الموضوعية العلمية. عبد القادر ياسين، "نشأة وتطور المقاومة.."، في السيد ياسين و ..، الاستعمار الاستيطاني..، سابق، ص٣٧٧- ٣٩٤.

١٣٢-د. محمد إبراهيم، "التاريخ الشفوي..."، مصدر سابق، ص١١١.

١٣٣- إرجع إلى مؤلفات د. حامد ربيع ود. عبدالوهاب المسيري فهي غنية بهذا الجانب، ويمكن من خلالها التعرف على خصوصية العدو الصهيوني، ومعرفة تمايزاته التي يشتهر بها وكيفية مواجهته، منها: د. حامد ربيع، إطار الحركة السياسية في المجتمع الإسرائيلي، القاهرة: دار الفكر العربي، ١٩٧٨. د. حامد ربيع، تأملات في الصراع العربي الإسرائيلي، بيروت: المؤسسة العربية للدراسات، ١٩٧٦. د. حامد ربيع، الثقافة العربية بين الغزو الصهيوني وإرادة التكامل القومي، القاهرة: دار الموقف العربي، ١٩٨٣. د. حامد ربيع، العنصرية ومنطق التعامل السياسي في التقاليد الغربية، القاهرة، منشورات الطلائع، د.ت. د. حامد ربيع، فلسفة الدعاية الإسرائيلية، بيروت: مركز الأبحاث الفلسطيني، ١٩٧٠. د. حامد ربيع، النموذج الإسرائيلي للممارسة السياسية، القاهرة: معهد

البحوث والدراسات العربية، ١٩٧٥. د. عبدالوهاب المسيري، الانتفاضة الفلسطينية الأزمة الصهيونية، القاهرة: المطبعة الفنية، ١٩٨٩. د. عبدالوهاب المسيري، المشروع الصهيوني في الفكر والتطبيق، القاهرة: دار المستقبل العربي، ١٩٨٣. د. عبدالوهاب المسيري، موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية...، ج١، مصدر سابق.

١٣٤- محمد عبدالسلام، "حدود القوة في المواجهات الفلسطينية الإسرائيلية"، السياسة الدولية، مصدر سابق، ص١٢٧

١٣٥- أنظر: عبدالهادي النشاش، الانتفاضة الفلسطينية الكبرى..، مصدر سابق، ص٤٤-٥٦. د. خليل الشقاقي، التحول نحو الديمقراطية في فلسطين: عملية السلام والبناء الوطني والانتخابات، نابلس: مركز البحوث والدراسات الفلسطينية، ١٩٩٦، ص٨- ١٠. ياسر عبد ربه، رؤية تحليلية لواقع ومستقبل السلطة الوطنية، نابلس: مركز البحوث والدراسات الفلسطينية، ١٩٩٥، ص٩. وأنظر: د. حيدر عبد الشافي، أهمية الانتخابات في مسيرة الشعب الفلسطيني، نابلس: مركز البحوث والدراسات الفلسطينية، ١٩٩٤، ص٨- ١١. محمود ميعاري، "السلطة الفلسطينية إلى أين؟"، المستقبل العربي، ع ٢٥٧، ٢٠٠٠/٧، ص١٩٨- ٢١٩. د. عادل سمارة، الديمقراطية: الإسلام السياسي واليسار، القدس ورام الله: منشورات مركز الزهراء، ١٩٩٤، ص١٣٣- ١٣٦. عبدالجبار عدوان، الانتفاضة على طريق الاستقلال الفلسطيني: الكتاب الأول: أنياب الخروف: يتضمن ملحقاً لبيانات القيادة الموحدة، لندن: مركز الإعلام الدولي، ١٩٨٨، ص٢١. عبدالإله بلقزيز، "نحو برنامج وطني داخلي للانتفاضة"، المستقبل العربي، ع ٢٦٢، السنة ٢٣، ٢٠٠٠/١٢، ص٩- ١٥.

١٣٦- عمرو العملة، "الانتفاضة: مقدمات التحرر من التبعية التجارية"، صامد الاقتصادي، السنة ١١، ع٧٨، ١٠- ١١- ١٩٨٩/١٢، ص٣١- ٣٤.

١٣٧- محمد عبدالسلام، "حدود القوة.."، السياسة الدولية، مصدر سابق، ص١٢٨.

١٣٨- د. أحمد صدقي الدجاني، الانتفاضة الفلسطينية والتحرير، القاهرة: دار المستقبل العربي، ١٩٨٩، ص٩، ص٣٧

١٣٩- د. أسعد عبدالرحمن و..، الانتفاضة...، سابق، ص١٧.

١٤٠- المصدر السابق نفسه، ص٤٦.

١٤١- د. نادية مصطفى، "من انتفاضة الأقصى..."، شبكة المعلومات الدولية: إسلام أون لاين، مصدر سابق، ص٢- ٦

١٤٢- د. زكريا حسين، "انتفاضة الثمانينيات... (١)، مصدر سابق، ص٨.

١٤٣- د. محمد سعد أبو عامود، "الانتفاضة الفلسطينية..."، السياسة الدولية، مصدر سابق، ص١٠١.

١٤٤- المصدر السابق نفسه، ص١٠٣- ١٠٤.

١٤٥- السابق نفسه، ص١٠٤.

١٤٦-نفسه، ص١٠٤.

١٤٧- إلياس شوفاني، الموجز في تاريخ فلسطين..، سابق، ص٣٠٠.

١٤٨- د. أسعد عبدالرحمن و..، الانتفاضة..، سابق، ص٤٧.

١٤٩- جواد الحمد، "الانتفاضة الكبرى وتطور القضية الفلسطينية"، في : جواد الحمد (تحرير)، المدخل إلى القضية الفلسطينية، مصدر سابق، ص٤٠٦.

١٥٠- د. محمد سعد أبو عامود، "الانتفاضة..."، سابق، ص١٠١- ١٠٢.

١٥١- أحمد البرصان (عرض)، "انتفاضة الضفة الغربية: نقطة اللاعودة لجراهام فولر"، الفكر الإستراتيجي العربي، ١٩٩٠/٧، ع ٣٣، ص٢٥٥.

١٥٢-ناجي علوش،"المقاومة الفلسطينية...."، سابق، ص١٢.

١٥٣-د.حسن أبو طالب، "البيئة الاستراتيجية.."، السياسة الدولية، سابق، ص١٠٦.

١٥٤-صلاح حسن، "النظام الدولي الجديد مقدمة لإقامة إسرائيل الكبرى"، في: أحمد بن يوسف (تحرير)، ندوة مستقبل العمل الإسلامي: "الحركة الإسلامية في ظل التحولات الدولية وأزمة الخليج"، المنعقدة في هيرندن، فرجينيا في يوليو ١٩٩١، شيكاغو: المؤسسة المتحدة للدراسات والبحوث، ١٩٩١، ص٣٨٥.

١٥٥-جميل هلال، "انتفاضة الأقصى: الأهداف المباشرة ومقومات الاستمرار"، مجلة الدراسات الفلسطينية، ع ٤٤، خريف ٢٠٠٠، ص٢٧.

١٥٦-أحمد البرصان..، "انتفاضة الضفة..."، الفكر الاستراتيجي..، مصدر سابق، ص٢٥٠.

١٥٧-د. عدنان السيد حسين، الانتفاضة وتقرير المصير، بيروت: دار النفائس، ١٩٩٢، ص٦٦- ٦٧.

١٥٨- Tamari, Salim. “What the uprising means”. In; Lockman & Beinin. Intifada., op., cit., pp.127-129.

١٥٩- Sheadeh, Raja. “Occuper’s law and the uprising”. Journal of Palestine studies, vol.xvii, no.3, spring 1988, issue 67, pp.26-33.

١٦٠- Pressberg, Gail. “the uprising: causes and conceqences”. Journal of Palestine studies, vol.xvii, no.3, spring 1988, issue 67, pp.38- 45

وأنظر أيضاً: محمد عبد الرحمن، "الانتفاضة وخيارات إسرائيل الصعبة: قراءة أولية للموقف الإسرائيلي"، شؤون فلسطينية، ع١٩١، ١٩٨٩/٢، ص٣-٤.

Siniora, Hanna. “An analysis of the current revolt”. Journal of Palestine studies, vol.xvii, no.3, spring 1988, issue 67, pp.٤- 5.

١٦١-أحمد الكايد، "القدس في خضم الانتفاضة الشعبية: خلفيات وأبعاد"، صامد الاقتصادي، ع٧٨، السنة الحادية عشرة، ١٠- ١١- ١٩٨٩/١٢، ، ص٥٧- ٧٠.

١٦٢-عبدالعزيز السيد، "الثورة الفلسطينية..."، سابق، ص٤١٢.

١٦٣-د. عدنان السيد حسين، الانتفاضة وتقرير المصير، مصدر سابق، ص٦٦- ٧١.

١٦٤- أنظر: عبدالعزيز السيد، "الثورة الفلسطينية..."، سابق، ص٤١٣. د. محمد سعد أبو عامود، "الانتفاضة..."، سابق، ص١٠٣.

١٦٥-د. حسن أبو طالب، "البيئة الاستراتيجية.."، السياسة الدولية، سابق، ص١٠٧- ١٠٨. وأنظر: ماجد كيالي، "من ملامح الانتفاضة الفلسطينية في عامها الثالث: الاقتصاد بالطاقات وتجذير المرتكزات"، صامد الاقتصادي، ع٧٨، السنة الحادية عشرة، ١٠- ١١- ١٩٨٩/١٢، ، ص٢١٥.

١٦٦-د. محمد سعد أبو عامود، "الانتفاضة..."، سابق، ص١٠٢.

١٦٧-د. نظام العباسي، الانتفاضة...، سابق، ص٣٦. وأنظر: د. تيسير جبارة، دور الحركات الإسلامية في الانتفاضة الفلسطينية المباركة، إربد: دار الفرقان، ١٩٩٢، ص٣٣- ٤٤.

١٦٨-المصدر السابق نفسه، ص٣٧- ٤٠. ولمزيد من التفصيل: أنظر: د.أسعد عبدالرحمن و .، الانتفاضة..، سابق، ص١٧- ٣٤.

١٦٩-نبيل شبيب، "انتفاضة الأقصى مفصل.."، سابق، ص٣.

١٧٠-د. نظام العباسي، الانتفاضة..، سابق، ص٣٥.

١٧١-المصدر السابق نفسه، ص٣٥. وأنظر: د. شفيق الغبرا، "الانتفاضة الفلسطينية...، المستقبل العربي، مصدر سابق، ص٦٢- ٦٧.

Abu-Amr, Ziad. “the palestinian uprising in the West Bank and Gaza Strip”. Arab Studies Quarterly, vol.10, no.4, pp.386-388.

١٧٢-د. أحمد الديك، مجتمع الانتفاضة، مصدر سابق، ص ١٥-١٦ .

١٧٣-المصدر السابق نفسه، ص ٢١-٢٦ .

١٧٤-السابق نفسه، ص ٤٧-٦٦ .

١٧٥-نفسه، ص ١٠٩-١٣١ .

١٧٦-خالد عايد، الانتفاضة الثورية ..، سابق، ص ٥٥-٦٤ .

١٧٧-المصدر السابق نفسه، ص ١٠٦ .

١٧٨-سميح شبيب، " الانتفاضة وملامح السلطة الوطنية "، ..، ص ١-٢ .

١٧٢- خالد عايد، الانتفاضة الثورية، .. سابق، ص ٣٤ .

١٧٣- المصدر السابق نفسه، ص ٣٦.

١٧٤- د. أسعد عبد الرحمن و..، الانتفاضة ..، سابق، ص ٩٨ .

١٧٥- جواد الحمد، " الانتفاضة ا لكبرى وتطور القضية الفلسطينية "، مصدر سابق، ص٧٦. وأنظر: د. أسعد عبد الرحمن و..، الانتفاضة ..، سابق ص ٥٥-٥٦ .

Kuttab, Daoud. “A profile of the stonethrowers”. Journal of Palestine studies, Vol. Xvii, No.3, Spring 1988, Issue 67, p. 20.

١٧٦- أنظر:

Stork, Joe. “The significance of stones: Notes from the seventh month”. In; Lockman Z & Beinin J. Intifada., Op., Cit., pp. 72-73.

١٧٧- خالد عايد، الانتفاضة الثورية. .، سابق، ص ٦٧-٦٨، ص ٧١-٧٣ .

١٧٨- د. إياد البرغوثي، الأسلمة والسياسة فى الأراضي الفلسطينية المحتلة، القدس: مركز الزهراء، ١٩٩٠، ص٤٩

١٧٩- د. نظام العباسى، الانتفاضة الشعبية ..، سابق، ص ١٥، ٤٤-٤٥-، ٧٣.

١٨٠- د. نظام العباسى، " البنى الأولية لمؤسسات الدولة الفلسطينية فى ظل الانتفاضة "، سابق، ص ١٢-١٣ .

١٨١- خالد عايد، الانتفاضة الثورية ..، سابق، ص٣٦ .

١٨٢- ربعي المدهون، "ستة شهور فى الاتجاه الصحيح"، شؤون فلسطينية، ع١٨٤، ٧/ ١٩٨٨، ص ١٣ .

١٨٣- فايز سارة، "البنية الاجتماعية للانتفاضة الفلسطينية"، شؤون فلسطينية، ع١٨٩، ١٢/ ١٩٨٨، ص ٧ .

١٨٤- ريتا حمدان، "الانتفاضة الفلسطينية فى الأراضى المحتلة : المعالم الأساسية والدروس الأولية (١٩٨٧/١٢/٩- ١٩٨٨/٢/٢٩)"، الفكر الاستراتيجي العربي، ١٩٨٨/٧، ص ٢٧٤ .

١٨٥- د. حلمى الساري، "أحمد الديك : سوسيولوجيا الانتفاضة"،مصدر سابق، ص ٢٦٨- ٢٦٩ .

١٨٦- د. وليد مصطفى، "الانتفاضة فى مرحلتها الراهنة : دور وموقف الشرائح الفلسطينية"، صامد الاقتصادي، ع٧٧، يوليو أغسطس سبتمبر ١٩٨٩، ص ١٠٣- ١٠٤ .

١٨٧- د. علي الجرباوي، الانتفاضة والقيادات السياسية في الضفة الغربية وقطاع غزة: بحث في النخبة السياسية، بيروت: دار الطليعة، ١٩٨٩، ص ٧- ١٩. وقد عقد الجرباوي فى كتابه مقارنة غير مباشرة بين النخب والقوى الوطنية من ناحية والإسلامية من ناحية أخرى، وقد كان واضحاً تحيزه غير الموضوعي معتبراً أن الدور الرئيسي فى الانتفاضة الكبرى كان للقوى الوطنية، ومشوها بصورة كبيرة دور القوى والنخب الإسلامية رغم ما عرف عنه بالموضوعية كباحث معروف في جامعة بيرزيت، ويبدو أن توجهاته الفكرية غلبت على موضوعيته. ولم يوفق الجرباوي عندما حلل العلاقة بين الطرفين من منظور صراعي يحرص فيه كل طرف على تشويه صورة الآخر. أنظر: ص٤٣-٧٩، وص ١٠٢- ١٣٠. وأنظر أيضاً: د. إياد البرغوتي، الأسلمة والسياسة ...، مصدر سابق، ص ٨٣ .

١٨٨- محمد عبد السلام، "حدود القوة في المواجهات الفلسطينية- الإسرائيلية"، سابق، ص١٢٧- ١٢٨.

١٨٩- المصدر السابق نفسه، ص ١٢٩-١٣٠ .

١٩٠- عبد الإله بلقزيز، " نحو برنامج وطني داخلي للانتفاضة "، المستقبل العربي، مصدر سابق، ص ٩-١٥. وأنظر أيضاً: جميل هلال، النظام السياسي الفلسطيني... ، مصدر سابق، ص ٤٣ .

١٩١- خالد عايد، الانتفاضة الثورية ..، سابق، ص ٣٣ .

١٩٢- د. نظام العباسى، الانتفاضة الشعبية ..، سابق، ص ٧١ .

١٩٣- خالد عايد، الانتفاضة الثورية ..، سابق، ص ٣٣ .

١٩٤- ربعي المدهون، " ستة شهور في الاتجاه الصحيح"، مصدر سابق، ص ٣ .

١٩٥- عبد الباقى شنان، "اللجان الشعبية وذراع الانتفاضة في الأراضي الفلسطينية المحتلة"، صامد الاقتصادي، ع٨٠، إبريل مايو يونيو ١٩٩٠، ص ٢٤ .

١٩٦- ماجد كيالي، "اللجان الشعبية: الأداة السياسية والإطار المؤسسي للانتفاضة الفلسطينية"، صامد الاقتصادي، ع٨١، يوليو أغسطس سبتمبر ١٩٩٠، ص ١٢٣ .

١٩٧- نافذة أبو حسنة، "اللجان الشعبية والوطنية في الانتفاضة: مقاربة أولية للبنية، الدور والمهام"، الفكر الاستراتيجي العربي، ع٣٩، ١٩٩٢/١، ص ٧٨- ٨٠ .

١٩٨- فايز ساره، "البنية الاجتماعية للانتفاضة الفلسطينية "، سابق، ص ٧ .

١٩٩- ماجد كيالي، " اللجان الشعبية .. "، سابق، ص ١٢٨ .

٢٠٠- فايز ساره، " البنية الاجتماعية .. "، سابق ص ٧ .

٢٠١- نافذة ابو حسنة، اللجان الشعبية .. "، سابق، ص ٨٣-٨٤ .

٢٠٢- أنظر فى ذلك : د. نظام العباسي، الانتفاضة الشعبية ..، سابق، ص ٧٤ وما بعدها .د .نظام العباسي، " البنى الأولية لمؤسسات الدولة الفلسطينية في الانتفاضة الشعبية "، سابق، ص ١٣-١٤ . فايز سارة، " البنية الاجتماعية للانتفاضة ..، سابق، ص٧. د. عبد الباقى شنان، " اللجان الشعبية .. "، سابق، ص ٢٦ .

٢٠٣- نافذة أبو حسنة، " اللجان الشعبية... "، سابق، ص ٨٧-٨٩ .

٢٠٤- المصدر السابق نفسه، ص ٧٨ .

٢٠٥- السابق نفسه، ص ٨٩-٩٠ .

٢٠٦- نفسه، ص ٩٠-٩١ .

٢٠٧- نفسه، ص ٩١-٩٢.

٢٠٨- نفسه، ص ٩٣ .

٢٠٩- نفسه، ص ٩٤

٢١٠- نفسه، ص ٩٤-٩٥ .

٢١١- ماجد كيالي " اللجان الشعبية .. "، سابق، ص ١٢٥ .

٢١٢- د. نظام العباسي، الانتفاضة الشعبية ..، سابق، ص ٧٤-٧٥ .

٢١٣- د. أسعد عبد الرحمن و ..، الانتفاضة ..، سابق، ص ١٢٢-١٢٣ .

٢١٤- عبد الباقى شنان، " اللجان الشعبية .. "، سابق، ص ٢٢ .

٢١٥- ماجد كيالي، " اللجان .. " سابق، ص ١٢٥ .

٢١٦- نافذ أبو حسنة، " اللجان .. "، سابق، ص ٧٧-٧٨ .

٢١٧- خالد عايد، الانتفاضة الثورية ..، سابق، ص ٥٠ .

٢١٨- جودت أبو عون، "المخيمات الفلسطينية : الإرث النضالي والدور الفاعل في الانتفاضة"، صامد الاقتصادي، ع٨٣، يناير فبراير مارس ١٩٩١، ص ٧١- ٧٦ .

٢١٩- أنظر:

Shehadeh, Raja. “Occuper’s law and the uprising”. Tournal of Palestine studies, vol. Xvii, No. 3, spring 1988, issue 67, p. 173.

٢٢٠- خالد عايد، الانتفاضة الثورية ..، سابق، ص ٥١ .

٢٢١- المصدر السابق نفسه، ص ٥١ .

٢٢٢- السابق نفسه، ص ٧٩ .

٢٢٣- ماجد الكيالي، "فلسطينيو الـ ٤٨ : الظروف الاجتماعية والاقتصادية والسياسية وإشكاليات التفاعل والتماثل مع الانتفاضة"، الفكر الاستراتيجي العربي، ع٣٩، ١٩٩٢/١، ص ٦٤-٦٨ .

٢٢٤- نواف الزرو، "فلسطينيو الوطن المحتل عام ١٩٤٨ والانتفاضة : من التضامن إلى المشاركة"، صامد الاقتصادي، ع٧٤، أكتوبر نوفمبر ديسمبر ١٩٨٨، ص ٢١٠-٢١٣. وأنظر : عزمي بشارة، "فصل جديد فى تاريخ الجماهير العربية فى الداخل"، مجلة الدراسات الفلسطينية، ع٤٤، خريف ٢٠٠٠ ، ص ٦-١١.

Beinin, Joel. “From land day to peace day and beyond”. In; Lockman Z & Beinin J. Intifada., Op., Cit., pp. 207- 213.

٢٢٥- خالد عايد، الانتفاضة الثورية..، سابق، ص ٨٥-٨٧ . وأنظر : ريتا حمدان، "الانتفاضة الفلسطينية ..."، مصدر سابق، ص ٢٥٩-٢٦٥ .

٢٢٦- ماجد الكيالي، " فلسطينيون الـ ٤٨ ..."، سابق، ص ٧١-٧٢ .

٢٢٧- جودت أبو عون، "دور الطفل الفلسطيني في الانتفاضة الشعبية"، صامد الاقتصادي، ع٨٦، أكتوبر نوفمبر ديسمبر ١٩٩١، ص ٥٣ .

٢٢٨- خالد عايد، الانتفاضة الثورية ..، سابق، ص ٥١-٥٢ .

٢٢٩- أنظر:

Kuttab, Jonathan. “The children’s revolt”. The journal of Palestine studies, Vol. Xvii, No. 4, summer 1988, issue 68, pp. 26- 35.

٢٣٠- سيلفي منصور، جيل الانتفاضة، ترجمة نصير مروة، بيروت: مؤسسة الدراسات الفلسطينية، الكويت: الجمعية الكويتية لتقدم الطفولة، ١٩٩٠، ص ٣. وأنظر:

Kuttab, Daoud. “A profile of the stonethrowers”. Journal of Palestine studies, Op., Cit., p.19.

٢٣١- فايزة سارة، "أطفال الانتفاضة ضحايا الإرهاب الإسرائيلي"، صامد الاقتصادي، ع٨٦، أكتوبر نوفمبر ديسمبر ١٩٩١، ص ٢٣٥-٢٣٧ .

٢٣٢- نظام العباسي، "البنى الأولية لمؤسسات الدولة ..."، سابق، ص ٥٣- ٥٥ .

٢٣٣- د. نظام العباسي، الانتفاضة الشعبية ..، سابق، ص ٥٠-٥٢ .

٢٣٤- عبد القادر ياسين، "دور المرأة الفلسطينية في الانتفاضة "، صامد الاقتصادي، ع ٧٤، أكتوبر نوفمبر ديسمبر ١٩٨٨، ص ١٢٩-١٣٣ .

٢٣٥- د. عبد الوهاب المسيرى، " الانتفاضة واستعادة الذات "، سابق، ص ٤ .

٢٣٦- حول عناصر نظرية حماس السياسية لمواجهة العدو، أنظر : خالد الحروب، حماس الفكر لممارسة، سابق، ص ٩٢-٩٣ .

٢٣٧- عبد الهادي النشاش، الانتفاضة الفلسطينية الكبرى ..، سابق، ص ٥٧-٦٧.

٢٣٨- إبراهيم أبو حليوه، "السلطة الفلسطينية وحماس من التجاذب إلى الاتفاق"، شؤون الأوسط، ع ٤٦، ١٩٩٥/١١، ص٦٢- ٧٧ .

٢٣٩- ناجى علوش، " المقاومة الفلسطينية للمشروع الصهيوني... "، سابق، ص ١-٦ .

٢٤٠- إلياس شوفاني، "العمل الوطني الفلسطيني..."، المستقبل العربي، سابق، ص ١٥-١٦ .

٢٤١- عبد الهادي النشاش، الانتفاضة .. ، سابق، ص ٤٤-٥٦ .

٢٤٢- عبد الإله بلقزيز، " نحو برنامج وطني داخلي للانتفاضة"، المستقبل العربي، ع٢٦٢، ١٢/٢٠٠٠، ص ٩-١٣ .وحول مدى الفاعلية في أداء السلطة الفلسطينية وتقييم عملها من المنظور الديمقراطي، وحول أهم الانتقادات التي وجهت إليها، أنظر : محمود ميعاري، "السلطة الفلسطينية إلى أين ؟ "، المستقبل العربي، ع٢٥٧، ٧/٢٠٠٠ ، ص ٢٠٤-٢١٤. مها عبد الهادي، "أفشلت مؤامرة المقترحات الأمريكية والإسرائيلية : خط التسوية وليست الانتفاضة على مفترق طرق النهاية "، فلسطين المسلمة، ع٢، ٢/٢٠٠١، ص ١٧ . وحول دور المنظمة في الانتفاضة وكفاءتها، أنظر : عبد الجبار عدوان، الانتفاضة على طريق الاستقلال الفلسطيني: الكتاب الأول: أنياب الخروف" يتضمن ملحقاً لبيانات القيادة الموحدة، لندن: مركز الإعلام الدولي، ١٩٨٨، ص ٢١.

Miller, Aaron David. “Palestinians and the Intifada: one year later”. Current History, Feb. 1989, vol. 88, No. 535, p. 76.

٢٤٣- د. حسن أبو طالب، " البيئة الاستراتيجية في الشرق الأوسط بعد انتفاضة الأقصى ". السياسة الدولية، ١/٢٠٠١، ص ١٠٩ .

٢٤٤- حول دور النخب والقوى الإسلامية، وخاصة حركة حماس والجهاد، في الانتفاضة، وكذلك دور المؤسسات الدينية والبعد الديني، والإشكالية التي يثيرها البعض بهذا الخصوص ابتداء من تشويه الصورة وإطلاق التهم وعدم الإنصاف، أنظر المصادر التالية: خالد الحروب، حماس الفكر والممارسة السياسية، سابق، ص ٤٠-٤٥ .جميل هلال، النظام السياسي الفلسطيني بعد أوسلو : دراسة تحليلية نقدية، سابق، ص ٦٢ .غاي بيخور، "منظمات التخريب العامة فى إسرائيل: من اللون الوطني إلى المسحة الإسلامية"، شؤون الأوسط، ع١٦، ٢/١٩٩٣، ص ٦٣- ٦٤. د. أسعد عبد الرحمن و ..، الانتفاضة...، سابق، ص ١٢٧ .منذر عنبتاوي، " الانتفاضة إلى أين؟ وكيف ؟ الاحتمالات والخيارات "، في: د. أحمد سعيد نوفل وآخرون، القضية الفلسطينية في أربعين عاماً، ص ٤٥٢-٤٥٣. د. تيسير جبارة، دور الحركات الإسلامية في الانتفاضة الفلسطينية المباركة، عمان: دار الفرقان، ١٩٩٢، ص ١٠٥- ١١٥ . د. زياد أبو عمرو، الحركة الإسلامية فى الضفة الغربية وقطاع غزة، القدس وعكا: دار الأسوار، ١٩٨٩، ص ١٧٠-١٧١ .

MacDowall, David. Palestine and Israel: The uprising and beyond. London: I.B.Tauris, 1990, p. 93. Cobban, Helena. “The PLO and the Intifada”. Middle East Journal, Vol. 44, No.2, spring 1990, p. 212. Taraki, Lisa. “The Islamic resistance movement in the Palestinian uprising”. In; Lockman Z & Beinin J. Intifada., Op., Cit., pp. 170-171.

٢٤٥- فايز سارة، البنية الاجتماعية للانتفاضة "، سابق، ص ٩-١٠ .
٢٤٦- المصدر السابق نفسه، ص ٨ .
٢٤٧- سيلفي منصور، جيل الانتفاضة، مصدر سابق، ص ١٣ .
٢٤٨- على أبو هلال، "دور الطبقة العاملة الفلسطينية فى الانتفاضة"، صامد الاقتصادي، ع٧٤، أكتوبر نوفمبر ديسمبر ١٩٨٨، ص ١١٩- ١٢٦ . وأنظر أيضاً : فايز سارة، "العمال الفلسطينيون والانتفاضة"، شؤون فلسطينية، ع١٩٨، ١٩٨٩/٩، ص ٧- ٨ . نادر مريان وآخرون،"العمالة الفلسطينية فى إسرائيل"، المستقبل العربي، ع٢٥٥، ٢٠٠١/٥، ص٦٢- ٨٢.
٢٤٩- د. حلمي الساري، " أحمد الديك : سوسيولوجيا الانتفاضة "، سابق، ص ١٠٨-١١١ .
٢٥٠- فايز سارة،"البنية الاجتماعية للأنتفاضة"، سابق، ص ١١ .
٢٥١- المصدر السابق نفسه، ص ١١، ١٦ .
٢٥٢- جودت أبو عون، " دور الحركة الطلابية والمؤسسات التعليمية في الانتفاضة "، صامد الاقتصادي، ع٧٤، أكتوبر نوفمبر ديسمبر ١٩٨٨، ص ١٥٠- ١٥٣ .
٢٥٣- نواف الزور، "مؤسسات التعليم العالي الفلسطينية في الأراضى المحتلة بين إجراءات القمع ومواصلة الانتفاضة"، صامد الاقتصادي، ع٨٠، أبريل مايو يونيو ١٩٩٠ ، ص ١٤٤-١٤٥ .
٢٥٤- ريتا حمدان، " الانتفاضة الفلسطينية في الأراضي المحتلة... "، مصدر سابق ، ص ٢٦١.
٢٥٥- على الخليلي، الصحافة الفلسطينية والانتفاضة "، سابق، ص ٥٢-٧٦ .
٢٥٦- د. جمال عبد الجواد، "صعوبات وإمكانيات التسوية بعد الانتفاضة"، السياسة الدولية، ٢٠٠١/١، ص ١١٣ .
٢٥٧- "انتفاضة الأقصى: اقتصاد الذات طريق الخلاص"، شبكة المعلومات الدولية الإنترنت: إسلام أون لاين، شؤون سياسية، ص ١-٢ .
٢٥٨- أنظر حول هذه الرسائل : د. نظام العباسي، الانتفاضة الشعبية ..، سابق، ص ٤٣- ٤٤. د. عبد الوهاب المسيري، "الانتفاضة واستعادة الذات"، سابق، ص ٤ .د. أسعد عبد الرحمن و ..، الانتفاضة ..، سابق، ص ٦٦- ٨٥ .علي الخليلى، " الصحافة الفلسطينية والانتفاضة "، صامد الاقتصادي، مصدر سابق، ص ٧٠-٧١ .
٢٥٩- د. أسعد عبد الرحمن و ..، الانتفاضة ..، سابق، ص ١٢٧ .
٢٦٠- د. عبد الوهاب المسيري، "الانتفاضة واستعادة الذات"، سابق، ص ٣. وأنظر: د. نظام العباسي، الانتفاضة ..، سابق، ص ٤٣. د. محمود إبراهيم، "التاريخ الشفوى..."، سابق، ص ١١٢ .
٢٦١- د. توفيق الشاوي، "بعد أن عجزت الحكومات .."، شبكة المعلومات الدولية الإنترنت: إسلام أون لاين، شؤون سياسية، ص ١- ٥ . وأنظر : "انتفاضة الأقصى ..."، مصدر سابق ص ١-٢ .
٢٦٩-د. حسن أبو طالب، "البيئة الاستراتيجية..."، السياسة الدولية، سابق، ص١١٠.
٢٧٠-عمر سعادة، "تأثير الانتفاضة في رؤية يهود العالم"، شؤون فلسطينية، ع١٨٥، ١٩٨٨/٨، ص٦٧، ص٧٩-٨١

٢٧١-د. عبدالوهاب المسيري، "الانتفاضة وتقويم الشخصية اليهودية"، صامد الاقتصادي، ع ٧٤، اكتوبر نوفمبر ديسمبر ١٩٨٨، ص ٢٠٥.

٢٧٢-عبدالهادي النشاش، الانتفاضة الفلسطينية.. ، سابق، ص ١٤- ١٥.

٢٧٣-صلاح عبدالله، "المستوطنون والانتفاضة"، شؤون فلسطينية، ع١٩٣، ١٩٨٩/٤، ص ١٠٠.

٢٧٤-خالد عايد، الانتفاضة الثورية...، سابق، ص ٩٧-٩٨.

٢٧٥-عبدالهادي النشاش، الانتفاضة..، سابق، ص ٢٣.

٢٧٦-د. عبدالوهاب المسيري، "الانتفاضة وسقوط الإجماع الصهيوني حول الاستيطان"، صامد الاقتصادي، ع ٧٥، يناير فبراير مارس ١٩٨٩، ص ١٦١.

٢٧٧-عبدالجبار عدوان، الانتفاضة على طريق الاستقلال: أنياب الخروف.. ، سابق، ص٢٩-٣٠.

٢٧٨-د. أحمد صدقي الدجاني، الانتفاضة الفلسطينية والتحرير، مصدر سابق، ص ١٦٨-١٦٩.

٢٧٩-أنظر: ريتا حمدان، "الانتفاضة الفلسطينية..."، الفكر الاستراتيجي العربي، مصدر سابق، ص ٢٦٨.

٢٨٠-صلاح عبدالله وخليل السعدي، "الإسرائيليون من الوهم إلى الخوف: هذه الانتفاضة مرحلة"، شؤون فلسطينية، ع ١٨٠، مارس ١٩٨٨، ص ٧٤.

٢٨١-يونس السيد، "الانتفاضة وتأثيرها في الوضعين السياسي والاجتماعي في إسرائيل"، شؤون فلسطينية، ع ١٩٦، ١٩٨٩/٧، ص٧.

٢٨٢-عمر سعادة، "الانتفاضة والقوى السياسية في إسرائيل"، شؤون فلسطينية، ع٢٠٣، ١٩٩٠/٢، ص٢٧.

٢٨٣-المصدر السابق نفسه، ص٢٩.

٢٨٤-يونس السيد، "الانتفاضة وتأثيرها في ..."، شؤون فلسطينية، مصدر سابق، ص٨.

٢٨٥-أحمد صدقي الدجاني، الانتفاضة الفلسطينية والتحرير، مصدر سابق، ص١٦٢-١٦٣.

٢٨٦-يونس السيد، "الانتفاضة وتأثيرها في...."، شؤون فلسطينية، سابق، ص٣.

٢٨٧-المصدر السابق نفسه، ص٤- ٦ .

٢٨٨-عمر سعادة، "الانتفاضة والقوى.."، شؤون فلسطينية، سابق، ص٢١-٢٢.

٢٨٩-د. عبدالفتاح أبو شكر، "آثار الانتفاضة الفلسطينية على الاقتصاد الإسرائيلي"، الكاتب، ع ١١٥، ١٩٨٩/١١، ص ٢٤-٢٥.

٢٩٠-المصدر السابق نفسه، ص ٢٥- ٢٦.

٢٩١-السابق نفسه، ص٢٦-٢٧.

٢٩٢- على أبو هلال، "دور الطبقة العاملة الفلسطينية في الانتفاضة"، صامد الاقتصادي، مصدر سابق، ص ١٢٣-١٢٤. وأنظر أيضاً: عمر سعادة، "أثر الانتفاضة الفلسطينية على الاقتصاد الإسرائيلي"، صامد الاقتصادي، ع٧٤، أكتوبر نوفمبر ديسمبر ١٩٨٨، ص ٥٣.

٢٩٣- د. عبدالفتاح أبو شكر، "آثار الانتفاضة..."، الكاتب، مصدر سابق، ص٢٨.

٢٩٤- على أبو هلال، "دور الطبقة العاملة.."، صامد الاقتصادي، سابق، ص١٢٢-١٢٣.

٢٩٥- د. عبدالفتاح أبوشكر، "آثار الانتفاضة...."، الكاتب، سابق، ص٢٩.

٢٩٦- عمر سعادة، "أثر الانتفاضة على الاقتصاد الإسرائيلي"، صامد الاقتصادي، مصدر سابق، ص٥٦-٥٨.

٢٩٧- على أبو هلال، "دور الطبقة..."، صامد..، سابق، ص١٢٣.

٢٩٨- عمر سعادة، "أثر الانتفاضة.."، صامد..، سابق، ص٥٩.

٢٩٩- د.عبدالفتاح أبوشكر، "آثار الانتفاضة.."، الكاتب، سابق، ص٣٠.

٣٠٠- المصدر السابق نفسه، ص٣١-٣٢، وأنظر: عمر سعادة، "أثرالانتفاضة.."، صامد..، سابق، ص٤٦-٤٧.

٣٠١- د. عبدالفتاح أبو شكر، "آثار الانتفاضة.."، الكاتب، سابق، ص٣٢-٣٣.

٣٠٢- عمر سعادة، "أثر الانتفاضة.."، صامد، سابق، ص٤٦-٤٧. وأنظر: د. عبدالوهاب المسيري، "الانتفاضة وتقويم الشخصية اليهودية"، صامد الاقتصادي، ع٢٧٤ اكتوبر نوفمبر ديسمبر ١٩٨٨، ص٢٠٢.

٣٠٣- عبدالهادي النشاش، الانتفاضة..، سابق، ص٢٨.

٣٠٤- د. عبدالوهاب المسيري، "الانتفاضة وتقويم.."، صامد، سابق، ص٢٠٢-٢٠٣.

٣٠٥- عمر سعادة، "أثر الانتفاضة.."، صامد، سابق، ص٤٦-٤٧.

٣٠٦- د. عمران أبو صبيح، "أثر الانتفاضة على الجيش الإسرائيلي"، صامد الاقتصادي، ع٨٠، إبريل مايو يونيو ١٩٩٠، ص٢٥٥-٢٥٩.

٣٠٧- المصدر السابق نفسه، ص٢٥٩-٢٦١.

٣٠٨- عمر سعادة، "الانتفاضة ومؤسسة الأمن الإسرائيلية"، شؤون فلسطينية، ع١٨٨، ١٩٨٨/١١، ص١٧- ٢٣.

٣٠٩- المصدر السابق نفسه، ص٢٤-٣٢.

٣١٠- هاني العبدالله، "آراء إسرائيلية في الانتفاضة: م.ن.ف متفوقة على إسرائيل ولها السيطرة في المناطق المحتلة"، شؤون فلسطينية، ع١٨٠، ١٩٨٨/٣، ص١١٥-١١٧.

٣١١- ربعي المدهون، "عامان من الانتفاضة: التأثير والتأثر"، شؤون فلسطينية، ع٢٠٢، ١٩٩٠/١، ص١٠-١١.

٣١٢- أحمد صدقي الدجاني، الانتفاضة الفلسطينية والصحوة العربية، القاهرة: دار المستقبل العربي، ١٩٨٨، ط١، ص٧٨، ص٨٠-٨١. وأنظر أيضاً: أحمد صدقي الدجاني،

الانتفاضة الفلسطينية والتحرير، مصدر سابق، ص١٦٤-١٦٧. خليل السعدي، "طبيب إسرائيلي شاهد عيان: جنودنا نازيون على الفلسطينيين"، شؤون فلسطينية، ع١٨١، ١٩٨٨/٤، ص ٩٢-٩٤. سمير أبو خطاب، "أساليب المقاومة الشعبية الفلسطينية في الانتفاضة"، صامد الاقتصادي، ع٧٥، يناير فبراير مارس ١٩٨٩، ص١٩٢.

٣١٣-د. أسعد عبدالرحمن و..، الانتفاضة..، سابق، ص ١٤٣- ١٤٤.

٣١٤-زكريا حسين، "انتفاضة الثمانينات.."، إسلام أون لاين، مصدر سابق، ص٧- ٨.

٣١٥-د. نظام العباسي، الانتفاضة..، سابق، ص١٣٦.

٣١٦-د. عمران أبو صبيح، "أثر الانتفاضة.."، صامد..، سابق، ص ٢٥٦. وأنظر: هاني العبدالله، "عجز الإسرائيليين يعمق قلقهم: الانتفاضة ليست موجة عابرة"، شؤون فلسطينية، ع١٧٩، ١٩٨٨/٢، ص٧٥- ٧٦. صلاح عبد الله وخليل السعدي، "الإسرائيليون من الوهم إلى الخوف: هذه الانتفاضة مرحلة جديدة"، شؤون فلسطينية، ع١٨٠، ١٩٨٨/٣، ص٧٢-٧٣. وليد الجعفري، "الانتفاضة الفلسطينية والمأزق الإسرائيلي"، شؤون فلسطينية، ع١٨٢، ١٩٨٨/٥، ص٧٢-٧٣.

٣١٧-د. عبدالوهاب المسيري، "الانتفاضة وتقويم الشخصية اليهودية..، صامد الاقتصادي، مصدر سابق، ص٢٠٧.

٣١٨-أحمد صدقي الدجاني، الانتفاضة الفلسطينية والصحوة..، سابق، ص١٣٢-١٣٤.

٣١٩-يونس السيد، "الانتفاضة وتأثيرها في الوضعين السياسي والاجتماعي.."، شؤون فلسطينية، سابق، ص٣-٤، ص١٦-٢٠

٣٢٠-عبدالهادي النشاش، الانتفاضة..، سابق، ص٦٨- ٦٩.

٣٢١-د.حسن أبو طالب، "البيئة الاستراتيجية.."، السياسة الدولية، سابق، ص١١٠. وأنظر: د. زكريا حسين، "انتفاضة الاستقلال.."، إسلام أون لاين، سابق، ص٨.

٣٢٢-المصدر السابق نفسه، ص١١٠-١١١.

٣٢٣-أحمد شاهين، "الانتفاضة فضحت الحدود الآمنة"، شؤون فلسطينية، ع١٧٨، ١٩٨٨/١، ص١٠٩.

٣٢٤-د.يوسف صايغ، "التسوية السياسية في الأفق التاريخي للقضية الفلسطينية"، المستقبل العربي، ع١١٣، ١٩٨٨/٧، ص٩٥.

٣٢٥-عبدالإله بلقزيز، "العرب والانتفاضة"، شؤون فلسطينية، ع٢٠٩،٨/١٩٩٠، ص٤.

٣٢٦-ماجد أبو دياك، "انتفاضة رجب تحرق جثة التسوية"، إسلام أون لاين، شؤون سياسية، ص٤.

٣٢٧-إلهام ميرغني، "كيف نجعل الانتفاضة تستمر"، إسلام أون لاين، بحث تفصيلي، ملف الانتفاضة، ٢٠٠١/٥/١٦، ص١.

٣٢٨-نبيل شبيب، "انتفاضة الأقصى مفصل.."، سابق، ص٦.

٣٢٩-د.أسعد عبدالرحمن و..، الانتفاضة..، سابق، ص ١٣٩- ١٤٠.

٣٣٠-د. جمال عبد الجواد ، " صعوبات وإمكانيات .. " ، السياسة الدولية ، سابق ، ص١١٤ - ١١٥.

٣٣١-د. نادية مصطفى ، " من انتفاضة الأقصى إلى .. " ، إسلام أون لاين ، سابق ، ص ٩-١٢. وأنظر حول الدروس المستفادة للدول العربية من الانتفاضة : Andoni , lamis. "A year of the Intifada ; Lessons for the Arab Stats". Middle East International , 16.12.1988 , pp . 9-10. وحول دور الانتفاضة في تحريك الجماهير العربية ، أنظر : د. محجوب عمر ، الانتفاضة تراث وحاضر ومستقبل .. ، سابق ، ص ٣١٢.

٣٣٢-محمد عبد السلام ، " حدود القوة .. " ، السياسة الدولية ، سابق، ص١٣١.

٣٣٣-حول هذا الموضوع أنظر بتفصيل أكثر: د. تيسير جبارة، دور الحركات الإسلامية في الانتفاضة الفلسطينية المباركة، سابق، ص٥٣-٧٢. د. عدنان السيد حسين، الانتفاضة وتقرير المصير، سابق، ص١١١-١١٩. د. عبد الوهاب المسيري، موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية، جـ ٧، مصدر سابق، ص١٦١ . ماجد كيالي، "الانتفاضة حوار القمع والمقاومة"، صامد الاقتصادي، ع٧٨/ ١٢/١٩٨٩، ص ١٧٣-١٧٧ . راسم محيي الدين خمايسي، "سياسة هدم المباني غير المرخصة بعد إندلاع الانتفاضة الفلسطينية"، شؤون فلسطينية، ع١٠٨، ٧/١٩٩٠، ص٣-١٩. نواف الزرو، "الانتفاضة في عامها الأول: الشهداء والمصابون: دراسة تحليلية إحصائية لـ د. سمير سلامة خليل"، صامد الاقتصادي، ع٧٨، ١٢/١٩٨٩، ص٢٣٢-٢٣٧ . د. يوسف عبد الحق، "عبد الفتاح الجيوسي: الانتفاضة: أربع سنوات من المواجهة"، صامد الاقتصادي، ع٨٣، يناير فبراير مارس١٩٩١، ص٢٦٨-٢٧١ . جودت أبو عون، "المخيمات الفلسطينية: الإرث النضالي والدور الفعال في الانتفاضة"، صامد..، سابق، ص٧٥. جودت أبو عون، "دور الطفل الفلسطيني في الانتفاضة الشعبية"، صامد..، سابق، ص٥٥ . فايز سارة، "أطفال الانتفاضة ضحايا الإرهاب الإسرائيلي"، صامد الاقتصادي، ع٨٦، أكتوبر نوفمبر ديسمبر١٩٩١، ص١٣٤-٢٣٨ . جودت أبو عون، "دور الحركة الطلابية والمؤسسات التعليمية في الانتفاضة"، صامد الاقتصادي، ع٧٤، أكتوبر نوفمبر ديسمبر١٩٨٨، ص١٤٣ . فايز سارة، "العمال الفلسطينيون والانتفاضة"، مصدر سابق، ص١١ . يزيد صايغ، "الانتفاضة تعزز سماتها العسكرية" شؤون فلسطينية، ع١٨١، ٤/١٩٨٨، ص١٢١ . جواد الحمد، "الانتفاضة الكبرى وتطور القضية الفلسطينية"، في : جواد الحمد (تحرير)، المدخل إلى القضية الفلسطينية، مصدر سابق، ص٤٠٧-٤١٥. د. أسعد عبد الرحمن و... ، الانتفاضة .. ، سابق، ص٩١- ٩٨. وأنظر المرجع الأجنبي التالي: Rigby, Andrew. Living the Intifada. London and New jersey: Zed books, 1991, pp.30-33.

٣٣٤-حول هذه الإجراءات الصارمة، أنظر : Kuttab, Daoud. "The Palestinian uprising: the second phase, self- sufficiency" , Journal of Palestine studies, vol.xvii, no.4, summer 1988, pp. 36-39.

٣٣٥-جميل هلال ، "مداخلات حول إشكالات مأسسة الديمقواطية في الحياة العامة الفلسطينية" في: موسى البديري وآخرون، الديمقراطية الفلسطينية: أوراق نقدية، رام الله: المؤسسة الفلسطينية لدراسة الديمقراطية مواطن، ١٩٩٥ ، ص ٨٥ .

٣٣٦-أنظر: Shehadeh, Raja. "Occupier's law and the uprising" . Journal of Palestine studies , op., cit., pp. 26-29.

٣٣٧-نواف الزرو ، "مؤسسات التعليم العالي الفلسطيني في الأراضي المحتلة بين إجراءات القمع ومواصلة الانتفاضة "، صامد الاقتصادي، ع٨٠، إبريل مايو يونيو ١٩٩٠، ص ٢٣٧-٢٤١.

٣٣٨-د. أسعد عبد الرحمن و ، الانتفاضة .. ، سابق ، ص ٩٩-١٠١.

٣٣٩-أنظر: Rigby, Andrew. Living the Intifada . op. , cit. , p.120. Pressberg, Gail . " The uprising causes and consequences". Journal of Palestine studies , op., cit. , p. 40.

٣٤٠-ماجد الكيالي، "من ملامح الانتفاضة الفلسطينية في عامها الثالث: الاقتصاد بالطاقات وتجذير المرتكزات"، صامد..، مصدر سابق، ص٢١٥.

٣٤١-أحمد الكايد، "القدس في خضم الانتفاضة الشعبية : خلفيات وأبعاد"، صامد..، سابق، ص٧٠.

٣٤٢-أحمد السيد تركي ، "الانتفاضة: نزيف المال يتدفق "، إسلام أون لاين، اقتصاد وأعمال، ٢٠٠٠/١١/٤ ، ص٥.

٣٤٣-د. أسعد عبد الرحمن ونواف .. ، الانتفاضة .. ، سابق ، ص ١٠١-١٠٢.

٣٤٤-كنموذج لحرص الكاتب الإسرائيلي على الترويج لمثل هذه الشائعات، أنظر: زئيف شيف وإهود يعاري، انتفاضة، ترجمه من العبرية دافيد سجيف، القدس وتل أبيب: دار شوكن، ١٩٩٠.

٣٤٥-خالد عايد ، الانتفاضة الثورية .. ، سابق ، ص ١٠١-١٠٢.

٣٤٦-د. زكريا حسين، "انتفاضة الاستقلال تتحدى مخطط الإجاض الإسرائيلي"، إسلام أون لاين، مصدر سابق ، ص١- ٨.

٣٤٧-نواف الزرو، "الأفكار والمقترحات الإسرائيلية لمحاصرة الانتفاضة"، صامد الاقتصادي، ع٧٧، يوليو أغسطس سبتمبر ١٩٨٩، ص ١٩٢- ٢٠٥.

٣٤٨-د. نادية مصطفى، "من انتفاضة الأقصى إلى قمة الأقصى..."، إسلام أون لاين، مصدر سابق، ص٣.

٣٤٩-د. حسن أبو طالب، "البيئة الاستراتيجية في الشرق الأوسط بعد..."، السياسة الدولية، مصدر سابق، ص١١٠.

٣٥٠-د. محجوب عمر، الانتفاضة تراث وحاضر ومستقبل ظافر، مصدر سابق، ص٣١٤.
٣٥١-عبد الإله بلقزيز، "العرب والانتفاضة"، شؤون فلسطينية، ع٢٠٩، ١٩٩٠/٨، ص٥.
٣٥٢-د. محجوب عمر، الانتفاضة تراث وحاضر...، سابق، ص٣١٤.
٣٥٣-لمزيد من التفصيل أنظر: د. تيسير جبارة، دور الحركات الإسلامية في الانتفاضة الفلسطينية المباركة، مصدر سابق، ص٩٦-٩٩د. عدنان السيد حسين، الانتفاضة وتقرير المصير، مصدر سابق، ص١٣٢. جميل هلال، "انتفاضة الأقصى: الأهداف المباشرة ومقومات الاستمرار"، مجلة الدراسات الفلسطينية، مصدر سابق، ص٢٩. أحمد شاهين، "دعم عربي للانتفاضة ومبادرة مصرية"، شؤون فلسطينية، ع١٧٩، ١٩٨٨/٢، ص١٠٤-١٠٧. سميح شبيب، "توظيف المستجدات لدعم الانتفاضة"، شؤون فلسطينية، ع١٨٣، ١٩٨٨/٦، ص١٠١. نوال السباعي، "إجهاض بالإجماع"، إسلام أون لاين، قضايا سياسية، ص١. نبيل شبيب، "انتفاضة الأقصى مفصل تاريخي..."، إسلام أون لاين، مصدر سابق، ص٤- ٦. عبد العزيز السيد، "الثورة الفلسطينية الكبرى عام ١٩٣٦- ١٩٣٩ والانتفاضة الفلسطينية..."، في: د. أحمد سعيد نوفل وآخرون، القضية الفلسطينية في أربعين عاماً بين...، مصدر سابق، ص٤٢٢. د. نظام العباسي، الانتفاضة...، سابق، ص٨٩. وحول ما ينبغي أن يقدمه العرب من دعم مطلوب، إرجع إلى: محمد الجندي، "أفق الانتفاضة الفلسطينية"، شؤون فلسطينية، ع٢٠٤، ١٩٩٠/٣، ص٢١. د. يوسف الصايغ، "التسوية السياسية في الأفق التاريخي لقضية الفلسطينية"، المستقبل العربي، مصدر سابق، ص٧.
٣٥٤-د. عدنان السيد حسين، الانتفاضة وتقرير المصير، مصدر سابق، ص١٣٢، ص١٣٦-١٣٧. وأنظر أيضاً: د. تيسير جبارة، دور الحركات الإسلامية في الانتفاضة... ، سابق، ص٩٣. د. خليل الشقاقي، "المستقبل العربي والفلسطيني بعد حرب الخليج"، في: أحمد بن يوسف (تحرير)، ندوة مستقبل العمل الإسلامي: الحركة الإسلامية في ظل التحولات الدولية وأزمة الخليج، المنعقدة في هيرندن بفرجينيا ١٩٩١/٧، شيكاغو: المؤسسة المتحدة للدراسات والبحوث، ١٩٩١، ص٢٧٣- ٢٧٩. ريتا حمدان، "الانتفاضة الفلسطينية في..."، الفكر الاستراتيجي العربي، سابق، ص٢٦٩- ٢٧٠. نوال السباعي، "إجهاض بالإجماع"، إسلام أون لاين، سابق، ص١. McDowall, David. Palestine and Israel: The uprising and beyoud. Op., cit., p.8- 13.
٣٥٥-علي سمور، "انتفاضة الأقصى وقمتا القاهرة والدوحة"، شؤون الأوسط، شتاء ٢٠٠١، ص٢٢٦- ٢٣٢.
٣٥٦-السيد عوض عثمان، "الموقف الأميركي من الانتفاضة الفلسطينية: مبادرة سلام أم إجهاض؟!"، الفكر الاستراتيجي العربي، ١٩٨٨/٧، ص٦٧- ٧٠.
٣٥٧-أحمد شاهين، "الانتفاضة جبهة ثالثة مربكة"، شؤون فلسطينية، ١٨٣، ١٩٨٨/٦، ص١٠٥.
٣٥٨-د. نظام العباسي، الانتفاضة...، سابق، ص١٢٤- ١٢٥.

٣٥٩- أنظر: خالد سرحان، "الانتفاضة في الصحافة الألمانية"، صامد الاقتصادي، ع٧٥، يناير فبراير مارس ١٩٨٩، ص٢٠٢- ٢١١. جودت أبو عون، "الصحافة السوفياتية والانتفاضة"، صامد الاقتصادي، ع٧٦، إبريل مايو يونيو ١٩٨٩، ص٢٢٤- ٢٣١.

٣٦٠- د. نظام العباسي، الانتفاضة...، سابق، ص٩٧- ٩٩.

٣٦١- أنظر: Stork, Joe. "The significance of stones: Notes from the seventh month". In; Lockman Z & Beinin J. Intifada., Op., Cit., pp. 68.

٣٦٢- محمد خالد الأزعر، "النضال الفلسطيني من حرب لبنان إلى الانتفاضة"، الفكر الاستراتيجي العربي، مصدر سابق، ص١٦٦.

٣٦٣- عبد الإله بلقزيز، "الدولة في الخطاب السياسي الفلسطيني"، شؤون فلسطينية، ع٢٠٧، ١٩٩٠/٦، ص١١- ١٢. وأنظر: د. نظام العباسي، الانتفاضة...، سابق، ص١٢٦- ١٢٧. خالد عايد ، الانتفاضة الثورية .. ، سابق ، ص٤٣.

٣٦٤- إبراهيم غوشة، "قضايا أبرزتها انتفاضة الأقصى"، فلسطين المسلمة، ع٢، ٢٠٠١/٢، ص٣٠- ٣١.

٣٦٥- د. نظام العباسي، الانتفاضة...، سابق، ص١٠١- ١٠٥.

٣٦٦- المصدر السابق نفسه، ص١٩، ص٥٠.

٣٦٧- د. أسعد عبد الرحمن و..، الانتفاضة، سابق، ص١٣٣- ١٣٧. وأنظر أيضاً: د. جمال عبد الجواد ، " صعوبات وإمكانيات .. " ، السياسة الدولية ، سابق ، ص١١٣- ١١٤ . محمد خالد الأزعر، "النضال الفلسطيني من حرب لبنان إلى الانتفاضة"، الفكر الاستراتيجي العربي، مصدر سابق، ص١٧٥. عمرو العملة، "الانتفاضة: مقدمات التحرر من التبعية التجارية"، صامد..، سابق، ص٤٣- ٤٦.

٣٦٨- مها بسطامي وربعي المدهون، "مبعدون يتحدثون لشؤون فلسطينية عن الانتفاضة واستمراريتها وإنجازاتها"، شؤون فلسطينية، ع١٩٩، ١٩٨٩/١٠، ص١٠٦

٣٦٩- سميح شبيب، "الانتفاضة واقع متميز"، شؤون فلسطينية، ع١٧٩، ١٩٨٨/٢، ص١٠٢.

٣٧٠- عزمي بشارة، "فصل جديد في تاريخ الجماهير العربية في الداخل"، مجلة الدراسات الفلسطينية، ع٤٤، خريف٢٠٠٠، ص٩

٣٧١- خليل السواحري، "أثر الانتفاضة في الثقافة الفلسطينية"، صامد الاقتصادي، ع٧٨، أكتوبر نوفمبر ديسمبر ١٩٨٩، ص١٨١- ١٩٠. وأنظر بالتفصيل حول القيم الثقافية والحضارية الانتفاضية: د. وليد سيف، "تأملات في القيم الثقافية والحضارية في ضوء الانتفاضة"، صامد الاقتصادي، ع٧٦، ١٩٨٩/٦، ص١٨٧- ١٩٩.

٣٧٢- د. نظام العباسي، "قراءة في الحركة الاجتماعية والاقتصادية للانتفاضة الفلسطينية"، صامد الاقتصادي، ع٨٣، يناير فبراير مارس١٩٩١، ص١٨٣.

٣٧٣- رندا النحلاوي، "ديفيد ماكدويل: فلسطيني وإسرائيل: الانتفاضة وخلفياتها"، صامد الاقتصادي، ع٧٩، يناير فبراير مارس١٩٩٠، ص٢٣٠. وأنظر: هاني الحسن، العلاقة

بين مؤسسات م.ت.ف. ومؤسسات السلطة الوطنية، نابلس: مركز البحوث والدراسات الفلسطينية، ١٩٩٦/٩، ص١٠.

٣٧٤- عبد العزيز السيد، "الثورة الفلسطينية..."، في: د. أحمد سعيد نوفل و..، القضية الفلسطينية...، سابق ، ص٤٢٧.

٣٧٥- د. نظام العباسي، الانتفاضة...، سابق، ص١١١- ١١٤.

٣٧٦- اعتمدنا في طرح إنجازات الانتفاضة على المستوى الإسرائيلي سياسياً واقتصادياً واجتماعياً وعسكرياً ونفسياً على: د. نظام العباسي، الانتفاضة...، سابق، ص١٠٨- ١٢١.

٣٧٧- د. أسعد عبد الرحمن و..، الانتفاضة...، سابق، ص١٤٢، ص١٤٨.

٣٧٨- منذر عنبتاوي، "الانتفاضة إلى أين..."، في: د. أحمد سعيد نوفل و..، القضية الفلسطينية...، سابق ، ٤٤٩- ٤٥٠.

٣٧٩- د. أسعد عبد الرحمن و..، الانتفاضة، سابق، ص١٣٩- ١٤٠.

٣٨٠- علي سمور، "انتفاضة الأقصى وقمتا القاهرة والدوحة"، شؤون الأوسط، سابق، ص٢٢٥- ٢٢٦.

٣٨١- اعتمدنا في معرفة إنجازات الانتفاضة عربياً وبصورة أساسية على: د. نظام العباسي، الانتفاضة...، سابق، ص١٢١- ١٢٣.

٣٨٢- د. أسعد عبد الرحمن و..، الانتفاضة، سابق، ص١٨٢- ١٨٤.

٣٨٣- أنظر بالتفصيل: د. نظام العباسي، الانتفاضة...، سابق، ص١٢٣- ١٢٥.

٣٨٤- د. أسعد عبد الرحمن، "الانتفاضة الفلسطينية: الأسباب، المسار، النتائج، الآفاق"، قضايا عربية، الكتاب السابع، أكتوبر ١٩٨٨، ص١٧٧.

٣٨٥- خالد عايد، الانتفاضة الثورية...، سابق، ص١٠٢- ١٠٥.

٣٨٦- أنظر: د. عدنان السيد حسين ، الانتفاضة وتقرير المصير ، سابق ، ص٧٦- ١١٠.

٣٨٧- أنظر: د. سليمان صالح، الانتفاضة الفلسطينية ثورة الذات...، سابق، ص٢٣. جميل هلال، "مداخلة حول إشكالات..."، في: موسى البديري..، الديمقراطية الفلسطينية...، مصدر سابق، ص٨٥. جواد الحمد وإياد البرغوثي (تحرير)، دراسة في الفكر السياسي لحركة حماس..، مصدر سابق، ص٦٩- ٧٢. د. عدنان السيد حسين ، الانتفاضة وتقرير المصير ، سابق ، ص٧١. د. ربحي سحويل، "الانتفاضة الفلسطينية: أسباب وخصائص وأبعاد: دراسة استبيانية"، صامد الاقتصادي، ع٨٨، إبريل مايو يونيو ١٩٩٢، ص٢٠٧. د. وليد مصطفى، "الانتفاضة في مرحلتها الراهنة: دور وموقف الشرائح الفلسطينية"، صامد الاقتصادي، مصدر سابق، ص١٠٠- ١٠١. وحيد عبد المجيد، "الشمولية الاجتماعية للانتفاضة: قراءة أولية"، شؤون فلسطينية، مصدر سابق، ص٣.

٣٨٨- أنظر في ذلك: شحادة الناطور، القضية الفلسطينية...، مصدر سابق، ص٢٠٨. مها عبد الهادي، "أفشلت مؤامرات المقترحات..."، فلسطين المسلمة، مصدر سابق، ص١٧. ياسر الزعاترة، "انتفاضة الأقصى تعيد تعريف القضية"، إسلام أون لاين، سابق، ص٢٣. منذر عنبتاوي، " الانتفاضة إلى أين؟.."، في: د. أحمد سعيد نوفل و..، القضية الفلسطينية...، سابق ، ص٤٤٩. د. نظام العباسي، الانتفاضة...، سابق، ص١٣- ١٤. سميح شبيب، "توظيف المستجدات لدعم الانتفاضة"، شؤون فلسطينية، مصدر سابق، ص١- ٣. يزيد الصايغ، "الانتفاضة تعزز سماتها العسكرية"، شؤون فلسطينية، سابق، ص١٢٢- ١٢٥. ربعي المدهون، "عامان من الانتفاضة..."، شؤون فلسطينية، سابق، ص٩٧. د. محجوب عمر، "مسيرة الاستقلال الفلسطيني"، شؤون فلسطينية، مصدر سابق، ص٣٩. ماجد الكيالي، "من ملامح الانتفاضة الفلسطينية في عامها الثالث..."، صامد..، سابق، ص٢١٤- ٢١٩. أحمد شاهين، "صراع الإرادات على الانتفاضة: قراءة في نداءات الانتفاضة"، شؤون فلسطينية، ع٢١٠، ٩/١٩٩٠، ص١٢. د. هيثم الكيلاني، "الانتفاضة في إطارها الاستراتيجي"، شؤون فلسطينية، مصدر سابق، ص٥.

٣٨٩- أنظر بالتفصيل حول آليات العمل الانتفاضي: د. نظام العباسي، الانتفاضة...، سابق، ص٥٦- ٥٧. سميح شبيب، "الانتفاضة وملامح السلطة الوطنية"، شؤون فلسطينية، سابق، ص٨. أحمد شاهين، "صراع الإرادات على الانتفاضة..."، شؤون فلسطينية، سابق، ص٢٥. جميل هلال، "مداخلة حول إشكالات..."، في: موسى البديري..، الديمقراطية الفلسطينية..، مصدر سابق، ص٨٥- ٩٩. جميل هلال، النظام السياسي الفلسطيني...، سابق، ص٦٠. د. سليمان صالح، الانتفاضة..، سابق، ص٥٥. نبيل شبيب، "انتفاضة الأقصى مفصل.."، إسلام أون لاين، سابق، ص٦. ياسر الزعاترة، "انتفاضة الأقصى..."، إسلام أون لاين، سابق، ص٣. محمد عبد السلام، "حدود القوة في المواجهات الفلسطينية الإسرائيلية"، السياسة الدولية، مصدر سابق، ١٢٨. د. د. محمود إبراهيم، "التاريخ الشفهي.."، في: عادل يحيى ..، من يصنع التاريخ..، مصدر سابق، ص١١١.

٣٩٠- نهلة ياسين، "الانتفاضة ثورة كانون: إنجازات وآفاق"، الفكر الاستراتيجي العربي، ع٣٣، ٧/١٩٩٠، ص٢٥٩.

٣٩١- أنظر: عزمي بشارة، "ما معنى الحديث عن ديمقراطية فلسطينية"، في: موسى البديري..، الديمقراطية الفلسطينية...، سابق، ص١٤٠-١٤١.

٣٩٢- أنظر: د. أسعد عبد الرحمن و..، الانتفاضة، سابق، ص١٧٩- ١٨١.

٣٩٣- اعتمدنا في ذلك على: نبيل شبيب، "انتفاضة الأقصى مفصل.."، إسلام أون لاين، سابق، ص١- ٦.

٣٩٤- د. سليمان صالح، الانتفاضة...، سابق، ص٢٥، ص٤٣، ص٥٥، ص٦٣، ص٨٧، ص١٠٣ وما بعدهم.

٣٩٥- خالد عايد، الانتفاضة الثورية...، سابق، ص١١٠- ١١١.

٣٩٦- اعتمدنا بصورة أساسية في ذلك على: د. سليمان صالح، الانتفاضة..، سابق، ص٣٤- ٥٨

٣٩٧- د. عبد الوهاب المسيري، "الانتفاضة واستعادة الذات"، إسلام أون لاين، شؤون سياسية، ٢٠٠٠/١٠، ص١٠٦.

٣٩٨- د. نادية مصطفى، "من انتفاضة الأقصى إلى..."، إسلام أون لاين، سابق، ص٥-٦.